الدولة الدوستكية
في كردســتان الوســطى

عبد الرقيب يوسف

www.efrin.net

www.alkottob.com

الـدولـة
الـدوســـــتكية
في كردستان الوسطى

دراسة
تاريخية ـ اقتصادية ـ اجتماعية ـ حضارية

www.efrin.net
www.alkottob.com

الجزء الأول

تقــــــديم

www.alkottob.com

بقلم الاستاذ: علاء الدين سجادي

التاريخ هو الحدّ الفاصل بين الماضي والحاضر فيساعدنا عما مضي على فهم ما نكون فيه، أو بالأحرى التاريخ قصة الإنسانية والبشرية في حال تطورها ونشوئها منذ أن ظهرت على يد الإنسان إلى يومنا هذا. فعلينا إن أردنا أن نعلم ونفهم وضعنا الحاضر أن نرجع إلى سير الأحقاب التي مضت ونأخذ من جذورها دروساً لكي نصل بها إلى شاطئ الحقائق التي لعبت بها البشرية لتكوينها في القرون التي رقت فيها أو تقهقرت. فإذن علم التاريخ من أهم العلوم التي وصلت إليها يد الإنسان، حيث بواسطته ندرك أنظمتنا السياسية والاجتماعية والعلمية والدينية التي مرت علينا في الأيام الغابرة.

هذا أوجز موجز لتعريف علم التاريخ.

وأما بالنسبة إلى تاريخ حضارة الشعوب فلاشك أنه مرت عليها أدوار كثيرة كل حسب بيئتها ومناخها وحسب التزاماتها بتقاليدها وتراثها وكيانها.

www.alkottob.com

فمن جملة تلك الشعوب الشعب الكردي الذي لعب دوراً مهماً لبنائه ورسوخه في ميداني الحكم والعلم، أو السيف والقلم. نعم لعب الشعب الكردي في الأدوار التاريخية تارة ضمن الإمبراطوريات الموجودة آنذاك وأخرى ضمن الحكومات الإسلامية بعد ظهور الإسلام إلى عالم الوجود، فبحث المؤرخون والناقبون في زوايا مؤلفاتهم وكتبهم عن الأكراد حسب إطلاعاتهم عنهم ولكن في رأيي أن أبحاثهم لاتروي الظماء لمعرفة أدوارهم وجهودهم في الميادين التي انغمروا فيها.

ومن جملة تلك البحوث أو تلك الدول التي عبرت التاريخ الدولة الدوستكية في كردستان الوسطى ولكن مازالت غامضة أمامنا وأمام قراء التاريخ كانت غامضة من حيث الحكم والعلم والفن والصنعة إلى أن أخذ على عاتقه الأخ الاستاذ عبد الرقيب يوسف دراستها والبحث عنها بحثا مستفيضاً. فألف في هذا الموضوع وتحت عنوان (الدولة الدوستكية في كردستان الوسطى) كتاباً يختص بتلك الدولة التي أسست في النصف الأخير من القرن (الرابع الهجري وعاشت إلى النصف الأخير من القرن الخامس الهجري -

www.efrin.net
www.alkottob.com

النصف الأخير من القرن العاشر إلى النصف الأخير من القرن الحادي عشر (982 - 1086) فشرح بصورة واضحة تأسيس الدولة وحضارتها ونظمها والحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها من حيث الزراعة والتجارة والصناعة والمعادن وخاصة الحياة العلمية التي ازدهرت في العصر الدوستكي، كما بحث عن انتشار الطب والعقاقير في ذلك العصر انتشاراً واسعاً وذلك بسبب تشجيع الأمراء الدوستكيين للأطباء وتأسيسهم المدارس الطبية والبيمارستان في كردستان. كما نظموا النظام المالي بدرجة تفوق الأنظمة المتداولة في ذلك العصر للحكومات المجاورة، وضربوا المسكوكات الفضية باسم الدولة الدوستكية وأمرائها.

إن هذا بحق من الكتب المفيدة جداً وأن المؤلف سعى واجتهد اجتهاداً مضنياً لتبويب كتابه وتدوينه وجمعه ما يتعلق بالدوستكيين من آراء المؤرخين والباحثين، أتمنى له التوفيق والسعي الحثيث لخدمة العلم والتاريخ ولخدمة شعبه.

www.alkottob.com

علاء الدين سجادي

بغداد 1972/4/30

www.alkottob.com

مقـــــــدمــة

يتسم التاريخ الكردي بوعورة مسالكه واستعصاء مرتقاه لأنه يشتكي من فراغات توجد بين أجزائه. فمن مواضيعه ما فقد بعض حلقاتها ولما تزل مفقودة، ومنها ما هي غامضة غموض قضية فقدت كبراها أو أضاعت صغراها أو ثكلت نتيجتها بحيث يفل الذكاء الثاقب عن توضيح تلك المواضيع الغامضة وينبو البحث حالياً عن العثور على ما ضاع وما سحب عليه الزمان ذيل النسيان. ويعود سبب ذلك بالدرجة الأولى إلى إهمال العلماء الأكراد تدوين التاريخ الكردي عصراً بعد عصر وحقبة بعد حقبة لأنهم لم يهتموا بالتاريخ رغم كونهم ألفوا الكثير من المؤلفات في مجالات أخرى فلم يدونوا الحوادث والتطورات التي نشأت ووقعت على أديم أرضهم ومست كيان أمتهم وحياتها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية بل وحتى حياة أولئك العلماء ومهنتهم التعليمية والدينية، وإن كتب بعض من علماء كردستان في التاريخ كأبي حنيفة الدينوري وابن الأثير الجزري وابن خلكان الأربيلي

www.efrin.net
www.alkottob.com

إلا أنهم لم يدونوا 10% مما يخص الشعب الكردي وتاريخه بل ألفوا في التاريخ العام أو في تاريخ شعب آخر.

أما الذين ألفوا في التاريخ الكردي فنفر قليل منهم وأقدمهم أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الفارقي، وابن المستوفي أحمد بن المبارك الأربيلي، والأمير شرفخان البدليسي. أما العلامة محمد أمين زكي فقد برز في هذا القرن وأحيا التاريخ الكردي وفتح أمام المثقفين الأكراد باب البحث والتأليف.

ولنضرب بمشاكل التاريخ الكردي جانباً ونصرف العنان إلى مانحن بصدده ألا وهو موضوع تاريخ الدولة الدوستكية التي أسسها الأمير (باد) بن (دوستك) سنة (372 هـ - 982م) والتي عاشت إلى سنة (478 هـ - 1086 م) وان هذا الموضوع يشكل حلقة مهمة من حلقات تاريخ الشعب الكردي لأنه يلقي الضوء على دولة وطنية كردية تميزت من بين دول عصرها بسياستها الخارجية المبنية على أساس التعايش السلمي مع تلك الدول وتميزت بسياستها الداخلية المبنية على أساس من العدل والمساواة والإخلاص لشعبها وبلادها

www.alkottob.com

تلك البلاد التي عم أرجاءها الأمن والاستقرار في حين أن الفوضى والاضطرابات والمنازعات كانت تعج بها البلاد الأخرى وكانت المساواة بين المسلمين والمسيحيين إحدى ميزات هذه الدولة بينما كان المسيحيون يعانون الاضطهاد في غيرها. وكانت العدالة تسود أنحاء البلاد وتشمل كافة فئات وطوائف الشعب بينما كان الظلم والتطاول على أموال الناس وسلبها ومصادرتها واغتصاب الأملاك وفرض الضرائب الباهظة وأنواع الإتاوات على التجار والفلاحين سائدة في الدول الأخرى وحسبنا دليلاً على هذه العدالة أن الملك (نصر الدولة) الذي حكم ثلاثاً وخمسين سنة لم يصادر حسبما قاله الفارقي سوى بعض من أموال رجل واحد فقط ولم يُسمع أنه أخذ درهماً من أحد.!!

وسيتحقق ذلك جيداً لمن يقرأ هذا الكتاب بإمعان ويلقي السمع وهو شهيد.

أما كيفية تأليفي لهذا الكتاب الذي سميته (الدولة الدوستكية في كردستان الوسطى) فقد لاقيت في هذا السبيل صعوبات جمة في البحث والتحري عن المعلومات فلقد طالعت عشرات من الكتب دون أن أحصل على شيء يتعلق

www.alkottob.com

بالموضوع. وكان المصدر المهم الذي عولت عليه واستفدت منه الكثير هو (تاريخ ميافارقين وآمد) للفارقي الذي لولاه لضاع القسم الأكبر والأهم من تاريخ هذه الدولة الذي نراه اليوم فالفضل إذن يرجع لهذا المؤرخ الجليل.

وقد حاولت دائماً أن لا أكتفي بـ (خبر الواحد) لأبحث عن روايات أخرى من مصادر أخرى فأقارن بين الروايات وأقوم بالترجيح وأؤكد على الخطأ والضعيف مع بيان السبب، وأشرت إلى مصادر البحث دائماً، واستدللت بالنصوص التاريخية فلربما استدللت بنص واحد لإثبات أو تعضيد رأيي أو البحث في مواضيع عديدة ينطبق عليها ذلك النص ولعدم الحصول على نص مماثل من مصدر آخر.

ووجهت اهتمامي جداً إلى إبراز ميزات هذه الدولة والكشف عن سياستها الداخلية والخارجية وعلاقاتها مع دول عصرها والى وضعها الاقتصادي والعمراني والحضاري، ووجهت الجهد إلى تفسير الحوادث والوصول إلى عللها وأسبابها ونتائجها الإيجابية أو السلبية كما قارنت في كثير من المواضيع والمناسبات بين سياسة الدولة الدوستكية وسياسة الدول المجاورة

www.alkottob.com

والمعاصرة وقابلت بين حالة كردستان الوسطى في عهد هذه الدولة من الهدوء والاستقرار والرخاء وبين حالة البلدان الأخرى من الفوضى والاضطرابات والمظالم وسوء الحالة الاقتصادية كما قارنت بين حالة كردستان الوسطى في العهد الحمداني وحالتها في العهد الدوستكي إضافة إلى إلقاء نظرة سريعة على عصرنشوء الدولة.

وقمت بدراسة الجوانب الحضارية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية للدولة الدوستكية وكردستان الوسطى فدونت مواضيع جديدة ومهمة لم يتطرق إليها أحد من قبل في تاريخ أي جزء من أجزاء كردستان أو أية دولة أو إمارة كردية فكتبت في أنظمة الدولة الدوستكية، وفي الحياة البشرية والحالة الاقتصادية: الزراعة والصناعة والمعادن والتجارة، وفي العملة الوطنية الكردية وفي الحياة العلمية والعمرانية للدولة الدوستكية وكردستان الوسطى كل ذلك بنوع من التفصيل.

ولعمري إنها مواضيع صعبة للغاية كلفتني جهوداً شاقة في البحث ومراجعة المصادر التاريخية والجغرافية القديمة وجمع شذرات من هنا

www.efrin.net
www.alkottob.com

وهناك تتعلق بهذه المواضيع علماً بأن معظم تلك المعلومات قد وردت في تلك المصادر بصورة اعتراضية وبدون أية إشارة إلى كونها من تاريخ الكرد وكردستان ومع هذا فإنها معلومات قليلة في نظري إذ لاتزال تلك المواضيع أو بعضها تحتاج إلى معلومات أكثر فلتوضيح الحالة الزراعية مثلاً لكردستان الوسطى قبل حوالي ألف سنة نحتاج إلى أكثر من الأرقام التي خلدها لنا (ابن حوقل) عن الواردات الزراعية لعدد من مناطقها أي نحتاج إلى أرقام مماثلة للمناطق الأخرى ولكن هل يمكن أو يسهل العثور على أرقام مماثلة وهل خلدها أحد ؟

إن هذه المواضيع تشكل في الحقيقة بحثاً اقتصادياً وثقافياً وحضارياً دقيقاً وحساساً من التاريخ الكردي ولائقاً بالنشر في كتاب مستقل فريد في بابه.

وان القسم الأخير من هذا الكتاب الذي يضم تلك المواضيع والبحوث التي تقيدت كثيراً لإثباتها بالنصوص وذكر المصادر سيكون خير مساعد لكل مؤرخ يكتب في تاريخ كردستان من الجوانب المذكورة.

وقابلت كجزء من خطتي في تأليف هذا الكتاب بين الروايات والأقوال

www.alkottob.com

المتضاربة حول أمر من الأمور فحاولت دائما ترجيح إحداها بالدلائل والبراهين وصححت كثيراً من أخطاء المؤرخين كما سيلاحظه القارئ إذ المهم في رأيي هو أن ننقي التاريخ ولاسيما التاريخ الكردي الذي كُتب عن بعد من الأخطاء الكثيرة لا أن نجمع أقوال المؤرخين كما هي ونضيف إليها أخطاءنا والأخطاء المطبعية. ولربما وضعت مواضيع فأتيت بالعلل والأسباب والنتائج مستعينا بجملة واحدة فقط وردت في كتاب تاريخي أو إشارة قلَّ من يتفطن لها كموضوع (معاهدة مع الإمبراطورية البيزنطية) وموضوع (المكتبات العامة).

فالموضوع الأول الحساس استنبطته عن إشارة أو إشارتين وردتا في كلام (ابن شهرام) العويص المغلق الوارد في (ذيل تجارب الأمم) كما هو مذكور هناك والموضوع الحيوي الآخر استنبطته من كلمة (الخزانة) الواردة في كلام الفارقي التي هي في الاصطلاح القديم تعني "المكتبة".

ولهذا كله إن موضوع هذا الكتاب لايعتبر موضوعاً مكرراً كموضوع (اليزيدية) مثلاً الذي ألفت فيه كتب عديدة فأصبح مكررا بهذا المعنى ولاسيما

www.alkottob.com

إذا لم يستطع المؤلف الثالث أن يأتي بالكثير من الجديد.

أما موضوع هذا الكتاب فإنه وإن كتب فيه المؤرخ الكردستاني (أحمد بن يوسف) الفارقي منذ ثمانية قرون ما يقدر بحوالي (70) صفحة من هذا الكتاب إلا أنه لايعتبر مكرراً حيث جددته وأضفت إليه الكثير والكثير فجاء الموضوع في قالب جديد وبأسلوب حديث.

أما المصادر الأخرى فكانت شحيحة جداً إزاء تاريخ هذه الدولة ماعدا (ذيل تجارب الأمم) و(الكامل) و(العبر) ولعل القارئ يظن من النقل المتكرر والإشارات العديدة إلى بعض المراجع التاريخية كالبداية والنهاية، والمنتظم والنجوم الزاهرة مثلاً أنها تشمل على الكثير من تاريخ هذه الدولة ولكن إذا راجع تلك المصادر بنفسه يعلم أن كلاً منها لا تشمل على أكثر من عشرين أو ثلاثين سطراً، أما المؤرخون في عصرنا الحاضر فلم يعلم الكثير منهم بدولة بني مروان (الدولة الدوستكية) أو أنهم أعرضوا عن ذكرها لسبب من الأسباب كالدكتور ناجي معروف والدكتور صالح أحمد العلي وعبد الله الفياض فلم يلمحوا في كتابهم (تاريخ العرب في القرون الوسطى) إلى هذه

www.alkottob.com

الدولة كما لم يشيروا إليها في خريطتهم التي رسموها لتحديد مواقع الدويلات المستقلة في القرن (الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي). ومن الملاحظات الأخرى هي أنهم نصوا على أصل البويهيين والسلجوقيين والطولونيين والإخشيديين عند البحث عن الدولة البويهية والسلجوقية..الخ ولكنهم لم يلمحوا إلى جنسية الأيوبيين الأكراد أثناء البحث عن الدولة الأيوبية.

ومما يجدر الإشارة هو أني كتبت بعض الأسماء أحياناً حسبما يتلفظ بها الآن في كردستان كـ (فارقين) و (أرديش ـ ارجيش) و (ملازكَر ـ منازجرد) و(حسن كه يفى ـ حصن كيفا) و (ألجواز ـ عادل جواز) و (ألعزيز ـ آلزكك).

هذا ومع كل التحقيق الذي قمت به في دراستي لتاريخ هذه الدولة الكردية فإني لا أُبْرِئ كتابي هذا من الأخطاء إذ يمكن أن يجد فيه القارئ أخطاءً فاحشة وبسيطة في نفس الوقت لم أتفطن لها أو أنها وقعت سهواً كما لا يوجد كتاب سليم من الأخطاء ومن مواقع الضعف والزلل. ولعل الذي يأتي من بعدي يهتدي إلى معلومات لم أهتدِ إليها ويظفر بمصادر لم أظفر بها كالقسم الأول من تاريخ الفارقي الذي يدور حول تاريخ مدينتي فارقين وديار

www.efrin.net
www.alkottob.com

بكر والذي يحتوي بدون شك على معلومات أخرى عن الدولة الدوستكية ولعله يعثر على كتاب (الجامع للتواريخ) الذي ألفه أحد أطباء الدولة الدوستكية وهو الطبيب المسيحي (أبو نصر يحي بن جرير التكريتي) وهو تاريخ حافل نقل عنه بخط المؤلف (ابن العديم) في (زبدة الحلب في تاريخ حلب ص15) في القرن (السابع الهجري - الثالث عشر ميلادي) بصدد بناء مدينة حلب وقال أن أبا نصر ألف كتابه في ذكر بناء المدن وفي تاريخ الدول والممالك من عهد آدم إلى دولة (بني مروان) أي الدولة الدوستكية فنعتقد أن أبا نصر قد دون تاريخ هذه الدولة بأدق وأوسع المعلومات أحسن من الفارقي بكثير لأنه عاش في ظلها مع أخيه الطبيب (فضل بن جرير) وقد توفي أبو نصر في فارقين سنة (497هـ - 1105م) بعد زوال الدولة الدوستكية.

ومن الحري بالذكر أن الاستاذ محمود ياسين التكريتي قد ألف بحثاً في تاريخ الدولة الدوستكية باسم (الإمارة المروانية في ديار بكر والجزيرة) ونال عليه درجة الماجستير من جامعة بغداد قبل حوالي ستة أشهر. إن اختياره موضوعاً من التاريخ الكردي لأطروحته ليستحق الثناء والتقدير فنحن نقدر

www.alkottob.com

جهود الاستاذ محمود ونرجو أن يقتدي به آخرون في اختيار مواضيع أخرى من التاريخ الكردي لاطروحاتهم لأن التاريخ الكردي بحاجة إلى البحث والدراسة ـ لفقره ـ أكثر من تاريخ الشعوب الأخرى في الشرق الأوسط فالفضل لمن يختار من المواضيع أفقرها وأصعبها.

هذا ومن حيث أنه وردت في الكتاب المذكور أخطاء لم يتنبه لها المؤلف وحرصاً منا على سلامة البحث ونقاوة التاريخ من الأخطاء والهفوات سيجد القارئ ملحقاً لكتابنا هذا يحتوي على تلك الأخطاء إذ لم يبق لي مجال أن أشير إلى كل منها في المكان المناسب من متن أو حواشي هذا الكتاب الذي فرغت منه منذ مدة بل فرغت من معظم مسودته سنة 1961. والذي وجدت صعوبات جمة في سبيل طبعه تفوق صعوبات تأليفه بكثير، ولما كنت أفقد الإمكانية المادية فلم يكن لي مناص من الاتصال بجهات عديدة وعديدة من أجل نشره على حسابها أو بمساعدتها غير أنها كانت كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءاً.

ولما رأى المجمع العلمي الكردي النور لأول مرة في تاريخ شعبنا قدمت إليه هذا الكتاب فوجده قميناً بالمساعدة فساعد على نشره مساعدة لائقة

www.efrin.net
www.alkottob.com

تستوجب منا الشكر الجزيل للمجمع والتمني له في السير قدماً وبخطى سريعة نحو تحقيق رسالته النبيلة في نشر تراث شعبنا الكردي.

واعترافاً بالجميل أقدم خالص الشكر إلى استاذي الفاضل (سعيد الديوه جي) مدير متحف الموصل الذي أرشدني إلى التاريخ وساعدني بالمصادر وبتوجيهاته القيمة، وأرجو له الحياة السعيدة والعمر المديد.

وأخيراً إن وجدت في هذا المجهود المتواضع أخطاء لغوية أو نحوية فاعتذر بما اعتذر به العالم والأديب الكردي عبد الله البيتوشي حيث قال :

فإن تجد شيئاً خلاف الأد ب فالطبع كردي وهذا عربي

عبد الرقيب يوسف

12 تشرين الثاني 1971

www.alkottob.com

بلاد الدولة وحدودها

في سنة (372 هـ - 982 م) أسست الدولة الدوستكية الكردية في جزء من كردستان الكبرى الذي نعبّر عنه بكردستان الوسطى(1) وهذا الجزء خاضع للحكومة التركية ولهذا يعرف الآن بكردستان تركية تمييزاً لها عن أجزاء كردستان الأخرى ولكن نفوذ الدولة الدوستكية لم يشمل جميع أراضي

www.alkottob.com

كردستان تركية ولم يشغل كل مساحتها المعروفة اليوم لأن مساحتها على الأساس الاثنوغرافي القومي كانت في ذلك العصر أقل مما هي عليه في الوقت الحاضر إذ أن الأرمن كانوا يشغلون ما وراء خط أرديش ملازكَرد وما وراء نهر (مراد) كما أن الروم البيزنطيين ومعهم أقلية أرمنية يشغلون ما وراء (الفرات) بصورة عامة أيضاً.

لقد شمل حكم الدولة الدوستكية كافة الأراضي الواقعة في ولايات ديار بكر، ماردين، سعرد (سيرت)، بدليس، وقسماً من ولاية موش بالإضافة إلى قضاء أرديش التابع لولاية (وان) وأجزاء من ولاية (آلزاك، العزيز، خربوت، حصن زياد)، وولاية أورفا (الرها) وقسم من منطقة الجزيرة من كردستان سورية من منطقة رأس العين حتى نهر دجلة الذي تقع فيه الآن مدن درباسية، عامودا، قامشلي، وديرك.

أما أهم مدن الدولة فكانت ديار بكر (آمد) والعاصمة (ميافارقين ـ مفارقين ـ سليفان) ونسيبين (نصيبين). وجزيرة بوتان (جزيرة ابن عمر)، وأرزن، وبدليس، وخه لات (خلاط ـ أخلاط) وأرديش، وحسنكيف. هذا وتجنباً عن

www.alkottob.com

إطالة موضوع الكتاب لم أفرد بحثاً تاريخياً لمدن الدولة ولكن ذكرت نبذاً تاريخية لبعض منها في الحواشي لما دعت الحاجة إليه كفارقين، كما سيرى القارئ معلومات غير قليلة عن تلك المدن في هذا الكتاب ولكن بصورة متفرقة ومرة أخرى لم أفرد بحثاً لتلك المدن لما أني وضعت كتاباً مستقلاً لم يكمل بعد في تاريخ مدن كردستان القديمة والحديثة.

أما حدود الدولة الدوستكية فيصعب علينا تحديدها بدقة كحدود دولة من دول عصرنا إذ أن حدود الدول القديمة لم تكن واضحة بشكل دقيق ولم تكن ثابتة في مناطق الحدود، فالحدود بين الدولتين مثلاً كانت تتعرض للتقلص والتوسع نتيجة الحملات المتبادلة بينهما ونتيجة عدم استقرار السياسة الدولية آنذاك، ولكن نستطيع أن نوضح حدود الدولة الدوستكية بصورة تقريبية بالمدن والمناطق التي نعلم أن نفوذها قد وصل إليها ودام فيها سنوات طويلة. أما المناطق التي وصلت إليها سيطرتها ثم زالت عنها سريعاً كمنطقة الموصل والرها (أورفا) فليس لنا شأن معها.

وعلى هذا الأساس يمكن أن نحدد بلاد الدولة الدوستكية بخط وهمي يبدأ

www.alkottob.com

بالقرب من نهاية الزاوية الشرقية الطويلة لبحيرة (وان) الواقعة في شمال شرق مدينة (وان) أي من منتصف المسافة بين مدينتي أرديش (ارجيش) ومورادية (به ركار ـ بركرى) مارا في شرق مازكَر (منازجرد) بينها وبين باتنوس (باجنيسا) إلى أن يتصل بنهر (موراد ـ مراد ـ مرات) الفرع الشرقي أو الجنوبي لنهر الفرات النابع من جبل (ته ندورك) بين (جالديران) و(بازيد ـ بايزيد) ومن ثم يكون نهر موراد خط الحدود إلى التقائه بالفرع الشمالي النابع من جنوب (أرضروم) المعروف بـ (قره سو)، ثم يكون نهر الفرات المتكون منهما خط الحدود إلى الشمال الغربي من (الرها) بينها وبين حصن منصور (آديمان)، ثم يتجه نحو الجنوب في المنطقة الواقعة شرقي الرها إلى منطقة (رأس العين) ثم يسير الخط نحو الشرق إلى منطقة نسيبين إلى بازبدا (بازفتى) إلى نهر دجلة فكانت الحدود الدوستكية، تسيروا في هذا القسم من منطقة الجزيرة من كردستان سورية باتجاه الحدود السورية ـ التركية الحالية حيث كانت البلاد الدوستكية تشمل (قامشلي) و (تربه سبي = قبور البيض) و(ديريك) حيث كانت السلطة في نسيبين والجزيرة تحكم تلك

www.alkottob.com

الأراضي في العصور الإسلامية لأنها كانت تابعة لهما كما يؤكد عليه التاريخ.

أما الحدود في شرق دجلة فيمكن تحديدها بنهر (خابور) فنهر (هيزل) حيث الحدود العراقية ـ التركية إذ من المؤكد أن منطقة (كَويان) الواقعة في شرق جبل الجودي مباشرة إلى حدود (بيت شباب) كانت تحت السيطرة الدوستكية لما أن قلعة جه رده قيل (جردقيل) التي تشاهد آثارها اليوم في وادي كويان كانت مركز الإمارة البختية التابعة للدولة الكردية علماً بأن أميرها كما تذكرها المصادر التاريخية في عهد نصر الدولة كان الأمير (موسك) بن المجلى صاحب السيف المشهور (راجع موضوع مقتل سليمان بن نصر الدولة) ولكن يصعب تحديد الحدود الشرقية من منطقة كَويان إلى بحيرة وان إذ لا نعلم هل توسعت الدولة في مقاطعة هكارية أو لا ؟ وما نعلمه بالتأكيد حيث تكرر ذكره في تاريخ الدولة هو أن مقاطعة بوتان(2) بإمارتيها البشنوية الواقعة في شمال الجزيرة والتي مركزها مدينة (فينك) والبختية الواقعة في شرق الجزيرة والتي مركزها (جردقيل) في كَويان كانت كلها تحت السيطرة الدوستكية بينما لم أجد نصاً على أن مقاطعة هكاريا كانت تحت

www.efrin.net
www.alkottob.com

سيطرتها أما ما ذكره ابن الأثير الجزري(3) من أن جميع المناطق والقلاع الواقعة في شرقي الجزيرة إلى (قلعة نيروه) (في شرق عمادية) وقلعة (خوشاب) في مقاطعة هكارية وفي جنوب شرقي (وان) كانت للأكراد البختية أي تابعة للإمارة البختية المذكورة ـ فلعله يقصد أن هذا التوسع لإمارة بوتان قد حدث في زمنه أي في أواخر القرن (السادس الهجري - أواخر القرن الثاني عشر الميلادي) إلى سنة (626 أو 627) السنة التي فرغ فيها من تأليف كتابه "الكامل" مع أن المؤرخين والبلدانيين قد ذكروا وكما نعلم أن قلعتي نيروه وخوشاب كانتا للأكراد الهكارية لا البختية.

فإن كان يقصد إن هذا التوسع للإمارة البختية (البوتية) كان في القرن (الخامس الهجري ـ الحادي عشر الميلادي) أي في عهد الأمير (موسك) أو غيره من الأمراء فيمكن أن نقول بالاعتماد على قوله أن سيطرة الدولة الدوستكية قد شملت منطقة عمادية (آمدي) أو القسم الشمالي الشرقي منها وشملت مقاطعة هكارية حيث اتصلت حدودها هناك بحدود الدولة الروادية الكردية في أذربيجان.

www.efrin.net
www.alkottob.com

أما منطقة (هيزان ـ حيزان) الواقعة في جنوب غربي بحيرة وان فلا نشك في أنها كانت من بلاد الدولة لأنها مع منطقة شيروان كانت مركز انطلاق مؤسس الدولة الأمير (باد بن دوستك) بينما لم أجد دليلاً على أن سيطرة الدولة قد شملت منطقة (مكس) وكافاش (وسطان) و(وان) وإذا ثبت أن قلعة خوشاب كانت تابعة للإمارة البختية.. إلخ وأن سيطرة الدولة قد شملت هكارية فلابد أن كلاً من مكس وكاواش كانت من أراضي الدولة لأنهما في طريق خوشاب علماً أن الأكثر توقعاً هو أن مكس كانت تحت سيطرتها لقربها من مركز الانطلاق.

أما طول البلاد التي كانت تحت السيطرة الدوستكية من الشرق إلى الغرب فحوالي (460) كيلو متراً وذلك من منتصف المسافة بين اردیش وموراديه إلى منتصف المسافة بين ديار بكر و(أورفا) إذ المسافة بين (وان) وأورفا (584) كم. أما طولها من الشمال إلى الجنوب أي من العزيز إلى مصب نهر الخابور في دجلة وهو نقطة التقاء الحدود العراقية ـالتركية ـ السورية حالياً فيبلغ (459) كم أو حوالي (400) كم من منتصف المسافة بين ديار بكر

www.alkottob.com

والعزيز أما مساحة البلاد فأكثر من (60000) كيلو متر مربع إذ أن مساحة ولايات ديار بكر، ماردين، سعرد(سيرت)، بدليس التي كانت كلها ضمن البلاد الدوستكية (48250)كم2 وذلك حسب مساحاتها الآتية :

ديار بكر	**15354 كم2**	
ماردين	**12790**	
سعرد	**11519**	
بدليس	**8587**	
موش	**5464**	**أي مالا يقل عن 3/2 من مساحتها البالغة 8.196 كم2 حيث أن الباقي يقع خلف نهر موراد.**

www.alkottob.com

العزيـز	9100	أي حوالي 5/4 من مساحتها البالغة 11376 كم2 حيث أن حوالي الخمس تقع ما وراء الموراد أيضاً (4).

هذا ماعدا مساحة قضاء اردیش من ولاية وان وما عدا مساحة بعض من ولاية أورفا وقسم من منطقة الجزيرة في سورية. ولزيادة توضيح حدود الدولة الدوستكية ومساحتها أذكر فيما يلي معلومات استندت إليها في تثبيت الموضوع وهي :

1 ـ كان نهر موراد (مراد) من حدود ملازكَر إلى ملتقاه بالفرع الشمالي للفرات في شمال غرب آلعزيز حداً بين البلاد الإسلامية والبلاد البيزنطية (الروم) حتى القرن (الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي) الذي تأسست فيه الدولة الدوستكية.

www.efrin.net

www.alkottob.com

2 ـ كان نهر الفرات إلى دخوله في المنطقة الواقعة بين الرها (أورفا) وحصن منصور (آديامان) يكون الحدود بين الدولة الدوستكية والدولة البيزنطية فيظهر من حوادث الرها بين الدولتين أن أقرب مدينة للدولة البيزنطية إلى الأراضي الدوستكية كان مدينة (سميساط) التي هاجمها الجيش الدوستكي واحتلها سنة (422هـ ـ 1031م) والتي كانت على الضفة الغربية لنهر الفرات(6) وكانت في العهد العثماني مركزاً لناحية تابعة لقضاء حصن منصور (آديامان) وتعرف الآن بسمساط(7). ويظهر من الخرائط التركية الحديثة أن اسمها (سامسات) وأنها توسعت وعبرت الفرات.

3 ـ يظهر من كلام الفارقي أن حصن زياد وهي مدينة (آزلك ـ خرتبرت ـ خربوت ـ آلعزيز الحالية) كانت من البلاد الدوستكية فقد ذكر إن فخر الدين ابن جهير عندما استولى على البلاد الدوستكية صرف الجيوش السلجوقية وأبقى الأمير التركماني "جبق" مع (300) فارس شحنة في البلاد وأعطاه خرتبرت إقطاعاً له(8) فيظهر من هذا أن تلك المدينة كانت

www.alkottob.com

من المدن الدوستكية التي استولى عليها ابن جهير ولذا كان له حق التصرف فيها فأعطاها إقطاعاً للأمير المذكور. وقد ورد في "دائرة المعارف الإسلامية:8 - 287" أن هذه المدينة كانت في القرن (الرابع الهجري - العاشر الميلادي) في يد أمير تابع للدولة البيزنطية وكان زوج أخت أبي تغلب الحمداني الذي التجأ إليه أثناء هروبه أمام عضد الدولة.

www.alkottob.com

من آثار (آديمان)

www.alkottob.com

4 ـ كانت الرها (أورفا) في أيدي العرب النميريين ثم دخلت تحت حكم الدولة الدوستكية سنة (416 هـ ـ 1025 م) ثم سلمها نصر الدولة إلى النميريين الذين سلموها سنة (422 هـ ـ 1031 م) إلى البيزنطيين فكانت الرها على حدود الدولة الدوستكية وبالإمكان تقدير الحدود بمنتصف المسافة بينها وبين ديار بكر إن لم تكن أقرب إلى الرها(9).

5 ـ حمل الملك البيزنطي الملك الدوستكي نصر الدولة مسؤولية قيام "أصفر التغلبي" بالإغارة على بلاده سنة (439 هـ ـ 1048 م) وكان أصفر من "رأس العين" عند معظم المؤرخين فهذا يشير إلى أن رأس العين الواقعة الآن في منطقة الجزيرة من كردستان سورية كانت تحت السيطرة الدوستكية(10).

6 ـ لم أجد ما يدل على أن مدينة زاخو (الحسنية) كانت من مدن الدولة الدوستكية بينما أرى أن (جسر الحسنية) الذي ذكر الفارقي أن نصر الدولة أوقف أملاكاً على عدة جسور منها (جسر الحسنية) هو جسر زاخو المعروف الآن بالجسر العباسي(11).

www.efrin.net
www.alkottob.com

7 ـ كانت ارديش(12) وملازكَر من مدن الدولة كما سيأتي التفصيل في حين لم أجد إشارة تفيد أن مدينة بركَري (مورادية) كانت تحت السيطرة الدوستكية.

ملحق الخـريطـة:

الأرقام الموجودة على الخريطة تشير إلى الأماكن الأثرية التالية التي حددت مواقعها بمعرفتي الشخصية:

1 ـ هه شتيان (ثمانين). 2 ـ باسورين.

3 ـ ربه هي (قلعة رابية). 4 ـ شاخى.

5 ـ قه سر كاكَيلى. 6 ـ فينك.

7 ـ بينات (باعيناثا). 8 ـ مرىّ (قلعة زفينكا حاجي عه ليان).

9 ـ منحوتة بيرىّ ده ل. 10 ـ طانز ه (طانزة).

11 ـ براكجكي (براشكه ستي). 12 ـ تلانيف رو وان (تل فافان

www.efrin.net
www.alkottob.com

مؤسس الدولة الدوستكية

يتسم موضوعنا (الدولة الدوستكية) بصورة عامة بطابع من الصعوبة والغموض لقلة المعلومات التي ذكرها المؤرخون بصدده حتى أننا نصادف تاريخ حياة الأمير (باد بن دوستك) مؤسس هذه الدولة الكردية مكتنفاً بالغموض إذ لم يبين التاريخ لنا ميلاده ومسقط رأسه وأسرته ونشأته وحياته الأولى حتى أن اسمه لم ينج من الاختلاف مع ما لهذه النقاط من أهمية كبيرة لأنها تشكل الحلقة الأولى من سلسلة حياة أي شخص كان. ولعل سبب هذا التقصير من التاريخ يعود إلى عزلة المنطقة التي نشأ فيها هذا الأمير وبعدها من طرق المواصلات القديمة والعواصم الإقليمية التي كان يسير فيها ويتوجه إليها المؤرخون والرحالون بالإضافة إلى تقاعس علماء الأكراد عن تدوين

www.efrin.net
www.alkottob.com

أخبار معاصرهم الأمير (باد).

ولهذا لم يسجل التاريخ القسم الأكثر من أخبار هذا الأمير الكردي وإمارته الدوستكية ثم محاولاته وخطواته في تأسيس دولته وتفاصيل كفاحه في سبيل ذلك أما القلة القليلة من المعلومات التي نجدها فلم تدون إلا بعد مرور حوالي قرن من الزمن على مقتل هذا الأمير.

اسـم الأمـيـر:

اختلفت المصادر التاريخية في مادة "باد" مع أنها لم تذكر لها ضبطاً فورد اللفظ في تاريخ الفارقي(13) وذيل تجارب الأمم، والنجوم الزاهرة، ومصادر أخرى بمادة "باد" بالدال المهملة (14) في حين ورد في الكامل، والعبر، ومختصر تاريخ الدول، ودائرة المعارف البستاني ومصادر أخرى "باذ" بالذال المعجمة (15) وفي تاريخ ابن بطريق بالدال مرة وبالذال مرة أخرى (16).

أما العلامة محمد أمين ذكي فقد ذكرها بمادة "باز" بالزاي المعجمة مع العلم أنه حسبما ذكره الأخير لم يرد في أي مصدر تاريخي قديم (17) أما أنا

www.alkottob.com

فأؤيد الرأي الأول وذلك :

1 ـ لوضوح معنى كلمة "باد" التي هي بالكردية بمعنى الريح فسمي الأمير به أو لقب به لخفته في الحركات وإحراز الانتصارات فكأنه الريح في الخفة، هذا بالإضافة إلى عدم وضوح معنى (باذ) بالذال ولعدم وجود حرف الذال في اللغة الكردية في الأصل أو في لهجاتها ما عدا اللهجة الهورامانية ويقال أن حرف الذال كانت موجودة ولكنها انقرضت ولاتزال موجودة في اللهجة الهورمانية.

2 ـ ورد "باد" مرتين في رسالة الملك البويهي (صمصام الدولة) التي وجهها إلى قائده وممثله في عقد الصلح مع الأمير باد بنصيبين سنة (375 هـ ـ 986 م) فهي وثيقة هامة وأقدم شيء ورد فيه اسم هذا الأمير (18).

هذا وفي النجوم الزاهرة ورد اللفظ بمادة "باد" بحرف "ب" الكردية غير أني لم ألتزم بما جاء في هذا المصدر لأنني لم أجد ذلك في مصدر آخر لاسيما أنه مليء بالأخطاء الفاحشة المطبعية وغير المطبعية بحيث لا يمر

www.efrin.net
www.alkottob.com

سطر أو سطران فيما يخص موضوعنا بدون خطأ أو أكثر بحيث لا يمكن الاعتماد عليه رغم شهرته إلا فيما يطابق مافي المصادر التاريخية الأخرى، كما أن مؤلفه كان من المتأخرين (القرن التاسع الهجري ـ الخامس عشر الميلادي) (19) وفي نفس الوقت يجب أن نعلم أن المؤرخين كتبوا في مؤلفاتهم العربية حروف:(ب،ج،ک، ر) الموجودة في اللغة الكردية ولغات أخرى برسم الحروف (ب، ج، ك، ز) بينما كان الواجب التمييز بينها واصطلاح رسم خاص لكل منها كما وضع لها أو لبعضها رسماً خاصاً العلامة ابن خلدون وانتقد المؤرخين وغيرهم على إهمال ذلك (20).

(وللسبب المذكور تظل رواية "باد" مفتوحة للبحث والتعقيب).

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ عبد الوهاب النجار الذي حقق "الكامل" وكتب تعليقات مفيدة عليه ـ ضبط اللفظ "بباء موحدة مفخمة وذال معجمة" ولعله يقصد بالباء المفخمة (ب) (21).

وبعد هذا الخلاف في مادة "باد" نجد خلافاً آخر حول الاسم الحقيقي لهذا الأمير حيث ذهب فريق من المؤرخين كالوزير الروذراوري (22) وابن تغرى

www.alkottob.com

بردى (23) ومحمد أمين زكي (24) إلى أن "باد" لقب الأمير وليس اسمه أما اسمه فهو حسين بن دوستك وكنيته (أبو عبد الله) أما الرأي الآخر فهو أن "باد" اسم الأمير وليس لقبه أما (أبو عبد الله الحسين ابن دوستك) فهو أخو (باد) وقد قتل في معركة نسيبين (نصيبين).

أما الفارقي فقد قال أولاً (ص50) وكما سيأتي النص قريباً أن اسم الأمير هو "الحسين" وباد لقبه وكنيته أبو عبد الله ولكنه ذكر في موضع آخر أن الحسين بن دوستك هو أبو الفوارس أخو باد حيث قال :

" وولى باد أخاه أبا الفوارس الحسين بن دوستك ميافارقين.. واسمه على السور"(25) وهكذا اختلط الأمر على الفارقي وورد هذا التناقض في كلامه في الموضعين فكيف غفل الفارقي عن هذا وهل يمكن أن يكون هذا التناقض وارد من قبل النساخ؟ أو هل يمكن أن يعتبر ما جاء في كلامه الأخير هو الصواب حيث يقول "واسمه على السور" مما يدل على أنه رأى بعينه اسم أبي الفوارس على الترميمات التي قام بها في سور مدينة "فارقين" ولكنه أكد قوله في المرة الأولى : أن اسم الأمير هو الحسين بقوله "وإنما

www.alkottob.com

لقبوه باد" فهذا تأكيد للخبر وهو بمثابة تكرار تأكيدي ولعل هذا هو الصواب في حين أن الخطأ "لعله من قبل النساخ"وقع في كلامه في المرة الأخيرة فزيادة "الحسين بن دوستك" بعد "ولى أخاه أبا الفوارس" وردت سهواً ولكننا نعود فنتساءل : ما هو اسم أبي الفوارس أخي باد فلم يذكره الفارقي في تاريخه بالرغم من أنه رأى اسمه على السور فهل أن أبا الفوارس اسم لهذا الأمير وليس بكنيته ؟ ومن المحتمل جداً أن أصل العبارة هكذا ".. وولى الحسين بن دوستك أخاه أبا الفوارس ميافارقين." ثم حدث تقديم وتأخير في العبارة سهواً من قبل النساخ ولعله الحسين بن دوستك بأن يكون اسمه حسن، بينما اسم باد هو الحسين وعلى كل فلا يمكننا أن نعلم رأي الفارقي الصريح كما لا يمكن أن تظهر الحقيقة كاملة إلا بالإطلاع على اسم كل منهما في وثيقة لا يتطرق إليها الشك والتغيير وأهمها وأصدقها آثار أبي الفوارس في سور فارقين التي كتب عليها اسمه أو آثار الأمير باد إن كانت وإن عثرت عليها في كردستان الوسطى ولعل الرأي الأول هو الراجح وذلك لما نص عليه الوزير أبو شجاع وهو أقرب المؤرخين من زمن " باد " ومعلوماته

www.alkottob.com

أدق من غيره قاطبة بحكم مركزه في الدولة العباسية وإطلاعه على الأخبار الصحيحة ولاشك أنه أخذ معلوماته من رجال الدولة البويهية وقادة الجيش ممن عاصروا الأمير باد مع العلم أنه تولى الوزارة للخليفة المقتدر سنة (476 هـ - 1084 م) كما أن الفارقي نص على هذا الرأي وأكده أولا ثم حدث سهواً في العبارة من قبل النساخ كما أظن، كما أن ابن الأثير ذكر هذا الرأي أولاً ثم أردفه بالرأي الثاني وبصيغة التمريض "قيل".

أما ما ورد في كتاب الملك البويهي "صمصام الدولة" الموجه إلى قائده وممثله "سعد الحاجب" في نصيبين سنة (375هـ - 985) م من ذكر الأمير بلفظ "باد" مرتين دون اسم "الحسين بن دوستك" فلا يضعف هذا الرأي وذلك لأن الأمير اشتهر بـ "باد" أكثر من اشتهاره باسمه ولاسيما في الخارج وفي الأوساط الدولية آنذاك(26).

قـبيلـة بـاد:

نص كلام الفارقي على أن القبيلة الكردية التي ينتمي إليها الأمير باد هي قبيلة "حاربخت". "كان باد بن دوستك الحاربختي وهو أبو عبد الله الحسين

www.efrin.net
www.alkottob.com

بن دوستك وإنما لقبوه باد، خرج من جبال (باحسمي) وهي ولاية حيزان والمعدن وجمع له الجموع وقطع الطريق وشن غارات على ديار بكر، فلما مات عضد الدولة قوي أمره وكثر جمعه وكان مقامه في باب حيزان والمعدن وحدث نفسه بالملك"(27) وقد ذكر الفارقي نسبة (الحاربختي) لمروان بن دوستك أيضاً ـ كما سيأتي نص كلامه ـ ولكنه لم يذكر شيئاً عن هذه القبيلة ومكانتها بين القبائل الكردية المجاورة. كما أننا لانجد هذا الاسم بين أسماء القبائل الكردية القديمة التي وردت في المصادر القديمة. كمروج الذهب والتنبيه والأشراف للمسعودي وأحسن التقاسيم للمقدسي ومسالك الأبصار لابن فضل الله العمري، وصبح الأعشى، غير أني أرى أن اسم "حاربخت" كما يطلق قديماً ـ كما يظهر من انتساب كل من الأمير باد ومروان إليها مع العلم أن الفارقي قد نص على أن الأخير من قرية "كورماس" التي نعلم بموقعها اليوم في منطقة شيروان ـ يطلق قديماً على أكراد شيروا "شيروان" ومنطقة شيروا هي الواقعة بين سعرد "سيرت" وهيزان "حيزان".

وحاربخت اسم مركب من كلمة "حار" التي هي بمعنى الأصلي والحقيقي

www.efrin.net
www.alkottob.com

وضد الحجازي "زر" وهي مستعملة الآن لدى أكراد طورى "طور عبدين".

وأكراد بوتان، ولعلها عربية الأصل ومحرفة من كلمة "حر" ومركب في كلمة "بخت" و"بخت - بختان - بوهتان - بوتان" هو الاسم التاريخي المشهور حتى في المصادر العربية لمقاطعة بوتان الواقعة في جنوب مقاطعة شيروا والمتاخمة لها من كردستان الخاضعة لتركيا، فمعنى حاربخت البختي الأصلي فنعلم من وجود الاسمين بخت بختان...الخ وحاربخت أن بخت كان يطلق على مقاطعة بوتان و(حاربخت) كان يطلق إلى عهد الفارقي القرن (السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي) على المقاطعة المعروفة اليوم باسم (شيروا) فالبختيون هم القاطنون في المقاطعة الجنوبية (بوتان) وحاربختيون هم أكراد المقاطعة الشمالية (شيروا) وكلتا الطائفتين من أصل واحد، مع العلم أن هذا الالتقاء لم ينس إلى عصرنا هذا، فلا يزال أكراد بوتان وأكراد شيروا يذكرون أنهم من أصل واحد، أي من عشيرة قديمة واحدة، ويدعى الشيرويون هذا الالتقاء وصلة القرابة بكل حرارة.

فعلى هذا أن اسم شيروا اسم محدث حل محل اسم "حاربخت" بعد

www.alkottob.com

اندثاره مع العلم إن الاسم الأخير كان باقياً حتى القرن (السادس الهجري ـ الثاني عشر الميلادي) الذي عاش فيه الفارقي. أما اسم شيروا فكان موجوداً أو متداولاً في القرن (العاشر الهجري ـ السادس عشر الميلادي) حيث ورد عشرات المرات في (شرفنامه) إسماً للمقاطعة المذكورة في حين لم أجد فيه اسم حاربخت فعلى هذا فان اختفاء الاسم القديم وظهور الاسم الجديد (شيروا ـ شيروان) حدث في الفترة الواقعة بين القرن (السادس والعاشر الهجري ـ الثاني عشر والسادس عشر الميلادي)(28).

إذن إن الأمير باد بن دوستك كان أحد أبناء قبيلة "حاربخت" ومن أكراد مقاطعة شيروا المشهورين بالبسالة والإقدام.

أما ما جاء في معظم المصادر التاريخية كالكامل، والعبر، وذيل تجارب الأمم، والدول والإمارات الكردية، (29) من أن الأمير باد كان من الأكراد الحميدية فلا أراه صحيحاً مع العلم أن الحميدية كانت في (عقرة ـ أكَرى) وأطرافها حتى اشتهرت مدينة عقرة الواقعة في شمال شرقي الموصل في كردستان العراق بـ (عقرة الحميدية)، وذلك لأن التاريخ لم يثبت كيف أن هذا

www.alkottob.com

الأمير أو والده ترك منطقة عقرة وهاجر إلى مقاطعة شيروا البعيدة عن الأولى بمسافة أيام ولماذا هاجر ؟ فنعتمد إذن على قول الفارقي في انتسابه إلى حاربخت. ولما وجد المرحوم حسين حزني المكرياني في بعض المصادر، أن باد من الأكراد الحميدية قال : إن دوستك هاجر من المنطقة إلى ديار بكر إثر خلاف نشب بينه وبين ابن عمه فذكر مالم يذكره أي مؤرخ، وملأ تاريخ هذه الدولة بأشياء لاصحة لها، وذلك في كتابه الصغير "بيشكه وتن" وبدافع التعصب القومي.

هذا وإن أول مؤرخ قال بكون الأمير من الأكراد الحميدية هو الوزير أبو شجاع كما سيأتي كلامه. ولعله سمع ذلك من بعض الأكراد الحميديين. كما أن ابن الأثير صرح بأنه نقل بعضاً من أخبار الأمير باد منهم لأنهم كانوا يعتنون بأخباره. ولعل هذا الادعاء جاء عن طريق الأكراد الحميدية لأنهم كانوا يفتخرون بهذا الأمير بدافع الشعور الكردي ويتباهون ببطولاته حتى كانوا يهتمون بأخباره ويروونها ويتناقلونها إلى عهد المؤرخ ابن الأثير أي بعد مرور ما يقارب (250) سنة على عهد الأمير باد مما دفعهم إلى الادعاء بأنه

www.efrin.net
www.alkottob.com

من قبيلتهم. وإن في التاريخ أمثلة كثيرة على ادعاء قبائل وأسر متعددة وانتساب شخصيات تاريخية ورجال بارزين إليها، وبالعكس أيضاً كالانتساب إلى خالد بن الوليد مثلاً الذي ثبت تاريخياً أن ذريته انقرضت في القرن (الأول الهجري ـ السابع الميلادي) (30) ومن الجدير بالذكر أن ابن خلكان قد زاد في ترجمة نصر الدولة نسبة "الحميدي" أيضاً (31) متبعاً بذلك أستاذه ابن الأثير والوزير أبا شجاع.

أســــرتـــه:

إن البحث عن أسرة الأمير باد لا يقل صعوبة عن البحث عن قبيلته، فلا نجد في المصادر شيئاً بهذا الصدد ما عدا ما ذكره ابن الأثير من أن الأمير باد كان راعياً في ابتداء أمره..ولهذا ولكي نؤكد على أن أسرة باد كانت في الواقع تتمتع بمكانة اجتماعية بارزة بين أكراد مقاطعة (شيروا) ـ لابد من إسقاط رواية ابن الأثير التي أخذها عن بعض أصدقائه من الأكراد الحميدية والتي أصبحت مشهورة بطريق (المعنعن الخفي) أي رواها ونقلها مؤرخ عن آخر بدون ذكر اسم الراوي الذي قبله، ولهذا يعتبر هذا النوع من الرواية

www.alkottob.com

(خبر الواحد) حيث أن الراوي واحد في الأصل وهو ابن الأثير.

إن إسقاط هذه الرواية هو في نفس الوقت إثبات للمكانة الاجتماعية البارزة للأسرة المذكورة مع العلم أن مثل هذه المكانة الاجتماعية ليس شرطاً ضرورياً للوصول إلى المجد فقد ارتقى الكثيرون من رجال التاريخ إلى قمة المجد بقوة عضلاتهم وكفاءتهم من غير أن يرثوه كابراً عن كابر مما هو أدعى للفخر والاعتزاز كما قال أمير شاعر :

(... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب)

أي أنه يفتخر بوصوله إلى الزعامة بقوته وقابليته لاعن طريق أبيه وأمه. لست أبتغي من هذا التكلف إلا إثبات حقيقة تاريخية مطموسة تحت الرواية المشهورة غير الصحيحة المتمثلة في ما ذكره ابن الأثير في الكامل نقلاً عن بعض من الأكراد الحميديين حيث قال : "وحدثني بعض من أصدقائنا من الأكراد الحميدية ممن يعتني بأخبار باد..".

فقال ما نصه : "... وكان (أي باد) في ابتداء أمره يرعى الغنم وكان جوّاداً كريماً يذبح الغنم الذي له ويطعم الناس فظهر عليه اسم الجود واجتمع

www.alkottob.com

إليه الناس وصار يقطع الطريق وكلما حصل له شئ أخرجه فكثر جمعه "(32).

وهذا القول وإن يطابق قول الفارقي المذكور من بعض النقاط،إلا أن الفارقي لم يذكر أنه كان يرعى الغنم. وإذا أمعنا النظر في محتوى هذه الرواية من أن باد كان من أسرة فقيرة جداًحتى أنه كان راعياً ثم أنه وهو ابن هذه الأسرة عديمة الشأن أصبح قاطع طريق.. الخ. وعرضنا الرواية على القواعد التاريخية نرى أنها لا تتلاءم مع قاعدة القياس أي قياس حادثة تاريخية على أخرى ومقارنتها بها ولا يخفى أن هذه أهم شيء لدى المؤرخ يستطيع بواسطتها التمييز بين الصحيح والفاسد من الأخبار (33). قياسنا هنا هو حمل ومقارنة العلاقات العائلية بين أسرة باد ومروان على العلاقات العائلية بين أسرة مروان والأسرة البشنوية الحاكمة في قلعة "فينك" التاريخية، إذ أن المصاهرة الموجودة بين أسرة مروان والأسرة البشنوية حيث أن والدة أبي طاهر البشنوي أمير فينك كانت بنت مروان حسبما ذكره ابن الأثير (34) تشير إلى ماكان لمروان من مكانة اجتماعية بارزة لأنه إذا علمنا من طبائع

www.alkottob.com

وعادات الشعب الكردي بل الأسرة الأرستقراطية منه لعلمنا أنه لولم يكن لأسرة مروان مثل تلك المكانة اللائقة لما كانت هناك مصاهرة بين الأسرتين لفقدان التكافؤ ولأن التماس أمراء فينك (35) الأقوياء مع أنفتهم وتعاليهم مصاهرة رجل من العامة بعيد عن مقاطعتهم بعيد كل البعد.

وأما بصدد المصاهرة بين أسرتي باد ومروان فقد قال الفارقي ما يلي :

(كان مروان بن لكك الحاربختي صهر باد على أخته. كان له منها أربعة أولاد وكان أكبرهم الأمير أبو علي الحسن، والثاني سعيد، والثالث أحمد، والربع كك، وكان من قرية بين اسعرد والمعدن تسمى (كرماص) وهي الآن عامرة وكان لكل من أولاده جماعة، وكان لمروان طاحونة يشغلها وكانوا رؤساء (كرماص) ومقدميها). (36) وهكذا قال أيضاً ابن تغرى بردى (37) وإذا اقتنعنا هكذا بما كان لمروان من مركز اجتماعي في قريته بل في منطقته حتى أن أمراء قلعة فينك الأقوياء تصاهروا معه كما ذكرنا، نعلم بأن لأسرة باد أيضاً مركزها الاجتماعي في المنطقة بصورة تضاهي مركز أسرة مروان ونعلم بأنها ليست أسرة فقيرة عديمة الشأن، وأن باد لم يكن في أيامه الأولى راعياً بسيطاً كما

www.alkottob.com

تنص عليه رواية ابن الأثير المذكورة (38).

فضلاً عن هذه الحقيقة التي تتجلى من المقارنة بين الأسرتين هناك احتمال كونهما أسرة واحدة وكون الأمير باد ومروان أخوين من أمين وأب واحد بدليل :

1- اسم والديهما دوستك عند بعض المؤرخين.

2- ينتسب كل منهما إلى قبيلة واحدة وهي حاربخت.

3- ينتمي كل منهما إلى منطقة واحدة وهي الواقعة بين سعرد وهيزان، أي منطقة شيروا (شيروان) ولاتزال قرية (كورماس) عامرة في أيامنا هذه ومشهورة مع العلم أن الفارقي لم يحدد منطقة باد بمنطقة هيزان بل قال أنه "خرج من جبال (باحسمي) وهي ولاية حيزان والمعدن" فمعدن هي غير هيزان (حيزان) ويستفاد من مصادر تاريخية وجغرافية قديمة أن معدن تقع بين سعرد وهيزان (39) وما بينهما هي شيروا، وقد جمع المرحوم محمد علي عوني بين القولين أي كون الأميرين أخوين من أسرة واحدة وكون مروان صهر باد على أخته أي زوج أخته.

www.efrin.net
www.alkottob.com

وقال أن مروان تزوج أخت باد من أمه فهما أخوان من أب واحد وأُمَّيْن، وأخت باد من أب آخر، فالدولة هي دوستكية وليست دوستكية ومروانية.(40) أي أنها دولة واحدة وهي التي أسسها الأمير باد، فلاداعي لتسميتها بالدوستكية والمروانية ونسميها الدولة الدوستكية نسبة إلى دوستك والد الأمير (باد) التي تولاها بعده أبناء وأحفاد مروان مع أنه ورد في (بغية الطلب) ما ينص ـ إن كانت العبارة سليمة من الخطأ ـ على أن باد ومروان أخوان فجاء فيه : (أن نصر الدولة ابن أخي باد الكردي) (41) ولكن لانستطيع أن نأخذ بقوله ونجعل (خبر الواحد) دليلاً قاطعاً في حين يحتمل أن تكون العبارة هكذا (نصر الدولة ابن أخت باد الكردي) علماً بأننا نجد أخطاء مشابهة غير قليلة في المصادر من هذا القبيل أي أخطاء حدثت من قبل النساخ أو المطابع. فورد مثلاً في تاريخ ابن بطريق : " إن باد أرسل أخاه أبا علي لمساعدة السقلاروس" كما سيأتي نص كلامه (42) في مكان آخر من هذا الكتاب فيحتمل أن يكون الصواب "ابن أخيه" أو "ابن أخته" بدليل أنه قال في صفحة 210 : إن ممهد الدولة هو ابن أخت باد الكردي.

www.alkottob.com

ورد في المصادر التاريخية التي تحدثت عن الأمير باد، أن اسم والده "دوستك" ما عدا (ذيل

حول أسم كل من والد الأمير باد بن دوستك

www.alkottob.com

تجارب الأمم) حيث ورد فيه "دوشنك" ويحتمل جداً أن يكون "دوشنك" تصحيفاً من "دوستك"(43). وما عدا (العبر) حيث ورد فيه (دوشتك) وما عدا كتاب "بيشكه وتن" أيضاً للموكرياني حيث ورد فيه "دوشتيك" (44).

أما بصدد اسم والد مروان فاختلفت المصادر فيه. فورد فيها "دوستك" و (لكك) و (كسرى) و (مزيد). أما الأول فقد ذكره ابن خلكان في ترجمة حياة نصر الدولة وتبعه ابن العماد لأنه أخذ الترجمة منه، وذكره أيضاً الذهبي، أما ابن خلكان نفسه فقد اعتمد في ترجمة نصر الدولة على الفارقي (ابن الأزرق) كما صرح بذلك ولكنه خالفه في نقطتين هامتين وهما: اسم والد مروان، حيث ذكر اسم (دوستك) بينما ورد في تاريخ الفارقي (لكك) والثانية نسبة (الحميدي) بينما ذكر الفارقي نسبة (حاربختي). ومع هذا لم يذكر سبب مخالفته للفارقي ولعله اعتمد في ذلك على مصادر لم نجدها.

أما المصادر التاريخية : الكامل، العبر، ذيل تجارب الأمم، المختصر في أخبار البشر، البداية والنهاية.. فسكتت عن ذكر والد مروان بأي اسم كان

www.alkottob.com

.(45)

أما لكك فورد في تاريخ الفارقي مرة واحدة كما مر نص كلامه (46).

وإني أقول أن اسم والد مروان حتى إذا لم يكن دوستك فليس بـ لكك إذ لم يوجد هذا اللفظ اسماً في التاريخ الكردي وغيره، ولم يسمع به، كما أنه غير واضح المعنى ولهذا أقول أن لكك تصحيف من (كك ـ كه ك) فأصل عبارته كان هكذا :(مروان بن الكك) بالألف واللام (أل) ثم تركت كتابة الألف سهواً من قبل الناسخ فبقيت العبارة (مروان بن لكك) وهكذا طبعت. أما كك الذي هو باللغة الكردية بمعنى (الأخ) فقد ورد اسماً في التاريخ الكردي قريباً أو بعيداً، كمبارز الدين (كك) أمير (عقرة ـ آكري) المشهور في التاريخ والذي عاش في القرن (السابع الهجري ـ الثالث عشر الميلادي) كما أن مروان سمى أحد أبنائه بـ كك ولعله قصد بذلك إحياء اسم والده، إذا ثبت له هذا الاسم...

هذا وقد أرجع الفارقي أكثر من مرة (بني العم)، أي أبناء عم نصر الدولة إلى جدهم كك، وذكر خمسة من أعمام نصر الدولة وأخوة مروان وتلك النصوص العديدة في تاريخه(47) تؤكد لنا أن والد مروان كان اسمه كك وأنه

www.efrin.net

www.alkottob.com

غير كك بن مروان أخي الملوك لأنه ذكر الأخير لم يرد في تاريخ الفارقي المطبوع سوى مرة واحدة فقط في (ص59) مما يظن أنه مات صغيراً، أو لم يعقب ذرية ولم يكن له شأن أو أدخل هذا الاسم في التاريخ المذكور توهماً (48).

وأعطانا الفارقي اسم والد كك أيضاً، أي اسم جد مروان أبي الملوك وهو كك أيضاً، حيث قال عند ذكر أبناء عم نصر الدولة (.... فمنهم الأمير مرزبان بن بلاشو بن كك بن مروان) غير أنه أورد اسمه مرة واحدة فقط. وهذا في حالة سلامة العبارة من تحريف الناسخ.

ورغم أني اعتمدت على الفارقي في السلالة الدوستكية لا أستطيع أن أرجح قوله في خارج نطاق تاريخه كما لا أستطيع أن ارجح رأي ابن خلكان وغيره. كما أن المقام غير بعيد عن اللبس والتوهم كأن قيل توهماً (مروان بن دوستك) بعد أن تكررت عبارة "باد بن دوستك" حيث ظن من القرابة وتداخل أخبار باد ومروان وأبنائه أن مروان هو أخو باد. أما "كسرى" فقد ورد في النجوم الزاهرة. ولعله تحريف من قبل الناسخ أيضاً، مع العلم أنه

www.alkottob.com

توجد أخطاء لفظية وأخطاء مشابهة كثيرة في هذا الكتاب "طبعة مصر 1954".(49) أما مزيد فورد في تاريخ الإسلام الكبير المخطوطة ورقة "97"(50).

ولعل مزيد تصحيف لمروان من قبل الناسخ أيضاً وعسى أن تنقشع هذه الاختلافات وتزول تلك الاحتمالات في المستقبل وذلك حين العثور على اسم والد مروان أو على أحد آثار الدولة بجانب اسمه واسم أحد أبنائه أو أحفاده أو في بعض المصادر التي لم نعثر عليها لحد الآن ككتاب "الجامع للتواريخ" للطبيب أبي نصر التكريتي.

www.alkottob.com

أستلاء الدولة البويهية و على كردستان الجنوبية والوسطى

بعد أن استولى الملك عضد الدولة على الحكم في العراق وأخرجه من يد عز الدولة بختيار البويهي سنة (367 هـ - 977 م)(51) صمم على القضاء على الدولة الحمدانية في الموصل، وكردستان الوسطى، وقسم من كردستان الجنوبية. فتوجه على راس قوات كبيرة إلى الموصل وسيطر عليها وانهزم أمامه الأمير أبو تغلب الحمداني (52) إلى نصيبين، فأرسل في طلبه قوة عسكرية عن طريق سنجار، وأخرى عن طريق جزيرة بوتان (جزيرة ابن عمر). أما أبو تغلب فلم يقدر أن يواجه القوات البويهية فسار إلى (فارقين) ثم إلى (بدليس). وكان القائد البويهي أبو الوفاء طاهر بن محمد يتعقبه ثم رجع أبو تغلب إلى حسنية (زاخو) والى قلعة (كواشئ) (53)

www.alkottob.com

وغيرها من القلاع الكردية في منطقة بهدينان، وأخذ أمواله الموجودة فيها ثم توجه إلى بدليس ثم إلى (حصن زياد) خربوت مركز ولاية (آلزك ـ العزيز) وكان أبو تغلب يهدف إلى الحصول على مساعدات عسكرية من (ورد) البيزنطي، ولما يئس من مساعدته رجع إلى مدينة ديار بكر (آمد).

أما أبو الوفاء فإنه حاصر مدينة (فارقين) واستولى عليها بعد حصار دام حوالي ثلاثة أشهر وبعد دفاع مجيد من واليها (هزارمير)، كما استولى على جميع حصون ديار بكر ومدنها بضمها مدينة ديار بكر بعد أن فر منها أبو تغلب. وهكذا مدت الدولة البويهية سيطرتها على هذا الجزء من كردستان بكامله تقريباً وذلك في سنة (368 هـ ـ 979 م) وفي نفس السنة أرسل عضد الدولة الجيوش إلى (منطقة بهدينان) الداخلة ضمن مقاطعة (هكارية) حسب التعريف القديم واحتل كافة قلاعها بضمنها : قلعة كواشي، وهرور (قلعة قومري الواقعة في به روارى زوري)، ومه لاسي، وبرقى، وشعبانية(54).

وفي سنة (379 هـ ـ 990 م) جرد الملك البويهي جيشاً على منطقة شهرزور وهكذا استولت الدولة البويهية على كردستان الجنوبية والوسطى

www.alkottob.com

بصورة عامة.

الأمير باد وعضد الدولة

ولما جاء عضد الدولة بقواته العسكرية سنة (368 هـ ـ 979 م) لاحتلال الموصل وكردستان الوسطى والجنوبية قدمت عليه شخصيات بارزة لتقديم الولاء والطاعة، وكان الأمير باد قد قدم هو أيضاً على عضد الدولة. ولكن كيف كانت وفادته وعلاقاته مع الملك الجديد فبهذا الصدد قال المؤرخ الكردي محمد أمين زكي في (الدول والإمارات الكردية ص96) نقلاً عن المرحوم حسين حزني المكرياني(55) :

(إن باد أقدم على تكوين علاقات ودية مع عضد الدولة وأنه قدم مساعدة جدية للجيش البويهي لكسر شوكة الأمير أبي تغلب الحمداني. وما أن دخل

www.alkottob.com

عضد الدولة "أي الموصل" حتى خف باد لمقابلته..) وقال الوزير محمد بن الحسين الروذ راوري (فلما حصل عضد الدولة الموصل حضر "أي باد" على الباب بواسطة زيار بن شهر اكويه ثم هرب..)(56).

وأما ابن الأثير الجزري وابن خلدون فلم يزيدا على قولهما :

إن باد حضر عنده في جملة الوفود.. (57)

وبهذا الصدد أرى أن ما قاله محمد أمين زكي من تقديم المساعدة العسكرية بعيد عن الحقيقة وذلك لأن الأمير الحمداني لم يبد مقاومة تذكر حتى يقدم الأمير باد المساعدة للجيش البويهي. كما أن عزم عضد الدولة على قتل الأمير باد أو اعتقاله يدل على أنه لم يبادر إلى الترحيب بالاحتلال البويهي، وقد حس بذلك الملك ولهذا أراد التخلص منه كما أن تأخره لمقابلة الملك ثم مجيئه إلى الموصل بواسطة زيار يشير إلى أنه لم يكن على وئام معه وأنه كان يفكر في تأسيس حكومة مستقلة ومجابهة البويهين. وأما ما قاله الوزير ـ ومعلوماته أدق من غيره بسبب قربه من عهد باد فيشير إلى أن العلاقات لم تكن حسنة بين الطرفين حتى أن باد كان حذراً من عضد الدولة يتوقع منه الشر ولم يجيء إليه

www.efrin.net
www.alkottob.com

إلا بتوسط (زيار بن شهراكويه) أكبر قادة الملك وصديق الأمير كما قال الفارقي في مكان آخر وهو الذي أوفده (صمصام الدولة) سنة (373هـ - 984م) إلى (باد) لتفادي الحرب بين الطرفين(58).

ذكاء باد وإفلاته من قبضة الملك:

لما وفد الأمير باد إلى الموصل وقابل عضد الدولة أدرك لأول مرة بفضل ذكائه وفراسته ويقظته سوء نيته وتيقن أنه يسجنه أو يقتله إن لم ينج بنفسه، فخرج مع مرافقيه من الموصل سراً. وبهذا الصدد قال ابن الأثير " فلما رأى باد عضد الدولة خافه وقال : ما أظنه يبقي عليَّ فهرب حين خرج من عنده (أي من مجلسه) وطلبه عضد الدولة بعد خروجه ليقبض عليه وقال له (أي لباد) بأس وشدة وفيه شر لا يجوز الإبقاء عليه فأخبر (أي عضد الدولة) بهروبه فكف عن طلبه".(59)

هكذا شخص عضد الدولة الملك الذكي الحازم من ملامح الأمير باد الشجاعة والكياسة وشدة البأس والقوة البدنية الفائقة، وتوقع انه سيخلق له

www.alkottob.com

مشاكل فعزم على التخلص منه ولكن باد لم يكن أقل منه ذكاء ودهاء فقد أدرك جيداً نوايا عضد الدولة فاستطاع أن ينجو من يده وهو بعيد عن موطنه بمسافة أيام.

وقد اعتبر الوزير شعور الأمير باد بنوايا عضد الدولة فراسة تدل على دهائه حيث ذكر هذه الحادثة بهذا العنوان.

www.alkottob.com

التوسع في بحيرة وان

لم أحصل رغم البحث الزائد والمراجعة المضنية على خبر يوضح بداية وكيفية توسع الأمير باد في منطقة بحيرة (وان). فلم يذكر المؤرخون تاريخ وكيفية استيلائه على مدن : بدليس، خلاط، ملازكَر، ارديش، وان أول خبر سجله التاريخ لهذا الأمير كان من سنة (368 هـ - 979 م) عندما وفد إلى الموصل ثم تركه في فترة مجهولة إلى أواخر سنة (372هـ - 983 م) عندما احتل إقليم ديار بكر وأخذه من البويهيين.

والذي يستفاد من سياق كلام كل من الوزير، وابن الأثير، وابن خلدون،

www.efrin.net
www.alkottob.com

هو أن الأمير باد كان يقوم بغارات على الحدود البيزنطية قبل أن يفد إلى الموصل في السنة المذكورة، وقبل توسع البويهيين في كردستان الوسطى، أو بالأحرى في إقليم ديار بكر، مما يدل على انه توسع في المناطق الكردية المتاخمة للحدود البيزنطية من منطقة بدليس، خلات، ارديش، وملازكَر وانه كات متغلباً على منطقة كبيرة عندما وفد إلى الموصل ولذا اهتم بشأنه عضد الدولة وخاف من احتمال توسعه في المستقبل فقال الوزير :

"باد لقب وهو أبو عبد الله الحسين بن دوشنك من الأكراد الحميدية وكان يتصعلك كثيراً ويمضي إلى الثغور ويغزو بها دائماً، وكان فظيع المنظر، عظيم الهيكل، فلما حصل عضد الدولة بالموصل حضر على الباب بواسطة زيار بن شهراكويه ثم هرب..."(60) وقال ابن الأثير :

(...وكان ابتداء أمره "أي شأن باد" انه كان يغزو بثغور ديار بكر كثيراً، وكان عظيم الخلقة له بأس وشدة. فلما ملك عضد الدولة "الموصل" حضر عنده فلما رأى..الخ).

وهكذا قال ابن خلدون (61) أما تاريخ توسعه في المناطق المذكورة فلا

www.efrin.net
www.alkottob.com

نستطيع تحديده بسنة معينة وإنما كان بعد سنة (356 هـ - 967 م) إذ أن تلك المناطق بالإضافة إلى إقليم ديار بكر حتى حدود (ماردين) وحتى رستاق (أبنين) المجاور لمنطقة (طورى) كانت تحت حكم (سيف الدولة الحمداني) بينما الموصل حتى الجزيرة ونصيبين و(رأس العين) كانت بيد أخيه (ناصر الدولة) وبعد أن توفي سيف الدولة سنة (356هـ - 967م) وضع ابن أخيه (أبو تغلب) يده على إقليم ديار بكر. أما المناطق المذكورة فلا نجد دليلاً على أنها كانت أيضاً في يده. أما وصوله إلى بدليس وارزن الروم في انهزامه أمام البويهيين فليس دليلاً كافياً على أنها كانت تحت حكمه فمن المحتمل جداً أن الأمير باد توسع في تلك المناطق بعد وفاة سيف الدولة بمدة قليلة وأن بقيت تحت حكم أبي تغلب مدة فلم تكن له عليها سيطرة فعلية.(62)

www.efrin.net
www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.efrin.net

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.efrin.net

www.alkottob.com

الأستيلاء على مدينة أرديش

ذكر عدد من المؤرخين كالوزير أبي شجاع وابن الأثير وابن خلدون،

www.alkottob.com

ومحمد أمين زكي، (63) أن مدينة أرديش "أرجيش" (64) كانت أول مدينة احتلها الأمير باد من دون التعرض لتاريخ وكيفية احتلالها، ولكني أنتقد ماذهب إليه أولئك المؤرخون ولا أوافقهم على رأيهم هذا حيث أرى أن أرديش لم تكن أول مدينة فتحها الأمير باد وذلك بدليلين :

1- الدليل الجغرافي :

إذا نظرنا إلى جغرافية منطقة "بحيرة وان" نجد أن البحيرة تقع فاصلة بين منطقتي شيروا وهيزان (مركز انطلاق الأمير باد) الواقعتين في جنوبها الغربي وبين مدينة أرديش الواقعة في شمالها الشرقي والطريق الموصل بين مركز الانطلاق وبين أرديش أما أن يكون :

أ ـ طريق الساحل الغربي الشمالي.

ب ـ طريق الساحل الجنوبي الشرقي.

ج ـ الطريق البحري.

وفي الحالة الأولى تقع على الطريق كل من مدينة خلاط، والجواز

www.alkottob.com

مباشرة، ومدينة بدليس بصورة غير مباشرة.

أما في الحالة الثانية فتقع على الطريق مباشرة مدينة وسطان، وان، ومدينة مرادية "به ركَرا ـ بركرى" بصورة غير مباشرة.

وفي أي من الحالتين لابد من احتلال ما لا يقل عن مدينتين قبل الوصول إلى أرديش.

أما في الحالة الثالثة فلابد أن تكون لدى الأمير باد سفن بحرية كافية لاستيعاب جيشه، وهذا بعيد كل البعد.

2 ـ الدليل العسكري :

إن الاستيلاء على مدينة أرديش البعيدة أولاً وقبل السيطرة على المدن الواقعة على أحد الطريقين البريين، بل الأراضي الواقعة على أحد الطريقين بعرض يمكن الاحتفاظ به ـ ينافي الفن العسكري، لأن وصول قوات عسكرية إلى نقطة بعيدة عن القواعد ولاسيما عن القاعدة الخلفية الرئيسية بمسافة أيام بدون السيطرة التامة على طول الطريق ولاسيما النقاط الحساسة

www.alkottob.com

وتحكيمها ـ معناه الانعزال عن القواعد، مما يسهل لدى العدو ضربها من الخلف وقطع الإمدادات عنها وقطع مواصلاتها. وان مثل هذا الخطأ العسكري بعيد عن قائد فطن ناجح مثل الأمير باد.

وهكذا أرى من خلال دراستي المستقلة لهذه النقطة وتفسيري الجغرافي والعسكري لها ـ بعدما قاله ذلك الفريق من المؤرخين بصدد احتلال أرديش، ولعل بالإمكان فرض احتمال بعيد يتفق مع رأيهم. وإذا ثبتت في المستقبل صحة رأيهم بدلائل قاطعة أو بمعلومات أوضح فإن ذلك لا يؤاخذني على انتقادي لهم بدلائل معقولة.

كان الأمير (باد) يقوم بغارات على الحدود البيزنطية كما ذكرنا سابقاً، (65) وذلك قبل سنة

www.alkottob.com

معاهدة مع الأمبراطورية البيزنطينية

www.alkottob.com

(368هـ - 978 م) أي قبل أن يستحكم العداء بينه وبين الملك البويهي (عضد الدولة) وبالأحرى قبل توسع الحكم البويهي في كردستان الوسطى، وبعد استحكام العداء ورجوع الأمير باد من الموصل ـ كما أرى ـ حدث تحول في سياسة الأمير الكردي حيث أنه تقارب مع الإمبراطورية البيزنطية واتجه نحو السلم فعقد معها هدنة وعلاقات ودية حتى يتفرغ للتوسع في المناطق الكردية التي سيطرت عليها الدولة البويهية ويستعد للتصادم معها ومجابهتها الفعلية.

ويشير تقرير (أبي اسحاق محمد بن عبد الله بن محمد بن شهرام الذي مثل الملك البويهي في المفاوضات مع الدولة البيزنطية)(66) إلى ماكان بين الأمير باد والدولة البيزنطية من علاقات صداقة متينة تعقد عادة بعد دخول الطرفين في هدنة ومعاهدة سلام. فقد نص كلام (ابن شهرام) على أن الأمير باد كان يحمل إلى الإمبراطور البيزنطي أموالاً على سبيل الملاطفة أي أن إرسال الأمير الكردي الأموال والهدايا لم يكن إجبارياً مفروضاً عليه وإنما كان على سبيل الملاطفة والصداقة كما تدل عليه كلمة "الملاطفة" كما أن مطالبة الدولة

www.alkottob.com

البويهية في عهد عضد الدولة من الدولة البيزنطية أثناء المفاوضات بين الدولتين ـ بإدخال المناطق المسيطر عليها من قبل الأمير باد في نطاق الهدنة، وفي ضمن الأراضي التي تطالب بها الدولة البويهية والمتاخمة للحدود البيزنطية وتركها لسيادتها كحمص وحلب ـ تدل على ماكان بين الأمير باد والدولة البيزنطية من المعاهدة وعلاقات الصداقة. هذا وإني لست متأكداً هل أن الأمير باد كان على نوع من الخضوع والارتباط بالدولة البيزنطية وانه كان تحت حمايتها، وأن علاقاته بها لم تكن مجرد علاقات صداقة فقط أو لا ؟.

ومن المحتمل أن تكون بين الطرفين اتفاقية ضد الدولة البويهية تشد بموجبها الدولة البيزنطية أزر الأمير باد وتساعده عسكرياً في مجابهته مع الدولة البويهية وكفاحه في سبيل تأسيس الدولة الكردية وتمنحه حق الدخول إلى أراضيها في حالة اندحاره وظفر البويهيين.

ولعل الملك البيزنطي (بسيليوس) أظهر حمايته ومساندته للأمير الكردي لمناورة سياسية وتهديداً للملك البويهي بالمثل. حيث أن بقاء (ورديس السقلاروس) الثائر في الأراضي البويهية كان يخوف الملك البيزنطي من

www.alkottob.com

احتمال تقديم الملك البويهي المساعدات العسكرية والمالية إليه وإرساله إلى الأراضي البيزنطية للقيام بالثورة.

وان كان الأمير باد على نوع من الارتباط والحماية إلا أنه لم يكن خاضعاً للدولة البيزنطية مثل (سعد الدولة الحمداني) صاحب حلب وحمص الذي كان يدفع الخراج السنوي إلى البيزنطيين كما نص عليه كلام (ابن شهرام) فقد رأى خراج (حلب) وهو في (قسطنطينية) قد وصل إلى خزينة الدولة البيزنطية. فبينما ذكر خراج حلب باسم "الخراج" لم يذكر الأموال التي يقدمها الأمير باد إلى الملك البيزنطي باسم (الخراج) وإنما ذكرها باسم "الملاطفة".

وقد أبدى الأستاذ العلامة الدكتور مصطفى جواد رأيه خطياً بهذا الصدد ويرى أن الأمير باد كان تابعاً للدولة البيزنطية حسب تفسيره لكلام ابن شهرام الوارد في (ذيل تجارب الأمم).

وهذا نص رسالة الأستاذ الدكتور مصطفى جواد المؤرخ والعالم اللغوي البارع الذي توفي مع الأسف الشديد في 19/12/18ومهما تكن علاقات الأمير الكردي بالدولة البيزنطية فإنها أقلقت الدولة البويهية حتى طالب

www.efrin.net
www.alkottob.com

"عضد الدولة" من الملك البيزنطي إدخال إمارته ضمن الأراضي التي تدخل في نطاق الهدنة. أي الاعتراف بالسيادة البويهية عليها وقطع علاقاته معها نهائياً، وعدم اعتبارها إمارة مستقلة أو إقليماً مستقلاً.

أما الملك صمصام الدولة فانه قد تخلى في المفاوضات عن ضم أراضي باد إلى دولته فتركها وشأنها من العلاقات مع الدولة البيزنطية ولكنه شرط على الملك البيزنطي عدم تقديم مساعدات عسكرية إليه وعدم منحه حق اللجوء إلى دولته في حال اندحاره أمامه.

هذا وقد وردت الإشارة إلى العلاقات القائمة بين الأمير باد والدولة البيزنطية التي كانت ولاشك نتيجة معاهدة سلم بين الجانبين في مفاوضات الهدنة التي جرت بين الدولتين البويهية والبيزنطية سنة (372 هـ - 982 م) والتي كانت نتيجة اتصالات سابقة تعود إلى سنة (370 هـ - 980 م) أو قبلها إذ أن الملك البيزنطي كان يلاطف عضد الدولة ويحاول إقناعه في إلقاء القبض على الثائر البيزنطي "ورديس السقلاروس" - وهو ورد بن منير في

www.alkottob.com

التاريخ الإسلامي ـ وتسليمه إليه. إذ كان يتوقع من بقائه لاجئاً في الأراضي البويهية الإسلامية تحريض الملك البويهي إياه على الثورة ضده في المستقبل وخلق المشاكل له عن طريق ورديس وفعلاً ساعده على الثورة الملك صمصام الدولة سنة (375 هـ ـ 985 م) ونتيجة للمحاولات البيزنطية اعتقل عضد الدولة (ورديس) سنة (370 هـ ـ980 م) ولكنه لم يسلمه إلى الملك البيزنطي بل شرع في التفاوض والحصول على امتيازات مقابل تسليمه فأرسل مندوبه (ابن شهرام) الدبلوماسي البارع إلى (قسطنطينية) سنة (372 هـ ـ 982 م) للتفاوض مع الملك وعقد هدنة لمدة عشر سنوات وكانت أهم شروط الملك البويهي للهدنة تسليم البيزنطيين إليه عدة حصون من إقليم ديار بكر كانوا قد أخذوها من المسلمين قبل العهد البويهي، والمطالبة بانسحاب الدولة البيزنطية من التدخل في شؤون إمارة (سعد الدولة ابن سيف الدولة الحمداني) التي مركزها (حلب) والتي كانت تحت حمايتها وتدفع إليها الخراج والاعتراف بكونها جزءاً من الأراضي البويهية الإسلامية وتسليمها إليها (67) والشرط الثالث الذي يهمنا هو المطالبة بإدخال إمارة

www.alkottob.com

باد المعبر عنها بـ (بلد باد) ضمن نطاق الهدنة والاعتراف بكونها جزءاً من الدولة البويهية وقطع علاقاتها معها أو التخلي عن حمايتها.

وقد وافق الملك البيزنطي (بسيليوس) على شروط الملك البويهي بعد مناقشات ومفاوضات طويلة مع (ابن شهرام) ولكن الأخير خاف من احتمال وفاة (ورديس) أثناء المفاوضات فيكون حينئذ خط الهدنة أو خط الحدود بين الدولتين نهر الفرات في سورية إلى إمارة باد التي تشمل على جزء من شمال بحيرة (وان) بالإضافة إلى مناطق بدليس وهيزان، وشيروا، فتبقى حلب وحمص خارج الخط فقال (ابن شهرام) في هذا الصدد حسبما أورده الوزير أبو شجاع " وأشفقت أن يعرض من المقادير في موت من قد طلبوا تسليمه (يقصد ورديس السقلاروس) ما يعرض مثله فنخرج من الجميع بغير منية وتحصل الهدنة على بلدنا إلى دون الفرات وبلد باد بغير حلب.."

(قال ابن شهرام) : (فهل لك أيها الملك "أي البيزنطي" في أمر قد وقع لي أنه صواب؟ قال ما هو ؟ قلت نكتب كتاباً بالهدنة بيننا وبينك عن جميع مافي أيدينا "أي المسلمين" من حمص إلى بلد باد ولا تذكر فيه حديث من قد

www.alkottob.com

التمست تسليمه ولاغيره.. قال : "أي الملك البيزنطي" فإنني أكتب شرطين أحدهما عما قطع الفرات وبلد باد والآخر بذكر حمص وحلب على الشرط).

(68)

بالرغم من موافقة الملك البيزنطي على هذه الشروط لم تبرم الهدنة بتوقيع عضد الدولة إذ أنه توفي في (8 شوال 372 هـ-982 م) عقب رجوع مندوبه ابن شهرام إلى بغداد ومعه مندوب الملك البيزنطي (نقفور كانكلي).

وبعد أن تولى صمصام الدولة الحكم بعد وفاة والده أجرى تعديلات في شروط الهدنة وبنودها وأعاد (نقفور) إلى العاصمة البيزنطية لعرض التعديلات وشروط صمصام الدولة على الملك، فعاد إلى بغداد بموافقة الملك البيزنطي بسيليوس. وقد شمل التعديل الشرط أو البند المتعلق بالأمير باد وإمارته أو دولته الدوستكية، ويمكننا أن نقسم ذلك إلى النقاط التالية وقد جعلها الملك صمصام الدولة شرطاً من شروط الهدنة :

1 ـ تبقى علاقات الأمير باد مع الدولة البيزنطية على ما كانت عليه سابقاً.

2 ـ يجب على الملك البيزنطي أن لا يقدم أية مساعدة عسكرية أو غيرها

www.alkottob.com

إلى الأمير باد في حالة نشوب القتال بينه وبين الدولة البويهية.

3 ـ لا يحق للملك البيزنطي أن يمنح الأمير باد حق اللجوء إلى الدولة البيزنطية في حالة اندحاره أمام الدولة البويهية.

وقد ورد هذا البند الذي فصلته إلى النقاط السابقة في كلام ابن شهرام في تقريره عن المفاوضات وفيما يلي نص كلامه وهو معطوف على شرط آخر (وهو البند الأول) وهو انسحاب الدولة البيزنطية من شؤون ولاية حلب والاعتراف بكونها جزءاً من الدولة البويهية والضغط على سعد الدولة الحمداني عسكرياً لدفع الخراج إلى الدولة البويهية فقال:

(... وأن يجري أمر بلد باد على ماكان عليه من الملاطفة التي كان يحملها إلى ملك الروم على أن لا يعاون باداً ولا يجيره إن التجأ إلى الروم.وأنفذ الشروط جميعاً " أي إلى العاصمة البيزنطية" وعاد الجواب عنهما بامضاء ما تقرر).(69)

وهكذا وقع الإمبراطور البيزنطي على البند المتعلق بالإمارة أو الدولة الدوستكية (أي المسألة الكردية) التي عبر عنها ابن شهرام ببلد باد والتي

www.alkottob.com

أصبحت مسألة دولية ذات شأن بين دولتين من الدول الكبرى الثلاث في ذلك العصر الدولة البويهية العباسية، والدولة البيزنطية. وتنازل الإمبراطور بسيليوس عن خراج حلب، وتعهد بعدم تقديم المساعدة إلى الأمير الكردي ضد الدولة البويهية وعدم منحه حق اللجوء إلى أراضيه في حال اندحاره ـ إنما كان مقابل تعهد الملك البويهي صمصام الدولة بتسليم القائد البيزنطي "ورديس" إلى الإمبراطور ولكن بشرط أن يعيده الإمبراطور إلى منصبه السابق كما هو مفصل في (ذيل تجارب الأمم).

أما سبب تنازل الملك البويهي عن المطالبة ببلاد الأمير باد التي كان والده قد طالب بها فهو في رأيي ان الأمير الكردي كان قد استولى آنذاك على إقليم ديار بكر وأسس دولته بحيث خرج الأمر من حد المطالبة بها ولكنه طالب الإمبراطور بعدم تقديم المساعدة إليه في حربه مع الدولة البويهية وبعدم منحه حق اللجوء إلى أراضيه في حالة اندحاره أمامها.

الأسباب الداعية إلى المعاهدة :

www.alkottob.com

1- اصطدام الأمير باد بعداء الملك البويهي عضد الدولة الذي عزم على قتله أو سجنه في الموصل.

2 - عزم الأمير باد على تحرير القسم الباقي من كردستان الوسطى، فالسيطرة على الموصل...

3 - عجز قوات الأمير باد العسكرية عن قتال الدولة البويهية في حين بقاء الدولة البيزنطية في موقف عدائي يستوجب تجميد قوة كبيرة منها.

أهمية المعاهدة

1 - تدويل شأن الأمير باد وإمارته الدوستكية أي (المسألة الكردية).

2 - فسح المجال لتركيز الأمير باد جهوده وقواته العسكرية على محور واحد.

3 - إمكانية الحصول على مساعدات بيزنطية عسكرية وغير عسكرية في حالة قتاله مع الدولة البويهية وعند الحاجة.

4 - اللجوء إلى الدولة البيزنطية في حالة اندحاره أمام الدولة البويهية.

5 - تأمين أراضيه الواقعة في شمال بحيرة (وان) من خطر الإمارات

www.alkottob.com

الأرمنية السائرة في الفلك البيزنطي.وعندي أن المعاهدة أو الارتباط والتبعية قد عقدت أو حدثت اثر استيلاء الأمير باد على أرديش وخلاط وملازكَر. هذا ولا أعلم بالتأكيد هل أن الأمير باد ظل باقياً على هذه المعاهدة التي تؤكد على وجودها علاقاته المتينة بالدولة البيزنطية ونفذها طول عهده أو انه نقضها في فترة الصلح مع الدولة البويهية أي صلح نصيبين فقد ورد في حاشية (ص 113 من ذيل تجارب الأمم) مقتطف من تاريخ سعيد الانطاكي ينص على ان الأمير باد أرسل أخاه (حسب ما ورد فيه) الأمير أبا علي في جيش قوي إلى (ورديس السقلاروس) الذي استنجد به.

مع العلم إن صمصام الدولة أطلق سراح ورديس وقدم إليه المساعدات المادية وحرضه على الثورة ضد الدولة البيزنطية وأرسله من بغداد سنة (375 هـ985 م) وانضم إليه كثيرون من بني عقيل وبني نمير والأرمن. فاستولى على مناطق شاسعة من آسيا الصغرى "أناضول" وأخيراً تصالح معه الإمبراطور البيزنطي بسيليوس سنة (379 هـ - 989م) وتوفي بعد ذلك

www.alkottob.com

بقليل.(70) وكان قائداً بيزنطياً شهيراً ثار على بسيليوس في المرة الأولى ولكنه اندحر فاضطر إلى اللجوء إلى عضد الدولة.

تحرير إقليم ديار بكر

تمكن الأمير باد سنة (372هـ -982م) من بسط سيطرته على إقليم ديار بكر (71) بعد أن امتد نفوذه من مقاطعة بوتان حتى أرديش. وبسرعة فائقة

www.efrin.net
www.alkottob.com

حرر الأمير هذا الإقليم بما فيه من مدن وقلاع حصينة كمدينة ديار بكر (آمد) وفارقين وماردين وحصن كيفا (حسنكيف) وهتاخ وغيرها.

أما أسباب تحرير هذا الإقليم المشهور والمهم من كردستان من سيطرة الدولة البويهية بذلك السرعة وبدون قتال فأرى :

1 ـ الاستعدادات الكافية.

2 ـ خلو الإقليم من قوات بويهية كبيرة تصمد أمام القوات الكردية.

3 ـ رغبة سكان الإقليم في حكم الأمير باد المعروف بغزواته وشجاعته وفي التحرر من الحكم البويهي وذلك بعد الاتصال بهم : (... فراسل باد أهل ميافارقين وطيب قلبهم ووعدهم بالجميل فأجابوه فوصل إلى ميافارقين وتسلمها وملكها. واقام بها، وملك جميع ديار بكر ونصيبين، والجزيرة في مدة يسيرة. وهو أول من ملك من الأكراد)(72).

بعد أن ضمّ الأمير باد مدينة فارقين إلى بلاده اتخذها عاصمة لدولته بسبب توسطها في البلاد

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.efrin.net

www.alkottob.com

فارقين عاصمة الدولة الدوستكية

كما كانت مركز الإقليم في العهد الحمداني والعهد البويهي، فقد كان يقيم فيها الوالي البويهي أبو علي التميمي وذلك رغم كونها أقل مناعة وحصانة

www.alkottob.com

من مدينة ديار بكر (آمد) لأن سورها كان قد تداعى وأشرف على السقوط حتى اضطرت الدولة الدوستكية إلى إعادة بناء السور أو معظمه وتحكيمه وقد (ولّى "الأمير باد" أخاه أبا الفوارس.. ميافارقين وأقام بها وكان باد مشتغلاً بفتح البلاد والعساكر...)(73). وهكذا قسم الأخوان بينهما شؤون الدولة فالتزم الأمير أبو الفوارس بالشؤون المدنية بينما كان الأمير باد منصرفاً إلى الشؤون العسكرية.

www.alkottob.com

تأسيس الدولة الدوستكية

www.efrin.net
www.alkottob.com

أني أعتبر تاريخ تأسيس الدولة الدوستكية من تحرير إقليم ديار بكر وإضافته إلى (الإمارة الدوستكية)، أو (الحاربختية)، أي إلى المناطق الأخرى التي كانت تحت سيطرة الأمير باد سابقاً. واعتبر تأسيسها من سنة (372 هـ - 982 م) إذ في هذه السنوات تحولت الإمارة الدوستكية إلى دولة مستقلة حينما وسعت نفوذها في أراضٍ واسعة ودخلت التاريخ لأول مرة. أي أن التاريخ قد سجل أخبارها في السنة المذكورة فلا يجوز إذن أن نعتبر تاريخ تأسيسها من توسع الإمارة الدوستكية في شمال شرق (بحيرة وان) إذ أن المصادر التاريخية لم تحدد ذلك بسنة معينة (74).

من خلال دراستي للأوضاع والظروف القائمة في كردستان وخارجها في عصر نشوء الدولة

www.alkottob.com

عوامل نشوء الدولة الدوستكية

استنتجت العوامل الآتية التي لبعضها تأثير مباشر وللآخر غير مباشر في قيام هذه الدولة الكردية وهي :

1 ـ رد الفعل الناشئ لدى الشعب الكردي في كردستان الوسطى من الظلم

www.alkottob.com

الذي طالما ذاقه على أيدي الحكام المستبدين، فسعى من اجل التحرر من سيطرة أولئك الحكام الأجانب.

2 ـ التأثر باستقلال عدد من أقاليم الدولة العباسية.

3 ـ التأثر بنشوء الدولة البرزيكانية والشدادية والروادية الكردية.

4 ـ ضعف الدولة العباسية.

5 ـ التناقضات أو النزاعات بين الدولة العباسية البويهية وبين الدولة البيزنطية.

6 ـ وجود قيادة كردية كفوءة.

7 ـ التحام إمارة (فينك) القوية في بوتان بالإمارة الدوستكية.

8 ـ المعاهدة التي عقدها الأمير باد مع الإمبراطورية البيزنطية أو تبعيته لها بعد اصطدامه بعداء الملك البويهي بالموصل وذلك للاستفادة منها في سبيل تأسيس دولته الكردية مما نستطيع أن نعبر عن هذا العامل بـ (التأييد الخارجي).

9 ـ عدم وجود قوات بويهية كافية في كردستان الوسطى لتحطيم محاولات

www.alkottob.com

الأمير باد التوسعية.

10 - عدم سيطرة عضد الدولة على إمارة باد الدوستكية.

www.efrin.net

www.alkottob.com

ثورة نصيبين

لقد وجدت مدينة (نصيبين - نسيبين) الكردية الداخلة الآن في تركيا والمقابلة لمدينة (قامشلي) في تاريخها الطويل الذي يرجع إلى آلاف السنين

www.alkottob.com

كثيراً من الظلم والاضطهاد حتى اشتهرت بأنها مدينة لا تقبل العدل. فقد قال القزويني :

"ومن خاصية نصيبين أنها لا تقبل العدل البتة بل سوق الظلم بها قائم ولو كان واليها كسرى الخير. ولهذا قال بعض الظرفاء :

نصيب نصيبين من ربها   ولايـة كـــــل ظلـــوم غشـــوم

فباطنها منهم من لظى وظاهرها من جنان النعيم (75)

لم تنج هذه المدينة البائسة من ظلم الحمدانيين وجورهم حتى دخلت تحت جور الوالي البويهي الأعور (ابن الراعي) فكان سكانها يزجون أياماً مسودة كلها بؤس وشقاء تحت حكم هذا الوالي فلما سمعوا بنبأ وفاة الملك البويهي واستيلاء الأمير (باد) على مدينة "فارقين" واتخاذها عاصمة له انفجروا في ثورة عارمة على الوالي فقتلوه وأحرقوا جثته، وكانت الثورة بقيادة أمير كردي لا نعلم باسمه، ثم أن هذا الأمير ذهب إلى فارقين عند الأمير باد الذي سار إلى نصيبين ودخلتها قواته وبصدد هذه الثورة قال الوزير :

(.. كان هذا ابن الراعي ظالماً شريراً.. ثم ولى نصيبين فأساء إلى أهل

www.alkottob.com

البلد واستحل محارمهم، فلما شاعت الأراجيف بعلة عضد الدولة وبعد ذلك بموته، ثار العامة وقصدوا داره للفتك به فخرج في لباس امرأة وغمز عليه فأخذ وقتل ومثل به ثم احرق واستولى أحد الأكراد على البلد وورد الخبر بذلك "أي إلى بغداد" فأخرج "أبو سعد بهرام بن اردشير" لتلافي الأمر فلما وصل إلى الموصل تقاعد به أبو المطرف عاملها وانزاح المستولي عليها ولحق بباد وكان أمره قوي بميا فارقين)(76).

وقال ابن الأثير بعد أن ذكر الثورة في حوادث سنة (373 هـ - 983 م) (ووصل بعض أصحابه "أي أصحاب باد" إلى نصيبين فاستولى عليها)(77)

وكانت ثورة نصيبين في أواخر سنة (372 هـ-982 م) أي بعد وفاة عضد الدولة الذي توفي في شهر شوال من نفس السنة بمدة قليلة كما يفهم من كلام الوزير.

www.alkottob.com

www.efrin.net
www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.efrin.net
www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.efrin.net

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.efrin.net
www.alkottob.com

صمصام الدولة يتفاوض مع أمير الدولة

لما تولى الحكم الملك صمصام الدولة (78) بعد وفاة والده عضد الدولة أراد إقناع الأمير باد وحمله على الاعتراف به وتقديم الطاعة له واعتبار بلاده جزءاً من الدولة البويهية رسمياً، وإرسال أموال معينة ومفروضة عليه إلى خزانة الدولة مقابل إعطائه الاستقلال الداخلي، فأرسل لهذه الغاية (أبا حرب زيار بن شهراكويه) أحد كبار قادته ـ وهو الذي بواسطته وفد باد على عضد الدولة في الموصل سنة (368هـ ـ 978م) ـ إلى الأمير باد للتفاوض معه وفض النزاع ولكن باد رفض شروط صمصام الدولة ولم يرض إلا

www.alkottob.com

بالاستقلال التام كما يظهر من سير الحوادث.

ولعل الفارقي هو الوحيد الذي ذكر عن هذا التفاوض حيث قال :(ولما بلغ صمصام الدولة ابن عضد الدولة ما عليه باد من القوة وما فتح من البلاد عظم عليه ذلك الفتح فنفذ إليه قائداً يسمى أبا حرب وكان صديقاً لباد، فلما قاربه راسله وأشار عليه أن يدخل تحت حكم صمصام الدولة ويسايره ويحصل على جملته وخدمته والبلاد إقطاعاً له من صمصام الدولة فلم يفعل). (79)

www.efrin.net

www.alkottob.com

معركة نصيبين

لما يئس صمصام الدولة من ولاء باد جهز جيشاً بكامل العدد والعدة وأرسله من بغداد بقيادة "أبي سعد بهرام بن أردشير" إلى قتال باد وعندما وصل بهرام إلى الموصل كان العامل عليها من قبل الدولة البويهية أبا المطرف وكان موالياً لباد فأشار على أبي سعد أن يتخلى عن محاربته وخَوَّفه من قوته وبأسه، ولكنه استهان بقوته وعجل إلى محاربته بنواحي نصيبين

www.efrin.net

www.alkottob.com

ونشبت معركة حامية بين الطرفين أحرز فيها الأمير باد الانتصار وانهزم بهرام بجيشه شر هزيمة، وأسر قسم من جيشه من الديلم (80) بينما ارتفعت كثيراً معنويات القوات الكردية بنشوة الظفر في أول معركة مع الجيش البويهي.

شماتة أبي المطرف:

ولما انهزم بهرام شمت به (أبو المطرف) وأرسل كتاباً إلى (أبي القاسم سعد) الحاجب في بغداد. في كتابه بهرام وقال :(انه قد جنى على الدولة وأطمع باد واعلمه موقع الخطأ في المكاشفة ـ وكان أبو المطرف يحاول إخفاء ميوله إلى باد ـفأجابه أبو القاسم بكتاب قال فيه:

"أنا وارد والسيف أصدق إنباءً من الكتب".

وفي هذا الجواب ما يرمز إلى الاستخفاف بكتاب أبي المطرف والى الإطلاع على ميوله وعدم الثقة به. ولما وصل كتابه إلى أبي المطرف قال الأخير مستهزئاً بأبي القاسم وبقوله السابق قائلاً ومنشداً البيت الآتي :

سيوف لعمري باللؤى بن غالب حداد ولكن أين بالسيف ضارب.

www.alkottob.com

معركة باجلا واحتلال نصيبين (373هـ - 983 م)

يستفاد مما جاء في كتاب أبي المطرف أن الأمير باد هو الذي بدأ بمكاشفة الدولة البويهية وجمع قواته في منطقة نصيبين عازماً على سلخ مناطق أخرى من الدولة البويهية وأقربها مدينة الموصل التي يؤيده سكانها وعلى رأسهم أبو المطرف نفسه الذي كانت له مخابرات معه.

www.efrin.net
www.alkottob.com
www.alkottob.com

وبعد انتصار نصيبين توجه باد لاحتلال الموصل عن طريق جزيرة ابن عمر (جزيرة بوتان) وزاخو، أي الطريق الواقع في شرقي دجلة مفضلاً إياه على الطريق السهلي العام، طريق نصيبين ـ سنجار ـ الموصل بالرغم من قصر مسافته وذلك لأسباب عسكرية واقتصادية ولمزاياه الاستراتيجية وأهمها :

1 ـ مرور هذا الخط في منطقة جبلية وشبه جبلية يستند إليها الأمير باد ويتحصن بها عند الحاجة.

2 ـ تفوق خبرة الجيش الكردي بالقتال في الأراضي الجبلية.

3 ـ أهمية تطهير القلاع الكردية الواقعة شمالي الموصل (منطقة بهدينان) وعلى هذا الخط وتحريرها من السيطرة البويهية.

4 ـ وجود قبائل كردية مزدحمة على طول الخط بحيث يمكن للأمير الاستفادة منها عسكرياً وغيره في تنفيذ خطته التوسعية.

5 ـ اشتمال هذا الخط على كثافة العمران وكثرة الخيرات التي تؤمن منها أرزاق ومؤن القوات العسكرية، وكذا اشتمالها على كثرة المياه،

www.alkottob.com

واعتدال المناخ الصيفي "إن كان الوقت صيفاً".

أما صمصام الدولة فانه بعد اندحار قواته العسكرية في معركة نصيبين بادر إلى تنظيم قوة عسكرية جديدة وبالغ في عددها وتجهيزها لإرسالها إلى قتال الأمير باد مرة أخرى وجعل القائد عليها أخلص رجاله أبا القاسم (سعد الحاجب وكان هو و (زيار بن شهراكويه) قد قدما من جرجان فانتدب سعد للمهمة وقاد الجيش، ولما وصل إلى الموصل بادر باعتقال عاملها أبي المطرف لما بلغه من استهزائه بكتابه الذي أرسله رداً على كتابه عقب معركة نصيبين ولاتهامه بالتواطؤ مع باد، ثم بادر إلى صد تقدم القوات الكردية والتقى بها في منطقة زاخو عند قرية (باجلى) ووقعت الحرب بين الجانبين فأجلت المعركة عن انتصار الجيش الكردي واندحار الجيش البويهي الذي قتل وأسر معظمه، بينما انتشى الجيش الكردي بنشوة الانتصار وامتلأت يده بالغنائم، وأما القائد البويهي فانه توجه مندحراً ومسرعاً إلى الموصل وتبعه الأمير باد غير أن البويهي سبقه ودخل المدينة.

ولما علم سكان الموصل باندحار سعد قاموا في ثورة ضده فنجا بنفسه

www.alkottob.com

مع قوة صغيرة متوجهاً نحو بغداد ودخل مدينة "تكريت" بينما بادر السكان الناقمون على الحكم البويهي إلى فتح أبواب المدينة أمام الأمير الكردي مرحبين به وبقواته، وفور دخوله المدينة أطلق (أبا المطرف) من السجن وجعله وزيراً له وأحسن إلى الأهالي، كما استولى على جميع أعمال الموصل وجبي الخراج وقويت شوكته ورسخت قدمه في الملك وأشيع في بغداد أن باد سيزحف على بغداد عاصمة الدولة العباسية لإزالة السلطة البويهية من العراق. هذا وكانت المعركة واحتلال الموصل في سنة (373 هـ - 983 م)(81).

وكانت لمعركة (باجلىّ) أهمية كبيرة من حيث نتائجها الرائعة إذ أن الانتصار الذي أحرزه فيها الجيش الكردي أدى إلى ارتفاع معنوية هذا الجيش وهيبته وإلى احتلال مدينة الموصل والمناطق التابعة لها كسنجار وغيرها إلى حدود تكريت بالإضافة إلى منطقة بهدينان وهكذا توسعت الدولة الدوستكية في منطقة واسعة لها أهميتها.

وأشار الشاعر الكردي الأمير (حسين بن داود) البشنوي أحد أمراء قلعة

www.alkottob.com

(فينك) وشاعر الدولة الدوستكية إلى معركة (باجلى) في قصيدة أنشدها في رثاء الملك باد حينما استشهد أثناء زحفه على الموصل سنة (380 هـ - 990 م) والشاعر يجدد ذكرى تلك المعركة الخالدة ويشير إلى ما أبداه فيها رجال إمارة (فينك) البوتية من الشجاعة والإقدام حيث قال:

البشـــنوية أنصـــار لدولتكـــم وليس في ذاخفا في العرب والعجم

أنصار باد بأرجيش وشيعته بظاهر الموصل الحدباء في العطب

ببا جلايا جلونا عنه غمته(82) ونحن في الروع جلاؤون للكرب

أما الوزير أبو شجاع فقد أشار إلى أهمية احتلال الموصل وإلى القوة والشهرة التي أحرزهما الملك باد وإلى أطماعه التوسعية وعزمه على احتلال بغداد في الجولة القادمة إن حالفه النصر فقال: (لما حصل باد الموصل أفرج عن أبي المطرف واستوزره وقويت شوكته بما تم له من كسر عسكر السلطان دفعة بعد أخرى، واستولى على الأعمال وجبى وجوه الأموال..

www.alkottob.com

وارجف بأنه محدث نفسه بأخذ سرير الملك وقامت له هيبة في النفوس).

(83)

www.efrin.net
www.alkottob.com

معركة الموصل وانحدار الأمير باد

لما وصل سعد إلى تكريت أرسل إلى (صمصام الدولة) نبأ اندحاره فأمره أن يبقى في تكريت وقد اقلق النبأ أفكار الملك وبلغ منه كل مبلغ حيث رأى نفسه أمام خطر مداهم وعدو لدود لم يبق بينه وبين بغداد سوى هجوم واحد فحشد بكل ما في وسعه جيشاً عرمرماً بالغ في عدده(84) وكلف بقيادة هذه

www.alkottob.com

الحملة أكبر قواده بلا منازع أبا الحرب "زيار بن شهراكويه" صديق باد فخلع عليه واستظهر له في العدد والعُدد وأرسل برفقته شكر "الخادم" في الغلمان الأتراك وانضم إليهما أبو القاسم سعد من تكريت وساروا متوجهين إلى الموصل "مع هذه القوة الهائلة" فخرج إليهم "باد" ودارت بين الجانبين حرب لاهوادة فيها في شهر صفر (374 هـ - 984 م) اندحر فيها جيش باد وأسر جماعة من رجاله المخلصين وأقاربه واخذ الأسرى إلى بغداد وطيف بهم في شوارعها ولكن أحداً من المؤرخين والوزير بالذات لم يذكر اسم أحد من أقربائه الأسرى وهكذا ذكروا هذه المعركة والاندحار بصورة مجملة جداً فلذا لا أجدني قادراً على استنتاج أسباب هذا الاندحار فهل حصلت لدى الأمير باد نقاط ضعف عسكري خلال مدة احتلال الموصل، كتفريق قواته في مناطق الموصل أو عدم حضوره المعركة بسبب رجوعه إلى ديار بكر بعد الاحتلال، كما قال البعض، أو كان الاندحار بمجرد كون قواته قليلة وعاجزة بالنسبة إلى القوات الضخمة التي زجها الملك البويهي في المعركة ؟(85).

www.alkottob.com

www.efrin.net
www.alkottob.com

تمرد الجيش البويهي

ولما اندحر الأمير باد بالموصل تراجع إلى ديار بكر وبادر إلى تنظيم قواته وحشدها ليصد تقدم الجيش البويهي.

أما زيار بن شهراكويه فانه قسم جيشه إلى قسمين للزحف على أراضي الدولة الدوستكية عن طريقين. قاد سعد الحاجب قسماً وتوجه عن طريق شرق دجلة طريق زاخو. جزيرة بوتان، بينما قاد شكر الخادم القسم الآخر المؤلف من الأتراك وسار في الطريق الغربي المؤدي إلى نصيبين ولكن الجيشين تمردا

www.alkottob.com

على قائديهما وامتنعا عن قتال الأمير باد كما قال المؤرخون(86). ولابد أن لتمرد الجيشين في وقت واحد وفي مهمة واحدة سبباً مهماً أو جملة أسباب ولكن المؤرخين لم يوضحوا السبب تماماً ولعلهم اكتفوا بدلالة المقام والقرينة.

في الحقيقة أن السبب الرئيسي لهذا التمرد من قبل الجيش البويهي لم يكن إلا التهرب من الحرب التي ذاق طعمها ثلاث مرات مع عدو واحد كما يدل التمرد على أن معنويات هذا الجيش لم ترتفع بانتصاره في المعركة الثالثة وهو يتذكر هزائمه في معركة (نصيبين) و(باجلى) بالإضافة إلى عدم تأكده من الانتصار في الجولات القادمة لأن الأمير باد قد أعاد تنظيم قواته متمتعاً بقوة دفاعية على أقل تقدير.

ويفهم من كلام الوزير أن تمرد الجيشين وامتناعهما عن قتال الجيش الدوستكي كان بعد أن هزم الأمير باد سعد الدولة وحشد قوات كبيرة. فلاشك إذن إن هذا الانتصار كان أحد أسباب التمرد.

تحالف مع سعد الدولة الحمداني:

ولما بلغ مسامع صمصام الدولة ووزيره (ابن سعدان) تمرد الجيش

www.efrin.net
www.alkottob.com

وامتناعه عن القتال وعَلِما انه لا يقضى على باد ودولته بالجيش البويهي لجأ إلى إيجاد حلفاء لهما فكتب (ابن سعدان) إلى (سعد الدولة) ابن سيف الدولة الحمداني صاحب "حلب" يقول: (عليك بقتال باد الكردي فإذا تم القضاء عليه فستسلم إليك إقليم ديار بكر إقطاعاً لك من صمصام الدولة).

فطمع سعد الدولة في هذه الوعود وكان هذا الإقليم سابقاً جزءاً من دولة والده سيف الدولة فأرسل جيشه لقتال الأمير باد وبعد معارك بين الطرفين انهزم جيشه شر هزيمة ورجع سعد الدولة بخفي حنين.

وبعد أن نظم الأمير باد جيشه وهزم الحمداني تقدم مرهباً بجيشه من فارقين إلى "تل فافان" البلدة الواقعة عند ملتقى فرعي دجلة متجهاً نحو القوات البويهية (87).

محاولة اغتيال الأمير باد:

لما فشلت كل المحاولات العسكرية في القضاء على باد ودولته وضع أبو القاسم سعد خطة أخرى للتخلص منه. فأرسل رجلاً لاغتياله وتمكن هذا الرجل من التسلل ليلاً إلى خيمة باد وضربه بالسيف فوقعت الضربة على

www.alkottob.com

ساقه ظناً منه أنه رأسه وهرب الرجل وأصيب باد بجرح بالغ أشرف على الموت ولكنه برئ من جرحه(88).

وقال الوزير : إن سعد الحاجب قد حاول كثيراً أن ينتهز من مرض باد فرصة للهجوم عليه (فلم يطاوعه من معه وكان شكر قد توجه مع الأتراك إلى نصيبين على أن يكون مسيرهم ومسير سعد من الجانبين فاضطرب من كان معه من الأتراك عليه)(89).

www.efrin.net
www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.efrin.net
www.alkottob.com

انعقاد الصلح بين الدولتين

أسـبابـه:

أ ـ من جانب الدولة الدوستكية

1 ـ اندحار الجيش الدوستكي بالموصل وتراجعه إلى مسافات كبيرة.

2 ـ التحالف البويهي الحمداني الذي أدى إلى خلق عدو جديد آخر والقتال معه. لاشك أن ذلك الاندحار وتلك المعارك مع سعد الدولة قد كلفا الجيش الدوستكي ضحايا كثيرة وأذهبا بمقدار من طاقاته الحربية أو الهجومية. ولذا فقد كان بحاجة إلى فترة من الراحة ليعيد فيها تنظيمه وحيويته.

3 ـ محاولة الاغتيال التي تركت في الأمير باد جرحاً بالغاً في ظروفه الحرجة. فأدت هذه الظروف إلى الرغبة في الصلح ولو مع تنازل عن بعض الأراضي.

www.efrin.net
www.alkottob.com

ب ـ من الجانب البويهي:

1 ـ تمرد الجيش البويهي عن القتال.

2 ـ اندحار الحليف الحمداني.

3 ـ فشل محاولة الاغتيال.

لاشك أن فشل جميع المحاولات في القضاء على الأمير الكردي ودولته قد أدى إلى إيجاد اليأس في نفوس القادة البويهيين والملك صمصام الدولة من إحراز نصر نهائي عليه، مما حدا بهذا الجانب إلى عرض الصلح على الدولة الدوستكية أو قبوله عرضه من جانب الأمير باد وهكذا رغب كل من الجانبين تحت ظروفه الصعبة في إنهاء حالة الحرب سنة (375 هـ ـ 985 م) وتم عقد الصلح بين الطرفين في نصيبين على أساس أن تكون جميع مناطق ديار بكر والنصف من طور عبدين للأمير باد ونصيبين والجزيرة لصمصام الدولة(90).

وقد مثَّل الملك صمصام الدولة في إبرام الصلح قائده أبو القاسم سعد بن محمد الحاجب الذي كان في نصيبين بعد أن انضم إلى شكر الخادم متوجهاً من

www.alkottob.com

الجزيرة. والجدير بالذكر إن الوزير ذكر أن تاريخ انعقاد الصلح كان سنة (374 هـ 984 م) وبموجب هذا الصلح فقدت الدولة الدوستكية ـ ولو إلى حين ـ مدينتي الجزيرة ونصيبين المهمتين اقتصادياً.

www.efrin.net

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.efrin.net

www.alkottob.com

وثيقة هـامة بصدد الصلـح
(كتاب صمصام الدولـة إلى قائده بنصيبين)

إني بعد التحري الشديد لم أعثر في مصدر من المصادر التاريخية على صورة (وثيقة الصلح) التي كتبت في نصيبين بين الأمير باد (وممثل صمصام الدولة ولكني عثرت على نص كتاب صمصام الدولة الموجه إلى ممثله "سعد الحاجب" يطلب فيه منه إرسال الوثيقة إليه لحفظها في سجلات الدولة في بغداد كوثيقة تاريخية.

والكتاب من إنشاء أبي إسحاق إبراهيم الصابي وهو موجود في (صبح الأعشى ج/7ص 104 - 106) وقد كتب سنة (375 هـ 985 م) وأما نص الوثيقة نفسها فمن المحتمل أنها لم تدون في الكتب التاريخية.

www.efrin.net
www.alkottob.com

ومن الجدير بالذكر أن الذي يستفاد من رسالة صمصام الدولة إن الأمير (باد) قد خضع له وأطاعه وانه أصبح نائباً عنه على البلاد مع أن المؤرخين حتى الوزير الذي هو أعلم من غيره بهذه الحوادث لقرب زمنه ومركزه لا يشير إلى أن باد خضع وأطاع صمصام الدولة وأصبح نائباً عنه على البلاد وإنما ذكر هو وغيره أنه وقع الصلح على أن تكون ديار بكر حتى نصف منطقة (طورى) لباد ونصيبين (نسيبين) والجزيرة والنصف الآخر من (طورى) للدولة البويهية.

أما الفارقي فقد ذكر أن البويهيين سلموا الجزيرة ونصيبين إلى باد إقطاعاً منهم (91) ولعل هذا هو المقصود في الرسالة وإن لم يذكر الفارقي أنهم أقطعوا الأمير باد أثناء الصلح أو لعل ما ورد في الرسالة كان على سبيل المبالغة فقط ولكنه بعيد من كتاب رسمي.

ومن المحتمل أن صمصام الدولة اعترف بولاية (باد) على المناطق التي أخذها من البويهيين وهي إقليم ديار بكر مقابل عدم قيامه بمحاولات توسعية في الأراضي البويهية الأخرى ومقابل إرسال مقدار معين من المال سنوياً إلى

www.efrin.net

www.alkottob.com

خزينة الملك، وأما المناطق الأخرى التي كانت في يد باد قديماً فلا تشملها هذه الشروط. ولابد أن نتذكر انه توجد دلائل من عهد ممهد الدولة ونصر الدولة تدل على إن الدولة الدوستكية كانت تعترف بسيادة الخلافة العباسية والسلطنة البويهية حيث يوجد اسم الخليفة وبعض من الملوك البويهيين على بعض من نقود الدولة الدوستكية كما سيأتي في موضوع (العملة الدوستكية) ولكن ليس لدينا نص يدل على أن الدولة في عهد مؤسسها الملك باد كانت تابعة للدولة البويهية والخلافة العباسية ومعلوم أنها كانت في حالة حرب مع الدولة البويهية سوى فترة الصلح.

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.efrin.net
www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.efrin.net

www.alkottob.com

www.efrin.net
www.alkottob.com

نص الكتاب

(كتابنا وصل كتابك مؤرخاً بيوم كذا تذكر فيه ماجرى عليه أمرك في الخدمة التي أنيطت بكفايتك وغنائك ووكلت إلى تدبيرك ورأيك من رد "باد الكردي" من الأعمال التي تطرقها وحدث نفسه بالتغلب عليها وتصرفك في

www.alkottob.com

ذلك على موجبات الأوقات والتردد بين أخينا وعدتنا "أبي الحرب زيار بن شهراكويه" وبينك من المكاتبات وحسن بلائك في تحيفة ومقاماتك في حص جناحه وآثارك في الانقضاض على فريق بعد فريق من أصحابه، واضطرارك إياه بذلك، وبضروب الرياضات التي استعملتها والسياسات التي سست أمره بها إلى أن نزل عن وعورة المعصية إلى سهولة الطاعة وانصرف عن مجاهل الغواية إلى معالم الهداية وتراجع عن السوم إلى الاقتصار وعن السرف إلى الاقتصاد وعن الإباء إلى الانقياد وعن الاعتياض إلى الإذعان.

وان الأمر استقر على أن قبلت منه الإنابة وبذلت له فيما طلب الاستجابة واستعيد إلى الطاعة واستضيف إلى الجماعة وتصرف على أحكام الخدمة وجرى مجرى من تضمه الجملة وأخذت عليه بذلك العهود المستحكمة والإيمان المغلظة، وجددت له الولاية على الأعمال التي دخلت في تقليده وضربت عليها حدوده وفهمناه. وقد كانت أخينا (92) وعدتنا " أبي حرب زيار بن شهراكويه" مولى أمير المؤمنين ترد علينا وتصل إليها مشتملة على كتبك إليه ومطالعاتك إياه فنعرف من ذلك حسن أثرك وحزم رأيك وسداد

www.alkottob.com

قولك وصواب اعتمادك ووقوع مضاربك في مفاصلها وإصابة مراميك أغراضها وما عدوت في مذاهبك كلها وتقلباتك بأسرها المطابقة لإيثارنا والموافقة لما أمر به عنا، ولاخلت كتب أخينا وعدتنا أبي حرب من شكر لسعيك واحماد لأثرك وثناء جميل عليك وتلويح وإفصاح بالمناصحة الحقيقة بك والموالاة اللازمة لك والوفاء الذي لا يستغرب من مثلك، ولا يستكثر ممن حل في المعرفة محلك ولئن كنت قصدت في كل نهج استمررت عليه ومعدل عدلت إليه مكافحة هذا الرجل ومراغمته ومصابرته ومنازلته والتماس الظهور عليه في جميع ماتراجعتماه من قول وتنازعتماه من حد فقد اجتمع لك إلى إحمادنا إياك وارتضائنا ماكان منك المنة عليه إذ سكنت جأشه وأزلت استيحاشه واستللته من دنس لباس المخالفة وكسوته من حسن شعار الطاعة وأطلت يده بالولاية وبسطت لسانه بالحجة وأوفيت به على مراتب نظرائه ومنازل قرنائه حتى هابوه هيبة الولاة وارتفع بينهم عن مطارح العصاة فالحمد لله على أن جعلت عندنا محموداً وعند أخينا وعدتنا (أبي حرب) مشكورا وعلى هذا الرجل ماناً وفي إصلاح ما أصلحت من الأمر مثاباً

www.efrin.net
www.alkottob.com

مأجوراً، وإياه نسأل إن يجري علينا عادته الجارية في إظهار راياتنا ونصرة أولياءنا والحكم لنا على أعدائنا وإنزالهم على إرادتنا طوعاً أو كرهاً، وسلماً أو حرباً، فلا يخلو أحد منهم أن يحيط لنا بعنقه ربقة أسر أو منة عفو. انه جل ثناؤه بذلك جدير وعليه قدير.

ويجب أن تنفذ إلى حضرتنا الوثيقة المكتتبة على باد الكردي إن كنت لم تنفذها إلى أوان وصول هذا الكتاب لتكون في خزائننا محفوظة وفي دواويننا منسوخة. وأن تتصرف في أمر رسله وفي بقيةان كانت بقيت من أمره على مايرسمه لك أخونا وعدتنا (أبوحرب) فرأيك في العمل على ذلك وعلى مطالعته بأخبارك وأحوالك وما يحتاج إلى عمله من جهتك موفقاً إن شاء الله تعالى" (93)

www.efrin.net
www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.efrin.net

www.alkottob.com

www.alkottob.com

www.efrin.net

www.alkottob.com

استئناف القتال

تمسك كل من الأمير باد والدولة البويهية ببنود صلح نصيبين من يوم إبرامه إلى سنة (377 هـ - 987 م) فوجدت المنطقة فترة من الهدوء والاستقرار وحدث تقارب بين الجانبين ولعل زواج الأمير باد بأميرة ديلمية كان في هذه الفترة (94).

وبعد وفاة والي الموصل أبي القاسم سعد سنة (377 هـ - 987 م) (الممثل في إبرام الصلح) استؤنف القتال بين الطرفين. أما سبب نقض الصلح واستئناف القتال فيقول الفارقي ما خلاصته أن الدولة البويهية كانت قد أعطت الجزيرة ونصيبين للأمير باد على سبيل الإقطاع ولكنها طلبت منه بعد

www.efrin.net
www.alkottob.com

مدة أن يعيد المدينتين إليها فامتنع الأمير الكردي مما أدى إلى تجدد القتال (95).

أما الوزير أبو شجاع فقد حمل الأمير الدوستكي مسؤولية نقض الصلح لأطماعه التوسعية فقال : (وتجدد لباد بن دوستك بعد وفاة سعد الحاجب طمع في التغلب على البلاد فصار إلى طور عبدين... ولما عرف أبو نصر خاشاد الخبر دعته الضرورة لقصد نصيبين لدفع باد فكتب إلى الحضرة يستمد ويستنجد فأمر وأنجد بما هو غير كاف وخاف أن يجري حاله مع باد على ما جرت حال أبي سعد بهرام (أي في معركة نصيبين) وأبي القاسم سعد "أي في معركة باجلى" فاستدعى بني عقيل واستدناهم وعول في حرب باد عليهم لأنهم أخف خيولا وأسرع خروجا والأكراد خيولهم بطاء وعددهم للحرب ثقال.

ورأى أن الوزير " أبا منصر" يعده بإرسال الأموال ولاينفذ قوله وأن مقدار ما أمده من الأموال ثلاثمائة ألف درهم.. وكان أبو نصر يعلل جيشه بوصول الحمل فلما عرف مبلغه رأى أن يكتم أمره خوفا أن ينكشف السر

www.alkottob.com

فتقطع الآمال. ويهجم عليه باد فينهزم بأسوأ حال فعدل إلى إقطاع البلاد وتفرقته عن العرب وتسليمها إليهم.

www.alkottob.com

وقال: هذه البلاد بإزاء عدو وقد استفحل أمره وإذا حصلت لهؤلاء العرب دافعوا عنها في عاجل الحال مثلما يدافعون عن حريمهم وإذا قويَّ أمر السلطان كان انتزاعها من أيديهم أسهل من انتزاعها من يد باد.

فكان الواحد منهم (أي من العرب) يكتب القصة ويسأل فيها اقطاعه الخربة الفلانية وتكون ضيعة جليلة، فيوقع له بها من غير اخراج حال ولاتعرف ارتفاع وأرفق كاتبه على ذلك أموالاً جمة"(94)

إن ما قاله الوزير بصورة واضحة ومفصلة يكشف لنا عن أطماع باد التوسعية وما عليه الجيش البويهي من الضعف وهبوط المعنويات كما يرينا كيفية خداع القائد الديلمي لعرب بني عقيل بصورة يسخر منها.

هذا ولو علم الأمير باد وقدَّر ضعف الجيش البويهي لهذه الدرجة قبل الصلح وفي هذه المرة أيضاً واتخذه فرصة سعيدة للمبادأة والهجوم لأمكنه بلا شك احراز انتصار باهر ولاسيما في هذه المرة الأخيرة.

www.alkottob.com

www.efrin.net
www.alkottob.com

معركة نصيبين
وقتل الأمير أبي الفوارس بن دوستك

بعد أن جمع خاشاد قوات بني عقيل توجه بقواته إلى نصيبين (نسيبين). وكانت قوات الأمير باد قد اقتربت منها وأخذت خطاً دفاعياً في الجبل المشرف عليها.

خدعة حربية:

استخدم الأمير باد الذي كان قائداً محنكاً ومحارباً شجاعاً - خدعة حربية بل فناً من فنون الحرب في هذه المعركة لاضعاف معنويات العدو فقال الوزير أبو شجاع تحت عنوان (ذكر حيلة سحر بها باد عين من بإزائه واسترهبهم): (...إن باداً قد دبر حيلة بارعة في هذه الموقعة قد بهرت الأعين وبعثت الرهبة في المحيطين به وهي: إنه كان يضع البقر على رؤوس الجبال وبينها رجال بيدهم سيوف تبرق وحراب تتلألأ فإذا شوهدوا على بُعد ظنوا رجالاً

www.efrin.net
www.alkottob.com

بيدهم سيوف فلا يتجاسر الجنود "أي الجنود البويهييون" على الصعود إليه*) هذا وأرسل الأمير باد قسماً من جيشه تحت قيادة أخيه أبو الفوارس إلىقتال الأعداء فدارت معركة عنيفة بين الطرفين سقط فيها أبو الفوارس قتيلاً.

وبصدد مقتل أبي الفوارس قال الفارقي: (...واقتتلوا على الرأس المطل على نصيبين فقُتل أبو الفوارس بن دوستك أخو باد وحُمل إلى ميافارقين ودُفن في ظاهر البلد وبُني له قبة في الموضع الذي يُعرف بقباب أبي الفوارس...(96)) وقد ذكر الفارقي في مكان سابق بصدد حياة أبي الفوارس: أنه كان والياً على فارقين وكان يسوس الدولة ويدير شؤونها الادارية بينما كان باد منشغلاً بالأمور العسكرية وفتح البلاد.

أما آثار أبي الفوارس فلم يذكر الفارقي منها سوى مواضيع كثيرة بناها في سور فارقين وقد وجد عليها اسمه(97).

إن قتل الأمير "أبي الفوارس بن دوستك" وان كان صدمة عنيفة لأخيه الأمير "باد" حيث كان يده اليمنى إلا أنه لم يسبب له الانحدار أو اليأس من

www.alkottob.com

النصر فقد ظلت قواته صامدة في مواقعها الدفاعية حول نصيبين كما أنه استرجعها ومدينة "جزيرة بوتان" نتيجة هذا الزحف وكان قد تنازل عنهما بموجب بنود الصلح حيث تهيأت له ظروف مساعدة بوفاة الملك البويهي وقال الوزير بعد أن ذكر المعركة وقتل أبي الفوارس: (وفي أثناء المدة (التي وقعت فيها المعركة) ورد على أبي نصر "خاشاد" خبر وفاة "شرف الدولة" فكتم النبأ وعاد إلى "الموصل" فأظهر فيها العزاء واستولى باد على جميع المناطق الجبلية وظلّ عرب بني عقيل وبني نمير بالسهل(98)) أي السهول الواقعة جنوب نصيبين والداخلة الآن في الحدود السورية والتي تقع فيها مدينة "القامشلي" الكردية الحديثة.

أما تاريخ هذه المعركة فلستُ متأكداً منه ولم يتحقق لديَّ فيما إذا كانت المعركة في (377هـ - 987م) التي تجددت فيها الخلافات بين الجانبين أو بعدها مع أن كُلاً من الوزير وابن الأثير وابن خلدون تناول هذه الحادثة في حوادث سنة (377هـ - 987م) وربطها بوفاة "سعد الحاجب" واقتدى بهم محمد أمين زكي كما أن الوزير ربط استئناف القتال بوفاته أيضاً في السنة

www.efrin.net
www.alkottob.com

المذكورة ولكن يفهم من كلام الوزير السابق أنه لم يكن بين المعركة ووفاة شرف الدولة (379 هـ - 989م) مثل تلك المدة.

www.alkottob.com

www.alkottob.com

الزحف إلى الموصل وقتل الأمير باد

www.efrin.net
www.alkottob.com

إن القائد الديلمي خاشاد الذي رجع من نصيبين بسبب وفاة شرف الدولة سنة (379هـ ـ 989 م) كان منكباً على تنظيم شؤونه العسكرية والمدنية في الموصل ليرجع مرة ثانية إلى قتال الأمير باد ولكن وفاة شرف الدولة قلَبَ الوضع في الموصل ونصيبين حيث انحسرت السلطة البويهية من إقليم الجزيرة إذ أن أبا عبد الله وأبا طاهر ابنيّ ناصر الدولة الحمْداني اللذين كانا مبعدين في بغداد عند شرف الدولة طلبا من الملك الجديد "بهاء الدولة" السماح لهما بالذهاب إلى الموصل، فأذن لهما ولكنه فور أن أثبت له القادة أن السماح كان خطأً لما يتوقع أنهما يخلقان المشاكل للدولة أرسل أمراً إلى خاشاد بالقبض عليهما أو ارجاعهما إلى بغداد إذا وصلا إلى الموصل ولكن لمّا وصلا إلى الموصل أيدهما الموصليون وثاروا على خاشاد وقوته العسكرية الضعيفة القليلة وطردوه من الموصل فانحدر إلى بغداد وهكذا استولى الحمْدانيان على الموصل.

أما الظروف الجديدة التي نشأت عقب أو نتيجة وفاة شرف الدولة فإنها جاءت في صالح "باد" تماماً حيث تفرقت القوات التي كانت واقفة أمامه في

www.alkottob.com

نصيبين وأصبحت البلاد مفتوحة أمامه إلى أبواب الموصل ولذا بادر إلى الاستفادة من هذا الظرف الملائم لتحقيق أهدافه التوسعية، ورأى أن الفرصة مواتية للزحف إلى الموصل والاستيلاء عليها واتخذ في هذا السبيل خطوتين:

أولاًـ الاتصال بسكان الموصل:

قد أشرنا غير مرة إلى علاقاته الطيبة بسكان الموصل وإلى ما يكنون له من موالاة واخلاص وبهذا الصدد قال كلٍ من ابن الاثير والوزير أبي شجاع: (وكتب "أي باد" إلى أهل الموصل الذين يوالونه قديماً فأجابه بعضهم وسار إليهم)(99)

ثانياًـ الاستعدادات العسكرية:

لابد أن الأمير باد قد عبأ قوات كبيرة هذه المرّة في الزحف على الموصل أكثر من المرة الأولى بسبب التجربة التي اكتسبها من اندحاره بالموصل سنة (374 هـ-984 م) أمام الهجوم البويهي الكبير بالرغم من بقاء الموصل في يده مدة سنة. وأشار ابن الأثير الجزري إلى كثرة قواته فقال:

www.alkottob.com

(إن باد أجمع الأكراد فأكثر وممن أطاعه الأكراد البشنوية أصحاب قلعة فينك وكانوا كثيراً(100)).وأما الوزير ولعله الوحيد الذي تعرض لذكر عدد أفراد جيشه حيث قال: (إن جيشه كان يتألف من ستة الآف من أصناف الأكراد(101)). وبهذا الصدد أرى أن هذا العدد قليل بالنسبة لهذه المهمة العسكرية وبالنسبة لقوة باد الحربية(102).

سير المعركة:

وصل الملك الكردي بجيشه إلى الجانب الشرقي من دجلة قبالة مدينة الموصل

أو بالقرب منها أما أبو طاهر وأبو عبد الله الحمْداني فلما علما أن لاطاقة لهما بقتال الأمير باد لم يبق لهما مجال سوى أن يستنجدا بأمير بني عقيل (محمد بن المسيب)

غير أن هذا طلب منهما عدة مدن إذا قضوا على نفوذ باد منها الجزيرة، ونصيبين

فأجابا لمطاليبه فاتفقوا على هذا الأساس فسار أبو عبد الله إلى محمد بن

www.alkottob.com

المسيب

وأما أبو طاهر فظل يقاتل قوات الأمير باد بالموصل التي كانت تحاصره وتضايقه. ثم أن أبا عبد الله وابن المسيب ذهبا بقواتهما إلى (بلد) الواقعة على الضفة الغربية بحوالي أربعين كيلو متراً فوق الموصل وعبرا دجلة إلى الأراضي السهلية لتطويق قوات باد من الخلف وبينما كان الأمير الكردي مشغولاً بقتال أبي طاهر إذ أتته طليعة من طلائعه تخبره بعبور قوات بني عقيل ومن معها من القبائل العربية الأخرى إلى الجانب الشرقي من دجلة فحرج موقفه وأراد أن يغير ساحة المعركة ويتقهقر إلى الوراء ليسند ظهره إلى الجبل الواقع شمال الموصل "الواقع خلف القوش والمعروف الآن بحبل ديرى" كي لايطوقه العدو ولكي يقاتل من جهة واحدة فأصدر أمراً إلى قواته في ساحة المعركة بالتراجع إلى الجبل إلا أن أبا عبد الله وبني عقيل أدركوا جيشه وناوشوه القتال فاصطرب جيشه واختطلوا مابين سابق مستعجل ولاحق مرتجل وثابت في المعركة مستقبل. بينما الحال على ما ذكر من اختلاط اصحاب باد إذ قتل "عبد الله" حاجبه المعروف بـ "عروس الخيل"

www.efrin.net
www.alkottob.com

ففجع به وانزعج لفقده. وأراد "أي باد" الانتقال من فرس إلى فرس فحوَل رجله من ركاب إلى ركاب ووثب فسقط على الأرض بثقل بدنه فاندقت ترقوته والحرب قائمة بين الفريقين...)(103).

التمثيل بجثمان الأمير باد ومظاهرة سكان الموصل:

وعندما سقط الأمير باد على الأرض واندقت وانكسرت عظم صدره (أتاه ابن اخته أبو علي بن مروان وأراده على الركوب فلم يقدر فتركوه وانصرفوا واجتمعوا بالجبل ووقع باد بين القتلى فعرفه بعض من العرب فقتله وحمل رأسه إلى بني حمدان وأخذ جائزة سنية وصلبت جثته على دار الأمارة فثار العامة وقالوا: (رجل غازٍ ولا يحل فعل هذا به وظهر منهم محبة كثيرة له وأنزلوه وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه)(104).

(... وقطعت يده ورجله وحملت إلى بغداد وصلب شلوه على باب دار الأمارة بالموصل فثار العامة وقالوا هذا رجل غاز فلا تحل المثلة به. فحط وكفن وصلى عليه ودفن وظهر من محبة العامة له بعد هلاكه ما كان

www.alkottob.com

طريفاً...)(105).

أما الفارقي فقد قال في عطف سكان الموصل على الأمير باد وحزنهم لقتله (ولحق أهل الموصل من الحزن عليه والأسف لقتله ما لا يوصف وعملوا عليه المآتم والندب والبكاء). وقال أن قتله كان يوم الأحد رابع المحرم سنة (380هـ - 990م)(106).

www.alkottob.com

شخصية الأمير باد

إن التاريخ الكردي يفتح جوانحه للأمير باد بن دوستك ويضمه إلى صفوف أبطاله الميامين الذين خلدوا صفحات بيضاء مجيدة ملؤها الهمة والعزيمة والتضحية من أجل وطنهم وأمتهم.

نشأ الأمير باد في كنف القوة والنخوة والحمية والإباء، ونشأ أميراً عالي الهمة بعيد النظر طموحاً فعمل-وقد علمته بيئته الاجتماعية الفروسية والاقدام على تقوية أمارته وتوسيع نطاقها ثم السعي من أجل تحرير وطنه من السيطرة الأجنبية وتأسيس دولة كردية مستقلة. وكان الأمير باد يتمتع بصفات حميدة: الشجاعة، القوة البدنية الفائقة، والجود، والعدل، والذكاء والجلد وتحمل الشدائد. وقد أكد المؤرخون على صفاته هذه فقال ابن الأثير:

(...كان يغزو كثيراً بثغور ديار بكر وكان عظيم الخلقة له بأس وشدة...).

(...وكان جواداً كريماً وكان يذبح الغنم الذي له ويطعم الناس فظهر عليه اسم الجود واجتمع عليه الناس...وكلما حصل له شيء "من الغنيمة" اخرجه"أي

www.alkottob.com

وزعه على أصحابه" فكثر جمعه)(107).

وقال الفارقي في وصفه: (...وكان جباراً من الرجال).(108) أما الوزير أبو شجاع فقال: (..وكان فظيع المنظر عظيم الهيكل).(109) وأما ابن خلدون فقال: (...وكان له بأس وشدة وكان يخيف الباسلة ويبذل ما تجمع له من النهب الغنيمة في عشائر فكثرت جموعه).(110) وقد قال الملك البويهي "عضد الدولة" لما أراد القبض عليه ولم يظفر به: (أن له "أي لباد" بأساً وشدة وفيه شر لا يجوز الابقاء على مثله)(111).

وإذا وضعنا هذه المقتطفات التاريخية جانباً ونرجع إلى حياة الأمير باد العملية نلمس أيضاً شجاعته وهمته العالية وطموحه وصموده أمام المصاعب وايمانه الراسخ بأهدافه والتضحية في سبيلها، فقارع الدولة البويهية القوية وأحرز عليها انتصارات وحرر كردستان الوسطى وشعبها. وأما عدله فأمامنا أيضاً شواهد تاريخية عبارة عن حوادث واقعية تشهد على إنه كان ملكاً عادلاً حسن السيرة محباً للخير لايهدف من وراء توسعه اغتصاب أموال الناس وسلب نفائسهم واضطهاد الشعب البائس وظلمه كما

www.efrin.net
www.alkottob.com

فعله الأمراء الحمدانيون الذين سبقوه في حكم المنطقة والتاريخ خير شاهد. أن فتح الأمير باد مدن وقلاع ديار بكر بطريقة سلمية بما فيها مدينة فارقين مركز الاقليم بمراسلة سكانها وتطييب قلوبهم. وأن ثورة سكان نصيبين على واليهم البويهي وقتله والانضمام إليه. وثورة سكان الموصل على القائد البويهي وطرده والترحيب بقوات الأمير باد وتسليم مدينتهم إليه، لحوادث تاريخية تدل على ما وجد السكان في شخصه أميراً عادلاً حسن السيرة منقذاً لهم من ظلم المتحكمين وشرهم كما أن ارسال قسم من سكان الموصل الخبر إليه لتسليمه مدينتهم التي سيطر عليها الحمدانيون سنة(379هـ - 989 م) بالرغم من كونهم عرباً مثلهم ثم مظاهرتهم ضدهم استنكاراً لقتله وشجباً للتمثيل بجثته ثم إن إنزالهم جثمانه من دار الامارة وغسله وتشييعه، وإقامة الندب والمآتم والتعازي عليه_لدلائل تشهد على صفاته الحميدة وعلى ما تمتع به من محبة الجماهير وتقديرهم.

إن كل من يمعن النظر في هذه الحوادث التاريخية التي استدللنا بها شواهد لموضوعنا يعلم أننا ما اتبعنا تعصباً وما سلكنا مبالغة وإنما أردنا

www.alkottob.com

تنظيم تلك الحقائق التاريخية وابرازها بلباس جديد واظهار مغزاها الحقيقي. فإبراز شخصية ذلك الملك الكردي من خلالها. وكان الملك باد طموحاً جداً متحملاً للشدائد فقد ناضل نضالاً مريراً في سبيل تأسيس الدولة الكردية وتوسيع حدودها مدة لا تقل عن عشر سنوات. وعلت به همته إلى الاستعداد أو الاستهداف للزحف على بغداد والاستيلاء على العراق والقضاء على الدولة البويهية (الديلمية) لتحل دولته محلها غير أن ظروفه ساءت جداً وهددته المخاطر سنة (374 هـ - 975 م) من هزيمته بالموصل أمام القوات البويهية والتراجع إلى مسافة كبيرة واجتياح القوات البويهية إلى الجزيرة ونصيبين وظهور عدو جديد له متحالف مع البويهيين والقتال معه وهو سعد الدولة الحمداني، وتعرضه لمحاولة اغتياله وإصابته بجرح بالغ أشرف به على الموت.

ورغم كل هذه الظروف الحرجة والمخاطر التي أحاطت به خلال سنة واحدة فإنه صبر وتجلد وخرج ظافراً فهزم الحمداني وحشد المقاتلين من أطراف بلاده ونظم قواته وتحرك نحو القوات البويهية مرهباً، وأدى صموده

www.efrin.net
www.alkottob.com

إلى فشل محاولات الدولة البويهية من احتلال بلاده والقضاء على دولته وأرغمها صموده على الاعتراف بدولته وعقد الصلح معه.

أما ذكاؤه فيتمثل جيداً في حادثة افلاته من قبضة الملك البويهي في الموصل التي اعتبرها الوزير أبو شجاع حادثة دلّت على دهائه وفراسته. كما أن تقرّب من الدولة البيزنطية بعقد هدنة معها أو تبعيته لها إنما هو أمثولة أخرى تشهد على ذكائه وبعد نظره وتحليله الصادق لمسيرته الطويلة وتبرهن على تقديره للظروف السياسية والعسكرية وعلى قيادته الحكيمة.

www.alkottob.com

الأمـير حسـن في دسـت الحكم

380-387 هـ / 990-997 م

كان الأمير أبو علي "حسن" ـ وهو الابن الأكبر لمروان ـ شهماً جريئاً وكان أحد قادة الجيش الكردي وأبرزهم. ولما قتل خاله الأمير باد مؤسس الدولة تولّى قيادة الجيش ورجع من الموصل إلى فارقين ليبادر بتنظيم شؤون الدولة وتنظيم جيشه وتقويته وهو يتوقع زحفاً من الحمدانيين المنتصرين في معركة الموصل سنة (380 هـ–990 م).

ولما وصل أبو علي بجيشه إلى حسنكه بفى "حصن كيفا" ـ وكانت إحدى معاقل الأمير باد الحصينة وقواعده العسكرية- كانت فيها زوجته الأميرة الديلمية فطلب منها السماح بدخول القلعة وقال إن خالي قد أرسلني إليك في مهمة رسمية ففتحت له باب القلعة أو المدينة ولم يطلعها أبو علي

www.alkottob.com

أولاً على حقيقة الأمر(112) خوفاً من أن تتمرد عليه كما يظهر ولكنه أخبرها بعد أن دخل القلعة بمقتل خاله وفشل زحفهم وطلب منها الانضمام إليه ووعدها بأن تكون لها الرأي في سياسة الدولة وإدارة شؤونها كما وعدها بالزواج منها فاتفقت معه الأميرة وتوجها مع الجيش إلى العاصمة فارقين(113) ولم تطرأ أية مشكلة داخلية حيث أن أمراء الدولة ورؤساء العشائر قدموا الطاعة للملك الجديد واعترفوا بحكمه. وهكذا أصبح أبو علي في سنة (380 هـ-990 م) ملكاً علىكردستان الوسطى.

www.alkottob.com

زحف الحمدانيين وانحدارهم

أحرز الحمدانيون انتصاراً باهراً في معركة (الموصل) بما لم يكن في الحسبان، فلا شك إذن أن نشوة ذلك الانتصار ستأخذهم وترفع من معنوياتهم وتثير في نفوسهم حب المزيد من الانتصارات وتحقيق النصر النهائي، وذلك بالقضاء على البقية الباقية من فلول القوات الدوستكية وإزالة الدولة الكردية من الوجود ولكن كمتبغي الصيد في عرين الأسد عبأ الحمدانيون في نفس السنة (380 هـ - 990 م) جيشاً كثيفاً ومعهم رأس الأمير باد (حسبما قاله الوزير وابن الأثير) وقسموا جيشهم إلى قوتين قاد أحدهما أبو طاهر الحمداني وحاصر مدينة ديار بكر (آمد) بينما قاد أخوه أبو عبد الله القوة الأخرى الكبيرة إلى قتال أبي علي على أبواب العاصمة فارقين فدارت معركة بين الطرفين انتصر فيها الجيش الكردي وكان انتصاره عظيماً حيث شتت قوات أبي عبد الله وأخذه اسيراً في المعركة.

شـــهامة أبي علي

www.alkottob.com

بالرغم من أن أبا علي لاقى الهزيمة المرة على يد أبي عبد الله وأخيه وترك خاله مكسور الصدر تحت رحمتهما وبالرغم من أنهما بدلاً من ابداء الشهامة تجاهه مثلا بجثمانه وعلقاه على دار الأمارة في الموصل-بالرغم من كل هذا لم يقتل أبي علي أسيره ولم يؤذه وإنما أبدى تجاهه شهامة نادرة إذ عفا عنه وأطلق سراحه وأكرمه وأحسن إليه. أما أبو عبد الله فسار بعد إطلاق سراحه إلى أخيه المحاصر لمدينة ديار بكر فطلب منه أن يتصالحا مع أبي علي وينسحبا من أراضي الدولة الدوستكية حيث اعتقد أن لاطاقة لهما بقتاله غير ان الأخ الأكبر رفض نصيحته وأصر على مواصلة القتال فتوجها بقواتهما إلى فارقين لخوض المعركة الحاسمة مع أبي علي وبعد معركة حامية بين الطرفين احرزت القوات الكردية النصر النهائي وبددت قوات الحمدانيين وطاردتها حتى نصيبين وأسرت في المعركة أبا عبد الله مرة ثانية.

إن الملك الكردي لم يقتل أسيره هذه المرة أيضاً ولكنه اعتقله وضيق عليه حتى ارسل الخليفة الفاطمي في مصر وفداً إليه حمله رسالة يشفع فيها

www.efrin.net
www.alkottob.com

باطلاق سراح أبي عبد الله فأطلق سراحه وذهب إلى مصر وتقلد من الخليفة العزيز بالله ولاية (صور) وأما أبو طاهر المنهزم فقد قتله حليفه محمد بن المسيب أمير بني عقيل بنصيبين هو مع ابنه والمزعفر شيخ بني نمير ثم استولى ابن المسيب على الموصل وأسس دولته العقيلية فيها(114).

وهكذا سيطر أبو علي بكل حزم وبسالة على الموقف وانتصر على الأعداء واسترجع منطقة طورى (طور عبدين) ونصيبين وجزيرة بوتان (جزيرة ابن عمر) حتى نهر الهيزل وخابور بقرب زاخو حيث أصبح خط الحدود للدولة الدوستكية الدائم كما هو اليوم خط الحدود بين تركيا والعراق.

www.alkottob.com

الأرمن يحتلون ملازكرد

إن قتل الأمير باد لم يصبح فرصة سانحة لمهاجمة الحمدانيين فقط بل أصبح فرصة لتجاوزات الأرمن والبيزنطيين أيضاً، وأصبحت الدولة الدوستكية محاطة بالمخاطر بعد قتله.

إن الأرمن الذين كانوا على علاقات طيبة مع الأمير باد وجدوا في قتله وانشغال (أبي علي) بقتال الحمدانيين فرصة للنيل من سيادة الدولة الدوستكية. ففي سنة (380 هـ—990 م) زحف الأمير (داود) الموالي للبيزنطيين والذي كانت أمارته التي مركزها (دايك) تقع في شمال (ملازكَر-ملازكَرد) على مدينة ملازكَر وحاصرها مدة حتى اضطر سكانها إلى الاستسلام بسبب نفاذ الطعام والذخائر فيها وأجلى الأرمن منها السكان المسلمين ونهبوا أموالهم وهدموا جامعها الكبير.

أثارت أعمال داود ضجة بين أمراء المسلمين وأرسلوا إليه بأن يترك

www.alkottob.com

المدينة ويسلمها إلى المسلمين ولكنه رفض ذلك، فحشد الأمير الكردي (مملان) ابن أبي الهيجاء الروادي أمير الحكومة الروادية الكردية في أذربيجان جيشاً كبيراً لانقاذ ملازكَر، فزحف على أرمينية بادئاً بناحية (جاغكَو يود) بقرب جبل آرارات (اكَريداغ) وهزم جيشاً أرمنياً ولكنه لم يحررها كما سيأتي التفصيل.

www.efrin.net
www.alkottob.com

حملة بيزنطة على حدود الدولة

إن البيزنطيين الذين كانت بينهم وبين الدولة الدوستكية معاهدة وعلاقات الصداقة في عهد الملك باد قد طمعوا في السواحل الشمالية لبحيرة (وان) متخذين من قتله انهاءاً للمعاهدة. ففي سنة (382هـ-992م) أرسل الامبراطور البيزنطي (بسيليوس) حملة عسكرية لاحتلال مدن ملازكَر، خلاط، الجواز (ذات الجوز)، وأرديش وحاصر جيشه هذه المدن الدوستكية التي صمد سكانها أمام هذا الحصار حتى وصل الأمير أبو على رأس قواته المحاربة فهزم الجيش المغير وألحق به خسائر وقد خوفه معلناً: (إن عساكر الإسلام تصل إليّ غداً!)(115). وهكذا أنقذ ذلك الجزء الثمين من بلاده بهمة وبسالة.

هدنة مع الدولة البيزنطية

على إثر اخفاق الجيش البيزنطي من إحراز النصر في حملته وانتصار أبي علي رغب الجانبان أن يتبعا السياسة السلمية القائمة بين

www.efrin.net
www.alkottob.com

الدولتين من عهد الأمير باد، فعقدا هدنة بينهما لمدة عشر سنوات(116).

إن انتصار أبي علي وحصوله على الهدنة قد أصبح نصراً كبيراً للدولة الدوستكية من الناحيتين العسكرية والسياسية فقد سدّت باب الحرب مع دولة مسيحية قوية وشرسة، كثيراً ما أغارت منذ مئات السنين على كردستان الوسطى وتركت فيها الخراب والدمار. ويحتمل جداً أن أبا علي قد عقد في نفس الوقت هدنة خاصة مع الأمارات الأرمنية أيضاً وحسّن علاقاته معها ولعل زواجه بإبنة سنحاريب ملك السناسنة كان في هذه الفترة حيث اتخذ المصاهرة وسيلة لتقوية علاقاته مع الشعب الأرمني. وهكذا حقق أبو علي جانباً هاماً من سياسته الخارجية المبنية على توطيد علاقات الصداقة مع كافة دول وأمارات الشرق الأوسط آنذاك، فكما أنه حقق هذا الجانب مع المسيحين: (الدولة البيزنطية والامارات الأرمنية) حققه مع الدول الإسلامية أيضاً حيث أقام علاقات وديّة مع الدولة الفاطمية، والدولة العباسية ومع الأسرة الحمدانية الحاكمة في حلب وفي ظل هذه السياسة التي سار عليها خلفاؤه من بعده وفر لشعب الدولة الدوستكية حياة الهدوء والسلم

www.alkottob.com

والاستقرار.

وزارة مه م وسكرتارية شيروه

www.alkottob.com

كان (مه م) رجلاً كردياً مسناً لعب الشيب برأسه وقطع مراحل الحياة وكان ذكياً عاقلاً علمته السنين عبرّها وتجاربها، كما كان جريئاً مقداماً لم يتقاعس بلا شك عن المشاركة في كفاح انبعثت منه الدولة الدوستكية ولما رأى أبو علي أن لا أحد في دولته أجدر من (مه م) العجوز خبرة وكفاية اتخذه (وزيراً) له وأظهر مه م فعلاً سياسة ناجحة في إدارة شؤون الدولة وظل وزيراً أو حاجباً يقوم بمهمة الوزير حتى قتل أبو علي ثم اتخذه الأمير ممهد الدولة وزيراً لدولته أيضاً.

وقد أثنى الفارقي على (مه م) حيث قال: ولعله الوحيد الذي ذكر اسمه: (كان واليه أي "والي أبي علي" في برج الملك "مَمْ" وكان شيخاً مقداماً مجرباً شهماً من الرجال حنكته التجارب وبقي يسوس دولة أبي علي ويديرها أحسن تدبير)(117).

أما "شيروه" بن "مَمْ" فاتخذه أبو علي حسن حاجباً "سكرتيراً" له كما اتخذه ممهد الدولة حاجباً له أيضاً. ولكن (شيروه) لم يكن غير حاجب خائن، خبير في الدس والتآمر من أجل الاستيلاء على الدولة فدبر مؤامرة أودت

www.alkottob.com

بحياة سيده "أبي علي" كما دبر مؤامرته الثانية فقتل الأخ الثاني (ممهد الدولة) واستولى على العاصمة فارقين وأصبح الشخص الوحيد الذي سبب متاعب داخلية ثقيلة للدولة وأصبح الخائن الأول بحقها.

www.alkottob.com

إجلاء فريق من سكان فارقين

بطش أبو علي بفريق من سكان عاصمته في يوم عيد الأضحى من سنة (384 هـ - 985م) حيث رمى شيخ المدينة والمتقدم بها "محمد بن أبي الصقر"(118) من فوق السور وقتل جماعة من أتباعه وطرد قسماً آخر من المدينة. وقد كتب الفارقي هذه الحادثة بإسهاب فقال: (إن سبب ذلك أن أهل ميافارقين كان بهم الإدلال على بني حمدان ورغبوا فيهم دون غيرهم فمن هذا الوجه كان الشراب والجهال ربما يستطيلون على الجند وأصحاب الأمير أي" أبي علي" ادلالاً عليهم..)(119). وذكر أن الأمير تأثر كثيراً إثر حادثة اعتداء وقع على أحد بني عمه حينما دخل "سوق البز" وراث فرسه في هذا السوق الذي كان له من الحرمة والناموس شيئ كثير بحيث لايدخل إليها أحد راكباً (120). (وكان من أهل البلد متى استطال عليهم جندي أو كردي ضرب في وسط السوق حتى يكاد يتلف...)(121).

ويظهر أن المؤرخين كالفارقي لايلقون باللائمة على الأمير أبي علي في بطشه بذلك الفريق المعارض لحكمه بل يرونه ملكاً عادلاً حسن

www.efrin.net
www.alkottob.com

السيرة لين الجانب مرناً في سياسته الداخلية كما ينص عليه كلام ابن الأثير بصدد هذه الحادثة المرة حيث قال: (وأقام ابن مروان بديار بكر وضبطها وأحسن إلى أهلها وألان جانبه لهم فطمع فيه أهل ميافارقين فاستطالوا على أصحابه)(122).

الأمير حسن وعروسه (ست الناس) وا غتياله

www.alkottob.com

في آواخر سنة(386هـ-996م) أرسل الأمير أبو علي حسن جماعة من أشراف بلاده إلى مدينة (حلب) عند أميرها أبي الفضائل بن سعد الدولة بن سيف الدولة الحمْداني ليعرضوا عليه رغبته في المصاهرة مع العائلة الحمْدانية ويخطبوا له أخته الأميرة (ست الناس).

رحب الأمير أبو الفضائل برجال أبي علي وحقق رغبتهم فتم خطبة ست الناس على صداق مائتي ألف درهم. ولما أراد الملك الدوستكي نقل عروسه من حلب أرسل موكباً ضخماً يضم الخدم والحواشي والفرسان كما يضم سيدات من النساء منهم بنت الخطيب "ابن نباته" الفارقي فوصل الموكب إلى (حلب) وجهزت العروس بجهاز يليق بمكانتها وغادرها الموكب مع جيش كثيف من الجيش الدوستكي والحمداني وعبر الفرات ووصل إلى "الرها" حيث كان ينتظر العروس موكب آخر أرسله أبو علي لآستقبالها هناك(123).

أما الأمير أبو علي فإنه عزم بعد ارسال الموكب الثاني على التوجه إلى مدينة "ديار بكر" لاقامة حفلة زفافه في تلك المدينة الجميلة التي يمر بها

www.alkottob.com

نهر دجلة بروعته ويحيط بها ذلك السور الأسود العجيب وتعلوها تلك المناظر الخلابة كما أراد أن يتخذها عاصمة للدولة بدلاً من فارقين. وبينما كان الأمير مشغولاً بشوؤن الزفاف وغارقاً في احلامه العذبة مغتبطاً بقوته وشجاعته وفروسيته وغافلاً عما تكنه له الأقدام من اقتطاف زهرة شبابه وهو في أحلى أيامه وألذ المناسبات- كان "شيروه" يحرك خطته التآمرية لاغتياله فما ان دخل الملك الدوستكي مدينة "ديار بكر" حتى فوجىء بمؤامرة أودت بحياته فتركته جثة هامدة.

أما العروس فأعيدت إلى حلب قبل أن يصل موكبها إلى ديار بكر. أما كيفية الاغتيال فهي أن أبا علي حينما وصل بموكبه إلى ضاحية ديار بكر وخيم على "تل علوي" جاء لاستقباله كبير متنفذي المدينة بل رئيسها "عبد البر" فاجتمع بالأمير الذي أكرمه وخلع عليه وقبل أن يرجع من عنده انفرد به شيروه وقال له: إن هذا التقدير الذي قوبلت به من جانب الأمير إنما هو خديعة منه لأنه لم يأت إلى ديار بكر إلا ليبطش بكم كما بطش سابقاً بفريق من سكان فارقين. ولما رجع عبد البر إلى المدينة وقد انخدع بدسيسة شيروه

www.alkottob.com

جمع أتباعه ووضع خطة الاغتيال...(124). وقال لأتباعه إن الأمير (يدخل "أي المدينة" من "باب الماء" ويخرج من "باب الجهاد" فقفوا له بـ(الدركَاه) وانثروا عليه هذه الدراهم واعمدوا به وجهه فإنه سيغطي وجهه بكمِّه فاضربوا بالسكاكين ونغلق أبواب المدينة ومن باشر منكم بقتله سيكون أميراً على المدينة...)(125). وفي اليوم الثاني نُفذت الخطة كما رُسمت، كما قتل بعض ممن كانوا مع الأمير بينما كان أخوته وجيشه في خارج المدينة التي قد غلقت أبوابها أمامهم. وتقدم شيروه وقال يا قوم اعلمونا بالخبر إن كان صاحبنا حياً فعرفونا فرمى برأسه إليه وجثته فأخذها شيروه وأعاد فأعلم أبا منصور أي (ممهد الدولة) فعاد بالجيش إلى ميافارقين. وحملت جثته ورأسه إلى "أرزن" فبنيت عليها قبة فوق رأس المسجد شرقي الجسر وأثرها باقٍ إلى الآن. وحضر مروان أبو الأمراء وقد عمى ومعه زوجته "فهم" فأقاموا في تربة الأمير أبي علي عند قبره وكان أبو علي عزيزاً عند والديه فلم يبرحا قبره ولم يقيما عند ممهد الدولة وخلف أبو علي ولداً سمّي بالفضل وقيل بسنحاريب باسم جده وكان مكنى بأبي دلف نشأ في رعاية

www.alkottob.com

أعمامه وزوجه عمه نصر الدولة فولد "ست الناس" تزوجها الأمير ابراهيم بن نصر الدولة فولد منها الأمير أبو الفوارس شادزيك(126).

كان ذلك الابن من بنت سنحاريب ملك السناسنة وتزوج أبو علي أيضاً بزوجة خاله الأميرة الديلمية. وكان اغتيال الأمير في آواخر سنة(387هـ-997م).

www.alkottob.com

مـاوراء الاغتيال

لابد أن تكون من وراء اغتيال الأمير أبي علي دوافع وغايات. إن غرض شيروه الذي حرَّض "عبد البر" على اغتيال الملك الدوستكي أي بذر في نفسه الارتياب.. لم يكن مجرد الاغتيال فقط فلابد أنه استهدف من وراء ذلك الاستيلاء على الدولة الدوستكية وازاحة الأسرة الدوستكية عن الحكم ولكنه لم يستطع أن يحقق هدفه الرئيسي لقلة أو عدم تأييده من قبل الجيش ورجال الدولة من مركزه، إذ لم يكن رجلاً محبوباً لسلوكه وتصرفاته السيئة ولكنه وإن لم يتحقق هدفه هذا إلا أنه ظل ينتهز فرصة أخرى لتحقيقه فكان أن قام باغتيال الملك والأخ الثاني ممهد الدولة سنة(401 هـ - 1011 م) واستولى على العاصمة فارقين ومناطق من الدولة كما سيأتي التفصيل.

إن الفارقي أكد على أن شيروه هو الذي زرع في نفس عبد البر الشك والارتياب من الأمير وسبب اغتياله، لكنه لم يتطرق إلى هذه الغاية من الاغتيال غير أن ابن الأثير قد ذكر ما يدل على أنه كانت من وراء

www.alkottob.com

الاغتيال الملك مؤامرة ومتآمرون يستهدفون الاستيلاء على الدولة ولكن (مه م) نفسه وقد خلفه الأمير على فارقين شك بالمؤامرة وحال دون تحقيق هدفهم. فقال ابن الأثير: (وحدث بعد مقتل أبي علي جماعة من الأكراد نفوسهم بملك البلد فاستراب بهم محتفظ ميافارقين لاسراعهم وقال إن كان الأمير حياً فأدخلوه معه وإن كان قتل فأخوه مستحق لموضعه فما كان بأسرع من أن وصل ممهد الدولة)(127) هذا وتزدحم في طريقنا ونحن إذ نكتب هذا الموضوع مجموعة من الشكوك والتساؤلات والاحتمالات بحيث لايمكننا اختراقها والوصول إلى الحقيقة وهي:

إن كان شيروه هو المسبب الأول لاغتيال الأمير أبي علي كما أكد ذلك الفارقي ثم هو الذي حاول الاستيلاء على العاصمة فارقين فكيف يمكن أن يغفر له ممهد الدولة ذلك الاجرام وتلك الخيانة ثم بدلاً من ينتقم منه يجعله حاجبه ويعتمد عليه ويتفانى في حبه حتى يطلعه على حريمه ويقول له مرة (روحي دون روحك ويومي قبل يومك)(128) بهذا الشكل الذي ذكره الفارقي اما أن يكون شيروه بريئاً وما قاله الفارقي غير صحيح وإما أن يكون ممهد

www.alkottob.com

الدولة متفقاً مع شيروه في خطة الاغتيال مع العلم أننا لم نجد في مصدرما إشارة إلى أن الممهد دخل في أي خلاف مع أخيه أو فكر في الوصول إلى الحكم. أو أن شيخ المدينة عبد البر استاء من قرار الملك بنقل العاصمة إلى ديار بكر وخشي على نفوذه كما خاف أن يبطش به يوماً كما بطش بشيخ فارقين محمد بن أبي الصقر فأقدم على اغتياله.

www.alkottob.com

نصر الدولة أحمد بن مروان يتسلم الحكم
ممهد الدولة (سعيد) يتولى زمام الحكم
(401 - 453 هـ/ 1011 - 1061م)
(387-401 هـ - 997-1011 م)

رجع الأمير سعيد بن مروان مع الجيش فوراً إلى العاصمة فارقين إثر مقتل أخيه أبي علي "حسن" ليحافظ على الوضع ويأخذ بالحكم قبل أن يعبث

www.efrin.net
www.alkottob.com

بأمن البلاد عابث. ولما وصل إلى العاصمة دخل دار الامارة المعروفة بـ "قصر بني حمدان" واجتمع به الأمراء والقادة ووجهاء المدينة وأصحاب الرأي «وجلس مَمْ الحاجب وأجلس الأمير أبا منصور في الامارة ولقبه ممهد الدولة وهو أول من لقب من بني مروان واستحجب شيروه وبقي أمر البلاد إلى مَمْوابنه.. وحصلت الخزائن والأموال إليه»(129). وانهالت الوفود من قبل الشعب في كافة مناطق كردستان الوسطى على العاصمة للعزاء ولتهنئة الملك الجديد والاعراب عن تأييده لحكمه (وقصدته العشائر من سائر الأطراف وحلفوا له وحصلوا تحت أمره وخدمته)(130). وهكذا أصبح ممهد الدولة ملكاً على الدولة الدوستكية بعد ثلاثة أيام من مقتل أخيه.

www.efrin.net
www.alkottob.com

الدول تتبادل الوفود
مع ممهد الدولة سعيد

تبادلت الدول الكبرى آنذاك الوفود مع الملك الكردي الجديد ممهد الدولةسعيد فنزل عليه وفد رسمي من الدولة العبّاسية قدم له التهاني واعتراف الخليفة "القادر بالله"، واعتراف السلطان البويهي "بهاء الدولة" بحكومته، كما اعترفت بحكومته الدولة الفاطمية حيث أرسل إليه الخليفة "الحاكم" ابن العزيز رسالة مع وفد رسمي ضمن فيها اعترافه بحكومته وأرسل مع الوفد هدايا وتحفاً وسيأتي كلام الفارقي بهذا الصدد(131). وأما الدولة البيزنطية فإنها اعترفت هي الأخرى بحكومة ممهد الدولة ودليلي على هذا هو تنفيذها لمبادىء هدنة سنة (382هـ - 992م) في عهد هذا الملك الجديد أيضاً مع عدم حدوث مايعكر العلاقات الطيبة بين الدولتين.

اجتماع مع الامبراطور البيزنطي

www.efrin.net

www.alkottob.com

في سنة (390هـ-1000م) عقد ممهد الدولة والامبراطور البيزنطي ((بسيليوس-باسيل)) اجتماعاً بينهما وتداولا بدون شك الشؤون المتعلقة بالدولتين كمسألة الحدود والتجارة وغيرهما ووقعا على هدنة بين الطرفين كانت بمثابة تمديد لهدنة سنة (382هـ - 992م) ثم رجع بسيليوس. وذكر المؤرخون أن الاجتماع كان في ناحية حول فارقين وديار بكر مما يفهم أن الامبراطور دخل الأراضي الدوستكية والظاهر أن الاجتماع كان في منطقة الحدود. وبهذا الصدد قال الفارقي: «وفي سنة (390هـ - 1000م) خرج بسيل ملك الروم إلى نواحي آمد وميافارقين واجتمع بممهد الدولة أبي منصور وتحالفا وتعاقدا وعاد من غير أضرار»(132). وقد ذكر عن هذا الاجتماع أيضاً سعيد بن بطريق الأنطاكي حيث قال: (وسار في سنة (389هـ - 999م) ملك الروم إلى بلاد الإسلام وفتح أماكن ولكنه رجع إلى قسطنطينية بسبب موت "داود القربلاط" ملك الجزيرة "وقصده أمير الأكراد ممهد الدولة أبو منصور سعيد بن مروان صاحب ديار بكر ووطىء بساطه وجعله الملك ماجسطرس ودوقس المشرق وأحسن إليه وأنعم وأعاده إلى بلاده)(133).

www.alkottob.com

ديار بكر تعود إلى أحضان الدولة

إن مدينة ديار بكر التي كانت تحتل الصدارة من بين مدن كردستان الوسطى كما هي اليوم أصبحت بقتل أبي علي منشقة عن الدولة الدوستكية مدة حيث استولى عليها "عبد البر" وأعوانه. ولما لم يستطع سكان المدينة أن يعيشوا في عزلة اقتصادية واجتماعية عن الدولة لكون المدينة أصبحت محصورة ومنعزلة بطبيعة موقعها وبحكم مؤامرة عبد البر واغتياله الأمير أبا علي "حسن" اضطر عبد البر إلى التوسط بشيروه ليكون وسيطاً بينه وبين الأمير ممهد الدولة على أن تكون الخطبة والسكة في ديار بكر باسم الأمير وأن يدفع إلى خزينة الدولة مائتي ألف درهم سنوياً مقابل اعتراف الأمير به والياً على مدينة ديار بكر فقبل الأمير ممهد الدولة ما عرضه عبد البر، وبهذا عادت المدينة إلى أحضان الدولة مرة أخرى ولكن لم تكن لممهد الدولة السيطرة الفعلية عليها، ولما قتل عبد البر كتب أبو طاهر ابن دمنة إلى

www.efrin.net
www.alkottob.com

شيروه ولاطفه وطلب منه أن يتوسط لدى الأمير ليقره والياً على المدينة من قبله على الشروط التي كانت في عهد عبد البر فقبل الأمير توسطه أيضاً (134).

أبعاد الأمير أحمد

ذكر المؤرخون أن ممهد الدولة أبعد أخاه أحمد إلى سعرد في وقت لم

www.efrin.net
www.alkottob.com

يحددوه. فقال ابن خلدون في سبب هذا الإبعاد أن الأمير أحمد أبا نصر نازع أخاه ممهد الدولة فأقام بفارقين مضيقاً عليه وغلبه ممهد الدولة وبعثه إلى قلعة "سعرد" فأقام بها مضيقاً عليه(135). وأما أبو الفداء والفارقي وابن الأثير فذكروا رواية تلتقي مع ما قاله ابن خلدون في أصل المعنى أي من حيث الجذور لا من حيث التعبير وهي:

إن الأمير أحمد قال لممهد الدولة ذات يوم: إني رأيت الليلة في منامي كان القمر وقع في حجري وقيل بل قال رأيت في منامي كأن الشمس على رأسي فقال ممهد الدولة أن هذه رؤياك تدل على أنك تملك الملك قال فلا تريني وجهك إلا قتلتك (136).

والخلاصة أن سبب الإبعاد هو مجرد عدم ثقة الممهد بأخيه والتحذر من قابليته وكفائته للحكم وان كانت عند الأمير أحمد فكرة فلم تخرج من نطاق التمني إلى نطاق العمل إذن فالمسألة لم تصل إلى درجة النزاع فتعبير ابن خلدون بالمعنى المتعارف في غير محله.

ويرى الفارقي أن الممهد لم يضيق على أخيه بسعرد وإنما أبعده من عنده

www.efrin.net
www.alkottob.com

وأعطاه قرية "سعرد" ونحاه على نهر هناك علماً بأن قرية سعرد هي مدينة "سعرد" الحالية وهي مركز ولاية باسمها.

قد اعتاد الملك الدوستكي ممهد الدولة أن يذهب في فصل الربيع من كل سنة إلى قلعة "هتاخ" وهي إحدى القلاع الكردية في اقليم ديار بكر ومطلة على مروج مخضرة رائعة الجمال ليقضي هناك أياماً باسمة بين اللهو وأنغام الموسيقى وكؤوس الشراب وكان قد أعطى "هتاخ" إقطاعاً لحاجبه (شيروه بن (مه م).

وفي أواخر سنة (400 هـ - 1010م) أو (401 هـ - 1011م) خرج ممهد الدولة مع حاشيته وبني عمه إلى (هه تاخ): «وأقاموا أياماً يتفرجون ويتصيدون ولازموا الأكل والشرب والصيد أياماً وحصل لهم (ابن فليوس) من الإقامة، المأكل والشراب كثيراً وحصلوا كذلك أياماً في طيب عيش ونعمة...»(137).

www.efrin.net
www.alkottob.com

وكان شيروه مع غلامه ابن فليوس الذي عينه مديراً للشرطة يقضي فصل الربيع في هتاخ وكان الأخير كما يقول الفارقي سيء السلوك حتى أن ممهد الدولة كان يكرهه كثيراً لسوء تصرفاته ولكنه لم يقتله احتراماً لشيروه في حين أن الممهد كان يحب شيروه حباً جماً فقربه كثيراً وأعطاه سلطات واسعة وغالى في حبه بينما هو الذي سبب اغتيال أخيه الملك "أبي علي" من قبل عبد البر أحد رؤساء مدينة ديار بكر سنة(378 هـ - 988 م) وكان ابن فليوس يعلم أن الممهد يكرهه كثيراً ولذا كان يحرض سيده شيروه عل قتله والاستيلاء على الدولة حتى أقنعه، وفي ليلة من ليالي "هه تاخ" العذبة رسم ابن فليوس وشيروه خطتهما لاغتيال الملك ونفذاها بينما كان منفرداً في غرفة النوم وليس عنده سوى خادمه "مشرق" وبعد أن قبضا على أبناء عمه ورجاله المخلصين واحداً واحداً بدون أن يشعر بهما أحد وبخطة بارعة. وقد ذكر الفارقي تفصيل حادثة قتل ممهد الدولة بصورة دقيقة وهو ينتقده في اعتماده على شيروه وإعطائه سلطات واسعة ومغالاته في حبه، ومن الغريب جداً أنه اعتمد بهذه الدرجة على شيروه وقد علم بدون شك أنه سبب اغتيال

www.efrin.net
www.alkottob.com

أخيه بالأمس "حسب رواية الفارقي" مما يدل على أنه لم يكن ملكاً حازماً وصارماً.

هذا ولما قضى نصر الدولة أحمد بن مروان على فتنة شيروه ودخل مدينة فارقين منتصراً نقل جثمان أخيه إلى مدينة "أرزن" ودفن في القبة التي شيدت على ضريح أخيه أبي علي وكان أبوه وأمه ما يزالان على قيد الحياة ويقيمان عند ضريح أبي علي. ولم يعقب ممهد الدولة ذرية (138).

وبصدد تحديد السنة التي قتل فيها ممهد الدولة وقع خلاف بين المؤرخين فذهب الفارقي إلى أنه قتل سنة (401 هـ-1011م) وتبعه ابن خلكان الأربيلي وقال الأخير أنه قتل ليلة الخميس من شهر جمادى الأولى وكذلك قال خير الدين الزركلي(139) أما ابن الأثير، وابن خلدون، وابن تغرى بردى، وأبو الفداء، وأبن الوردي، وابن كثير فيرون أنه قتل سنة (402 هـ 1012م)(140).

تحديد سنة مقتل الأمير سعيد

يرى الفارقي أن قتل ممهد الدولة "سعيد" كان في سنة (401 هـ

www.alkottob.com

1011م) فقد قال: "إنه خرج إلى الهتاخ في آخر سنة (400 هـ 1010م) وقيل أول سنة (401 هـ1011م)"(141) كما قال في أكثر من موضع ما يدل على أنه قتل في السنة المذكورة. فقال في (ص92): أن مدة حكمه "كانت... أربع عشرة سنة. من سنة(387 - 401 هـ / 997 - 1011م)" كما قال بعد أن تكلم على حصار نصر الدولة لفارقين: إنه دخل المدينة "في آخر سنة (401 هـ - 1011م)"(142) كما أنه صرح أن مدة حكم نصر الدولة (53) سنة أي أنه اعتبرها من (401 - 453 هـ1011-1061م) بينما قال الفريق الآخر أنه حكم (52) أي من 402-453 هـ - 1012 - 1061م).

ومن حيث أن لتحديد سنة قتل الممهد أهمية تاريخية لأنها نهاية حكم ملك وبداية حكم ملك آخر إضافة إلى كونها السنة التي تعرضت فيها الدولة الدوستكية لأكبر خطر داخلي في تاريخها - أرى من الضروري أن أقوم بتحقيق من أجل تعيين تلك السنة وأرجح أحد الرأيين فأعود وأرجح رأي الفارقي الذي أخذ به ابن خلكان وآخرون بدليل جغرافي مناخي أي بالحالة الجوي التي تميز بها شتاء سنة (401 هـ 1011م) وبالمقارنة بين الفيضان

www.alkottob.com

الذي حدث في "نهر دجلة" وأغرق عدداً من أحياء مدينة بغداد في ربيع السنة المذكورة وبين الشتاء القارس الذي كان نصر الدولة يحاصر فيه مدينة فارقين ففي ربيع تلك السنة حدث فيضان هائل في نهر دجلة بحيث زاد الماء عند بغداد (21) ذراعاً وأغرق عدداً من أحياء القسم الشرقي منها فأصبح من الفيضانات الخطيرة في تاريخ بغداد بحيث سجله المؤرخون كابن الجوزي وشمس الدين الذهبي وتحدث عنه أيضاً الأستاذ الدكتور أحمد سوسه(143). علماً بأن الفيضان لا يحدث في العراق لاسيما بتلك الخطورة إلا بسبب كثرة تساقط الثلوج في الشتاء في حوض نهر دجلة وحوض نهر الفرات ثم ذوبانها في الربيع سواء بعامل ارتفاع درجة حرارة الشمس أو بالأمطار أو بكليهما، فهذا الفيضان الهائل الذي حدث في ربيع سنة (401 هـ -1011م) يدل على أن فصل الشتاء كان بارداً جداً وكثير الثلوج، فإن اقتنعنا بهذا نقتنع أن هذا الشتاء كان شتاء السنة التي قتل فيها ممهد الدولة، أي أول شتاء بعد قتله، بدليل أن الفارقي قد وصف هذا الشتاء بشدة البرد وكثرة الثلوج بصورة نادرة فقد ذكر أن نصر الدولة ظل بجيشه يحاصر فارقين ـوقد تحصن بها

www.alkottob.com

شيروه- إلى أن دخل تشرين الثاني "فنزل من الثلج والبرد ما لا يوصف، ولحق بالأمير وجيشه من ذلك مضرة كبيرة"(144). فاضطر نصر الدولة تحت ضغط ذلك الشتاء القارس بالشكل الذي وصفه الفارقي إلى العودة إلى مدينة "أرزن" إلى أن أقبل الربيع فعاد بقوات كبيرة للاستيلاء على فارقين. مع العلم أن الثلج لا يسقط في فارقين في أوائل تشرين الثاني بالشكل الذي وصفه الفارقي إلا في سنوات قليلة ونعلم ذلك بالمقارنة بين مناخ الموصل ومناخ ديار بكر فالمعدل السنوي لدرجة الحرارة في ديار بكر أقل منه في الموصل ولكن بأقل من درجتين مئويتين كما في الكتب الجغرافية. أما فارقين الكائنة في السهول المتموجة الواقعة في شرقي ديار بكر بما يقارب "70" كيلومترا فمناخها يشبه مناخ ديار بكر لكونهما في عرض جغرافي واحد ولتشابه سطح منطقتيهما من حيث التضاريس.

ويؤيد ترجيحنا بهذا الدليل الجغرافي المناخي ما ذكره الرحالة الفارسي ناصر خسرو في وصف مناخ فارقين فإنه لما وصل إليها في يوم الجمعة (26 جمادى الأولى من سنة (438 هـ /23 تشرين الثاني من سنة 1046م) وجد

www.efrin.net
www.alkottob.com

الأشجار لا تزال خضراء والمناخ لطيفاً فأعجبه مناخها بينما ذكر أنه حينما وصل إلى "كروان سراي" ده شت ره هوا في الشهر السابق، أي تشرين الأول، وجد الثلج ينزل ورأى البرد قاسياً(145).

وهكذا أرجح أن تكون السنة التي قتل فيها ممهد الدولة (401 هـ - 1011م) ذات الشتاء القارس الذي حدث في ربيعه الفيضان التاريخي في بغداد. وسيكون لدينا دليل قاطع إذ ثبت ما قاله المستشرق "زامباور" من وجود درهم مسكوك في سنة (401 هـ -1011م) عليه اسم نصر الدولة بمادة "محمد"(146). ولكني أظن أن تاريخ هذا الدرهم هو (410 هـ -1020م) وهو الدرهم المضروب في فارقين كما سيأتي ذكره علماً بأن النقود الدوستكية في عهد نصر الدولة الموجودة في المتحف التركي باستنبول والمتحف البريطاني بلندن قد سكت كلها بعد سنة (402هـ - 1012م) ولعل المستقبل يكشف عن دلائل قاطعة.

www.alkottob.com

سار ممهد الدولة سعيد على السياسة التي رسمها للدولة الملك أبو علي"حسن" فوطد علاقات الصداقة مع الدولة البيزنطية وكافة الدول والامارات الاسلامية المجاورة لاسيما الإمارة الحمدانية في "حلب" فقد تصاهر مع الأسرة الحمدانية وتزوج بـ "ست الناس" ابنة سعد الدولة التي كانت قد خطبها أبو علي سابقاً.

أما سياسته في المجال الداخلي فقد كانت تستهدف المحافظة على الأمن والاستقرار السائدين في البلاد وتسعى من أجل إسعاد الشعب وإبعاده عن المشاكل والأزمات الخارجية ولم يحدث مدة حكمه البالغ أربع عشرة سنة ما يعكر صفو الأمن ويكدر الاستقرار كما كانت المساواة قائمة بين المسلمين والمسيحيين وكان مدير الأوقاف في عهده هو المدير السابق في عهد أبي علي وهو المسيحي "ابن شليطا". ورغم سياسة ممهد الدولة هذه فإنه لا ينجو من الانتقاد بسبب إعطائه سلطات واسعة لشيروه وقد انتقده الفارقي على ذلك حيث يرى أن سلوك شيروه لم يكن مرغوباً كما أنه لم يكن مخلصاً

www.efrin.net
www.alkottob.com

له وللدولة وبصدد سياسة ممهد الدولة قال الفارقي: (وقيل وفي أيام ممهد الدولة استقرت احوال الناس وقوي الممهد وراسل الملوك والخليفة ببغداد وجاءه التشريف من الخليفة بهاء الدولة "البويهي" وفخر الملك ولده، وجاءته التوقيعات من الملوك وراسله "الحاكم" خليفة مصر وأهدى له الهدايا)(147) أما بصدد أعمال ممهد الدولة العمرانية فلا ترى منها سوى ترميماته الكثيرة في سور مدينة فارقين فذكر الفارقي أنه: (بنى سور ميافارقين كثيراً واسمه من ظاهر السور على اثنين وعشرين موضعاً وعدد من دخل البلد فكان ما بناه نيفاً وثلاثين موضعاً.

قيل: وانهدم باب المدينة والبرج الذي فيه "باب الوسطاني" وعمره وفتح باب "قلوفح" بين برجي الطبالين فحصل الناس يخرجون فيه مع "باب الربض وباب باقوسي" فإنهما كانا مفتوحين فلما فرغ من بنائه أغلق باب قلوفح وسده وعاد الناس يدخلون كما كانوا وسد بعد ذلك باب الربض وباب باقوسي وبقي هذا الباب وحده وكانت عمارة الباب في سنة(396 هـ - 1006م) (148).

www.efrin.net
www.alkottob.com

ومن الجدير بالذكر أن ممهد الدولة قد سك النقود باسمه، ففي متحف استنبول نموذج درهم له ضرب في فارقين سنة (396 هـ -1006م) وعليه اسمه واسم الخليفة العباسي القادر بالله واسم الملك البويهي بهاء الدولة بن عضد الدولة وسيأتي نص الكتابة الموجودة على هذا الدرهم في موضوع (العملة الدوستيكية). وكان كل من عبد البر وابن دمنة يصدر النقود أيضاً باسم ممهد الدولة في مدينة ديار بكر(149).

بعد أن انتهى شيروه من جريمة اغتيال ممهد الدولة وكان قد قبض على بني عمه واحداً واحداً معلناً لهم أن الأمير قد أمره باعتقالهم سلم حراسة حصن "هتاخ" إلى بعض أعوانه وتوجه مع ابن فليوس على رأس قوة مسلحة نحو العاصمة فارقين واقتاد معه الخادم "مشرقاً" ليستخدمه قسراً في فتح باب المدينة حيث أن ممهد الدولة كان يأمر الحراس بعدم فتح باب المدينة إذا رجع من سفراته حتى يروا وجه خادمه المسمى بـ "مشرق"

www.efrin.net
www.alkottob.com

وذلك حذراً من أن تغتنم جماعة متآمرة فرصة غيابه فتدخل المدينة باسمه وتستولي عليها مما يظهر أن ممهد الدولة كان يشك في نوايا بعض من الأمراء والمتنفذين في دولته سواء أكان ذلك البعض أخاه الأمير أحمد "نصر الدولة" أو أميراً آخر ولكنه لم يكن يشك في إخلاص شيروه ونواياه الطيبة. لقد أسرع شيروه مع أعوانه في المسير في نفس الليلة ووصلوا فارقين وقت السحر فأمر مشرقاً أن يأمر الحراس بفتح الباب فاضطر إلى امتثال أمره وصاح بهم وطلب منهم فتح الباب ففتحوه ظناً أن الأمير معهم كالعادة ولكن لما دخل شبروه وابن فليوس والمشاعل بين أيديهم ولم ير الحراس الأمير تحققوا وجود مؤامرة خطيرة وأمسكوا بشيروه وأوقعوه من ظهر فرسه ليمنعوه من دخول المدينة ولكن ابن فليوس أقبل عليهم وقتل منهم ثلاثة(150).

وهكذا دخل شيروه وأعوانه المدينة واضطر الجيش وسكانها إلى تقديم الطاعة لشيروه الذي أعلن عن إسقاطه للدولة الدوستكية.

www.alkottob.com

أرسل شيروه فور الاستيلاء على العاصمة أعوانه إلى القلاع المجاورة واستولوا عليها بدون قتال بمجرد إبرازهم خاتم الأمير ممهد الدولة وادعائهم أن الأمير هو الذي أمرهم بذلك وأعطاهم خاتمه(151) تأكيداً عليه ولم يكن لأمراء القلاع غير الانصياع لهذا الأمر مخدوعين بالخاتم الذي لا بد أنه كان رمزاً لأمر الأمير كوجه "مشرق". وفي نفس الوقت فرض شيروه مراقبة شديدة على الطرق المؤدية إلى أنحاء البلاد ومنع الناس من دخول العاصمة أو مغادرتها حتى لا تتسرب الأخبار إلى البلاد فيستولي على أرجائها بكل سهولة وبدون أية مقاومة. وأحرز شيروه تقدماً سريعاً حتى وصل أعوانه إلى قلعة (طانزه) في مقاطعة بوتان في اليوم الثالث من مؤامراته واستولوا عليها بنفس الأسلوب(152).

www.efrin.net
www.alkottob.com

خواجا أبو القاسم ودوره في أنقاذ البلاد

رغم أننا لا نعلم شيئاً عن حياة خواجا أبي القاسم الأول وعن كيفية مجيئه إلى كردستان الوسطى فإننا نعلم بدوره الفعال والمشكور في الدولة الدوستكية. ويظهر من نسبة خواجا إلى "أصفهان-أصبهان" أنه كان من أهل أصفهان في إيران، فقدم في زمن ما إلى كردستان وأصبح والياً على مدينة "أرزن" وتوابعها في عهد الملك أبي علي وظل في منصبه خلال عهد الملك ممهد الدولة إلى أن أصبح وزيراً في الدولة. وكان رجلاً ذا تجارب وخبر يملك الرأي الصائب والكفاءة السياسية كما كان يتمتع باحترام فائق حتى لقب بـ "شيخ الدولة" وقد وصفه الفارقي بكونه: (شيخ الدولة وذا رأي وعقل وتدبير وكان أهل "أرزن" يرجعون إلى رأيه).(153) وقد لعب أبو القاسم دوراً مشرفاً وفعالاً في إنقاذ الدولة من تآمر شيروه فذكر الفارقي الذي

www.efrin.net
www.alkottob.com

انفرد من بين المؤرخين بتدوين الأحداث التي ظهرت أثر اغتيال ممهد الدولة مفصلاً: إن شيروه بعد أن سيطر على العاصمة فارقين أرسل (عبد الرحمن ابن أبي الورد الدنبلي)(154) إلى الخواجا ليقنعه في الاستسلام لشيروه والاعتراف بسلطته ولكنه لم يقتنع مع رؤساء مدينة (أرزن) (ثم خرج أبو القاسم مع عبد الرحمن إلى ضواحي المدينة للصيد والتنزه فانفرد الخواجه فرأى رجلاً مقبلاً من ميافارقين يجدّ في السير فقال له ما وراءك؟ قال أن شيروه قتل الأمير وقد نفذ سرية ليقبض على الأمير أبي نصر "أحمد" وأنا ماضٍ إليه أعلمه قبل وصولهم إليه والطرقات جميعها قد أخذت من سائر النواحي لئلا يشيع الخبر فرجع خواجه أبو القاسم فلما حصل بقلعة "أرزن" وتحقق الحال شق ثيابه ولطم رأسه وبكى وصاح "أي ليثير في الناس الحماس" ونفذ سرية إلى الأمير أبي نصر "وكان في منطقة سعرد" وقال له تعطي الخيل أعنتها وتبادر بالسبق إليّ فوصل إليه من غدوة وأشعره بالحال وأقام عنده بارزن ووصلت خيل من شيروه فقاتلهم وقصدوا "أرزن" فقال خواجه أبو القاسم للأمير احفظ باب الحصن حتى أطارد القوم فلما عرفوا أن

www.efrin.net
www.alkottob.com

الأمير حصل في قلعة أرزن وقد أمن على نفسه عادوا ثم وصل "صبح" الخادم وشاهد الأمير وعاد وأعلمهم فضاقت صدورهم وعادوا إلى ميافارقين وأعلموا شيروه بذلك)(155). وهكذا فشل شيروه وأعوانه من القبض على أحمد بن مرزان (نصر الدولة) وجرَّ أبي القاسم الأصفهاني ذلك الوالي الجسور المخلص إلى جانبهم فسقطت من يد شيروه وتحقق الفشل المبين.

إن المؤرخ الكردستاني الجليل أحمد بن يوسف الفارقي هو المؤرخ الوحيد الذي ذكر مفصلاً عن كيفية تنصيب الأمير نصر الدولة أحمد بن مروان من الإيمان المتبادلة بين الأمير وخواجا أبي القاسم من جهة وبينه وبين سكان مدينة أرزن وأفراد الجيش ورؤساء العشائر الكردية من جهة ثانية وهو الوحيد الذي أحرز الفضل لسرد الحوادث المؤلمة التي زعزعت كيان الدولة الدوستكية المتمثلة في مؤامرة شيروه... ولهذا نقتطف نصوصاً

www.alkottob.com

من تاريخه القيم فقال الفارقي بصدد تنصيب الأمير أحمد ما يلي:

(... ثم "إن" خواجا أبو القاسم استحضر الأمير "مروان" من تربة الأمير "أبي علي" وزوجته وأعلمهم ما جرى من قتل الأمير "أي ممهد الدولة" وأحضر الأمير "أبا نصر" إليهم واستحلفه بين أيديهم. وقال: أنا أبذل روحي ومالي بين يديك فحلف أن يكون تحت حكمه وأن ينقاد إلى ما يشير به عليه، ثم خرج وجمع أهل البلد والعساكر والشهود والقاضي واستحلف الأمير أبا نصر ثم استحلفهم ثانية فحلف الأمير ثم إن خواجا أبا القاسم فتح الخزائن وأطلق الغلات والأموال وفرق السلاح وجمع العشائر والأكراد من سائر النواحي فاجتمع عنده خلق عظيم واستحلفهم أن يكونوا بحكم الأمير ولا بعودوا عن اختياره ولا يطالبونه بشيء حتى يقتل شيروه ويملك البلاد فحلفوا على ذلك)(156). وتحدث ابن الأثير أيضاً وبصورة موجزة عن تنصيب الأمير بما يوافق كلام الفارقي وأرى أنه نقل عن الفارقي وإن لم يذكر اسمه(157) وبعد أن تم تنصيب الأمير أحمد ملكاً بهذا الطريق الاجماعي الشرعي من قبل السواد الأعظم من ممثلي الشعب وبعد أن أتم

www.alkottob.com

الأمير والخواجا استعداداتهما العسكرية توجها بجيشهما إلى مدينة فارقين ووصلا إلى ضواحيها وخرج شيروه بجيشه ليصد القوات الدوستكية فدارت معركة بين الجانبين أدت إلى اندحار شيروه وجيشه إلى المدينة وغلق أبوابها في وجه الأمير الذي رجع إلى مدينة "أرزن" وفرق الغنائم على جيشه ولم يأخذ منها شيئاً كما فتح أبواب مخازن التموين أمام جيشه(158).

www.efrin.net
www.alkottob.com

محاصرة فارقين ومحاولة شيروه اللجوء إلى الدولة البيزنطية

بعد أن جهز الأمير جيشه بشكل أحسن توجه ثانية إلى مدينة فارقين وألقى حولها الحصار. أما شيروه فإنه ندم على جريمته وضاقت عليه الأرض حين تحقق لديه الاخفاق فأشار عليه ابن فليوس أن يرسل رسولاً يحمله كتاباً إلى (بسيليوس) الأمبراطور البيزنطي يطلب منه منحه اللجوء إلى دولته ويطلب منه الزحف إلى الأراضي الدوستكية ليسلم إليه مدينة فارقين فأخذ شيروه برأي ابن فليوس وأرسل بعض أعوانه مع تحف وهدايا ثمينة إلى بسيليوس وقال شيروه في كتابه: (ما يحقن دماءنا غيرك يا ملك الروم)(159). غير أن بسيليوس الذي كانت له علاقات متينة مع الدولة الدوستكية لم يلتفت إلى رجاء شيروه.

ولما علم سكان فارقين أن شيروه يريد اللجوء إلى ملك الروم وتسليم

www.alkottob.com

مدينتهم إليه ثارت ثائرتهم مستنكرين هذه الخيانة العظمى وبدأوا يلعنون شيروه وابن فليوس علناً وهما يسمعان سبهم ولعنهم وأن كانا قد وزعا عليهم قسماً من أموال الدولة لتطييب قلوبهم ولاجتذاب عطفهم(160). ولما لم يكن لشيروه مناص من الفشل أراد أن يهرّب أموال الدولة إلى مكان أمين لينعم بها بعد فراره فلم يجد صديقاً أميناً مثل "أبي طاهر ابن دمنة" والي مدينة "ديار بكر" فأرسل إليه كتاباً مع بعض أعوانه فأجاب ابن دمنة على كتابه بكتاب مشتمل على المودة والأخاء ولبى طلبه كما وعده أن يكون تحت حكمه وأرسل إليه صاحبه وزوج ابنته "القائد مرتج" وكان شيروه قد جمع الأموال والجواهر والأشياء الثمينة ووضعها في الصناديق. ولما وصل مرتج إلى فارقين سلم إليه شيروه ما أراد من الأموال والمجوهرات وديعة فنقلها إلى مدينة ديار بكر.

وقال الفارقي الذي ذكر هذه الحوادث مفصلاً أن ابن دمنة وشيروه قد تحالفا على أن يكونا يداً واحدة وأن لا يتخلف عنه ابن دمنة ولا يسلمه إلى أحد(161).

www.efrin.net
www.alkottob.com

لما علم سكان مدينة فارقين بسوء نية شيروه وخيانته بمحاولته اللجوء إلى الدولة البيزنطية وتسليم المدينة إليها اشتد تذمرهم منه يوماً بعد يوم. كما أنهم خافوا أن يبطش بهم أبو علي سنة (384هـ - 994م) ولما كان يوم الجمعة حضر ابن فليوس الجامع ورافقه كثير من أفراد الجيش فخشى سكان المدينة المخلصون للدولة الدوستكية وأميرها الجديد نصر الدولة من سوء نية يكنها لهم ابن فليوس فانفجروا في ثورة عارمة على شيروه وابن فليوس وهاجموا الأخير ولكنه انهزم من بين أيديهم ووصل إلى قصر شيروه وتبعه الثائرون غير أن شيروه سرعان أن أمر الجنود الكرج أن يرشقوهم بالسهام فنفذوا أمره وقتلوا منهم عدداً كما جرحوا عدداً آخر غير قليل ثم خرج شيروه ليهدئ الثوار ولكنهم طلبوا منه تسليم ابن فليوس إليهم فلم يستجب لطلبهم فقاتلوا شيروه واشتد عليه الخطر فدخل القصر وفتح الخزائن وفرقها على الجنود كي يدافعوا عنه في اللحظة الخطرة واشتد القتال بين الجانبين

www.alkottob.com

وبالرغم من أن شيروه وجنوده قتلوا منهم عدداً كثيراً غير أنهم استمروا في القتال حتى اضطر هو وجنوده إلى الانهزام أمامهم إلى أن وصلوا إلى "برج الملك" وتحصنوا به، واستولى الثائرون على قصر شيروه ونهبوا ما فيها من الأموال. أما ابن فليوس فقد وقع في أيدي الثوار وقتل وجر الصبيان جثته في شوارع المدينة وهكذا اقتصت منه الأيدي الغاضبة وذاق وبال أمره جزاء وفاقا.(162)

قضت ثورة سكان فارقين على سيطرة شيروه وأزالتها نهائياً وأرسل الثائرون إلى نصر الدولة ليسلموا إليه المدينة غير أن سيطرة الأغنياء والمتنفذين على الموقف وإعطائهم التعهد لشيروه بالمحافظة على حياته ثم إصرار نصر الدولة على تسليم شيروه إليه وامتناعهم عن ذلك قد أخرت الأمر شهوراً.

ولما اعتصم شيروه ببرج الملك وهي قلعة استراتيجية على مرتفع في

www.alkottob.com

الجزء الشرقي من فارقين أرسل إلى وجهاء المدينة يطلب منهم حمايته والحفاظ على حياته فتعهدوا له بذلك ثم نزل من "برج الملك" إلى دار "أبي الطيب محمد بن عبيد بن المحور" وكان من الوجهاء والبارزين فخرج أبو الطيب إلى الثائرين ليهدأهم ولامهم ولكن بدون جدوى إذ هاجموا القصر العتيق (وكان دار الإمارة في العهد الحمداني والدوستكي إلى نهاية عهد ممهد الدولة) وهدموا القصر ونهبوا ما فيه وبعد أن كاتبوا نصر الدولة لتسليم المدينة جاء بجيشه ونزل بظاهر المدينة وطالب بتسليم شيروه ولكنهم اختلفوا حول تسليمه حيث لم يرض فريق لأنهم تعهدوا لشيروه بحمايته فترك أبو الطيب رياسة المدينة فقدم السكان عليهم رجلاً يعرف بـ "أبي طاهر بن الحمامي" ثم اختلفوا عليه فاعتزل هو أيضاً فأمَّروا عليهم "أبا الحسن أحمد بن الوصيف" وكان بزازاً واحد مقدمي سوق "البز" كما كان من العدول فأخذ بزمام الحكم مع "ابن أبي الريحان" وكان للأخير إتباع واسترجع ابن الوصيف بعض ما نهب من القصر وجمع مالاً جزيلاً وشرع نصر الدولة في القتال ولما علم ابن الوصيف أن السكان يسلمون المدينة إلى نصر الدولة بدأ

www.efrin.net
www.alkottob.com

بالتفاوض معه كما اجتمع بكبار سكان المدينة بجامع فارقين وحثهم على تسليم المدينة المحاصرة غير أن الوجهاء رفضوا تسليم شيروه (ولما جاء تشرين الثاني جاء من الثلج والبرد ما لا يوصف ولحق الأمير وأصحابه من ذلك مضرة كثيرة... فرحل إلى أرزن وترك بعض العساكر لحصار المدينة ثم عاد بعد أن انتهى شباط...) وبعد مفاوضات توجهت جماعة من كبار المدينة إلى نصر الدولة فأكرمهم وأمنهم وعفا عن شيروه بناء على طلبهم وفي الصباح فتح (باب البلد) و(باب الهوة) و(باب الربض) فدخل نصر الدولة وجيشه المدينة ونزل في قصر شيروه ونزل إليه شيروه من برج الملك وكان ذلك في آخر شهر سنة (401 هـ - 1011م)(163).

www.alkottob.com

www.efrin.net
www.alkottob.com

وزارة أبو قاسم الأصفهاني وتنظيم شؤون الدولة

لما دخل الأمير أبو نصر أحمد بن مروان مدينة فارقين مسترجعاً عاصمة الدولة باشر بتنظيم شؤون دولته على أسس متينة فعين ولاة المناطق والموظفين على أساس من الكفاءة والإخلاص ليعيد إلى الدولة رواءها وهيبتها ويوطد حكمه على دعائم من العدل والمساواة ويؤمن لشعبه حياة الهدوء والاستقرار. ولما كانت الوزارة أهم منصب في الدولة فلم يكن أليق بها من الوالي الجسور وشيخ الدولة المخلص خواجا أبي القاسم المتحلي بالدراية والتبصر وحسن السياسة فاتخذه نصر الدولة وزيراً له وفوض إليه الأمور كما أنه لم يكن يقرر أمراً أو يقوم بمهمة بدون موافقة هذا الوزير.(164)

عين نصر الدولة أبا الحسن "ابن الوصيف" والياً على القسم الشمالي

www.alkottob.com

من مقاطعة (بوتان) إلى حدود الجزيرة بالإضافة إلى منطقة (تل فافان أي تلانيف روا) وكان مقر الوالي في بلدة (طانزه) الصغيرة الجميلة التي أوتيت قسطاً كبيراً من وفرة المياه وكثرة البساتين وروعة المناظر، ولعل تعيين ابن وصيف في هذا المنصب كان شرطاً من شروطه في مفاوضاته مع نصر الدولة بشأن تسليم مدينة فارقين. وبعد مقتل شيروه وبعض من جماعته ترك ابن الوصيف ولاية بوتان وفر إلى "بغداد"(165) مما يدل على أنه خاف على نفسه ولم تكن بينه وبين نصر الدولة الثقة الكاملة.

الأوقاف والقضاء

وعين نصر الدولة "أبا محمد الحسن بن محمد بن المحور" مديراً للأوقاف العامة كما عين في قضاء فارقين أو أقر فيه "علي بن حامد" الذي كان في عهد أبي علي نائباً للقاضي "علي بن أحمد" النسوي الذي توفي سنة (387 هـ - 997 م) أما القاضي في عهد ممهد الدولة فكان "أبا القاسم الحسن بن المنذر" الذي توفي سنة (401 هـ - 1011م)(166).

www.efrin.net
www.alkottob.com

تطهير العاصمة من العناصر الفاسدة

بعد أن نظم الملك الجديد شؤون الدولة والعاصمة بالذات واسترجع قسماً من ذهب الدولة المنهوب وأموالها كان من الاجراءات التي اتخذها تطهير مدينة فارقين من عناصر السوء والفساد فقيض على شيروه (بعد مدة وأرسله إلى قلعة (هه تاخ) وصلبه هناك حيث المكان الذي اغتال فيه ممهد الدولة كما قتل جماعة ممن اشتركوا في مؤامراته ولم تقتصر اجراءاته على قتل شيروه وهذه الجماعة فقط بل طرد جماعة من المفسدين والفساق الضارة ممن لا يرى الصحيح ويطلب الفتن والفساد على ما قاله الفارقي(167).

www.efrin.net
www.alkottob.com

وفـاة نـاصـر الدولـة منـصـور

وزارة أبي القاسم المغربي

www.efrin.net

www.alkottob.com

اعتذار من الملك البيزنطي

الشعراء في بلاط نصر الدولة

استرجاع العاصمة فارقين

www.efrin.net

www.alkottob.com

www.alkottob.com

تشييد القصر الدوستكي

بعد أن فرغ الملك من تنظيم أجهزة الدولة وأعاد الأمور إلى نصابها عزم على تشييد قصر ملكي فخم،جميل، متألق بخيوط الذهب التي زينت بها سقفه وجدرانه ليضاهي قصور الملوك العظام ويكون مثالاً للحضارة والنعيم.

جمع نصر الدولة لأجل بناء هذا القصر المهندسين ورجال الفن والأعمار واستشارهم في اختيار موقع القصر فاختار الأمير أولاً أن يشيد قصره على أنقاض القصر الحمداني المعروف بـ (القصر العتيق) والواقع في القسم الجنوبي الغربي من المدينة والذي كان دار الإمارة في عهد كل من أبي علي وممهد الدولة وقد هدمت أثناء فتنة شيروه بأيدي الثوار من سكان فارقين وكان نصر الدولة قد اتخذ قصر شيروه مقراً له منذ أن استرجع المدينة.

هذا كان رأي الأمير أما رأي جماعة من المستشارين فكانت عمارة القلعة التي كانت على رأس (التل) الواقع في الجزء الغربي من المدينة فعدل الأمير عن رأيه واستحسن رأي هذه الجماعة ثم أن الوزير أبا القاسم عرض عليه

www.alkottob.com

رأيه في اختيار موقع آخر يمتاز باستراتيجيته ومناعته وإشرافه على المدينة وهو (برج الملك) وهو مكان مرتفع يشرف على المدينة وقال له الوزير:(168) (...إنك إن بنيت "أي القصر" في البلد كان برج الملك منفرداً يحكم من فيه مستقلاً دون المدينة ولا يقدر عليه وأن بنيت في هذا الموضع "أي ملاصق برج الملك" انضاف برج الملك والباب "أي باب المدينة" إلى القصر وكان تحت حكمك ويكون من جملة القصر ففرح الأمير بذلك وشرع في عمارته في أول سنة (403 هـ - 1013م) فعمره أحسن عمارة وغرم عليه مالاً عظيماً وبني المنظر العتيق المطل على الربض وغرس بستان القصر.

قيل وكان موضعها وموضع دار السيدة "أي زوجة الأمير" بيعة "كنيسة" كبيرة ونقل مشاهدها إلى بيعة الملكية، وعمل في القصر أحسن العمل وزوقه وأجرى في حيطانه وسقوفه الذهب وعمل فيه ما لم يعمل مثله وأجرى إليه قناة الماء من رأس العين وهي قناة القصر التي على وجه الطريق فادخل بها إلى القصر وعمل فيه البرك والحمام وحصل نزهة

www.efrin.net
www.alkottob.com

الناظرين. وفرغ من القصر في ذي الحجة من سنة (403 هـ - 1013م)(169).

أما هيئة القصر وضخامته فنعلم من كلام الفارقي أن نصر الدولة شيده على ثلاثة طوابق وفي سنة (461 هـ 1069م) زاد عليه الملك نظام الدين طبقة رابعة (170)*. وكان يشمل على قبة مشيدة على ثلاث دعائم كانت تعرف بـ (سدلى)(171) دفن فيها نصر الدولة على رواية إلى أن بنت ابنته (ست الملك) القبة المروانية حيث نقلت إليها رفات والدها(172)*. وكانت هذه القبة قاعة من القصر. وكان القصر واسعاً بحيث أن نصر الدولة قد اعتاد أن يسير فيه راكباً (وكان يركب من على الضفة يسير في القصر ويخرج من الباب الشرقي)(173) ويفهم من ذكر الباب الشرقي أنه كان للقصر باب آخر "على أقل تقدير" وهو الباب الغربي، وكان له أكثر من طرق "مدارج" يصعد منه إلى طوابقه فمثلاً أن نصر الدولة لم ينزل من بعض منها مدة حوالي أربعين سنة وهو "باب الدرجة" إلا في يوم غضبه على الأمير مرزبان بن بلاشو بن كك وقائد جيشه أبي الحكيم بن الحديثي(174).

www.efrin.net
www.alkottob.com

فلا شك أن القصر الدوستكي كان يشمل على قاعة للاجتماعات ولحفلات نصر الدولة التي تقام كل ليلة. ومما يدل على سعة وضخامة القصر ذلك الجيش الكبير من جواري نصر الدولة. فقد كان له 500 جارية وقيل (1000) جارية ما عدا خدامه وحرس القصر وما عدا نسائه وأولاده، فالقصر كما يتوقع كان يستوعب السكن لما لا يقل عن ألف شخص. وقد بنى نصر الدولة بجانب قصره داراً خاصاً لزوجته "السيدة" بنت قرواش أمير الموصل. ومن الجدير بالذكر أن أسامة بن منقذ قد أورد في كتاب "الاعتبار" ذكر أحد حمامات القصر أو الحمامات الملكية وقال أن جميع أدوات ذلك الحمام كان من الفضة(175).

www.alkottob.com

اعتـراف الـدول الكبرى الثـلاث
بحكومة نصر الدولة

اعترفت الدول الكبرى الثلاث: الدولة العباسية، الفاطمية والبيزنطية بحكومة نصر الدولة ووطدت علاقات الصداقة معها حيث أرسلت كل دولة منها ممثلها إلى عاصمة الدولة الدوستكية في الشهر الأخير من سنة (403هـ - 1013م) وأرسلت معه الهدايا والتحف الثمينة لإبلاغ الملك الدوستكي اعترافها بحكومته. ومن الطريف أن ممثلي هذه الدول قد وصلوا إلى العاصمة فارقين في يوم واحد ومما زاد في الطرافة وزاد في سرور الملك نصر الدولة مصادفة وصول وفود الدول المذكورة إكمال بناية القصر الملكي العظيم وأيام عيد الأضحى.

وقد ذكر الفارقي وصول ممثلي الدول الثلاث بهذا الشكل الطريف والمصادفات السعيد فقال: (وفي ذي الحجة قبيل العيد بثلاثة أيام وصل خادم

www.efrin.net
www.alkottob.com

من خدم الخليفة "القادر بالله" ومعه حاجب من "سلطان الدولة" ابن بويه يسمى "أبا الفرج محمد بن أحمد بن مزيد" ووصل معهما الخلع والتشريف والمنشور بـ "ديار بكر" أجمع من الخليفة والسلطان ولقب "أي الملك الدوستتكي" بـ "نصر الدولة وعمادها ذي الصرامتين".(176) وكان الخلع سبع قطع: القباء، الفرجية، الجبة، العمامة المعممة السوداء، وسوارين ذهب مرصعة، وفرس بمركب ذهب والتوقيع بجميع ديار بكر وقلاعها وحصونها. فقُرئ التوقيع بحضرة أهل البلد والأكابر وكان القاضي إذ ذاك "علي بن حامد".. ولبس الأمير الخلع وحضر الناس أجمع. وفي عشية ذلك اليوم (أي في اليوم الثالث قبل العيد والذي وصل فيه رسول الخليفة العباسي والسلطان البويهي) وصل رسول من خليفة مصر هو "الحاكم بأمر الله أبو علي منصور" وورد معه من الهدايا والتحف والألطاف شيء كثير ولقب بـ "عز الدولة ومجدها ذي الصرامتين" فخرج كل من في الدولة إلى لقائه ودخل البلد. ومن بكرة ذلك اليوم "المذكور" ورد رسول من ملك الروم "بسيل" الصقلي وكان ملك القسطنطينية فخرج الناس إلى لقائه ووصل معه من

www.alkottob.com

"القود" و"الجنائب" والتحف ما لا يوصف. وكان اليوم الرابع للعيد وجلس نصر الدولة لهناء العيد على "التخت" وحضر رسول الخليفة والسلطان فجلس على اليمين وحضر رسول خليفة مصر، ورسول ملك الروم فجلسا على الشمال، وحضر الشعراء والقراء وكان يوماً عظيماً وعيداً مشهوداً وقرئت المناشير على الناس بحضور الرسل والأمراء ولبس الأمير الخُلع وخَلَعَ الأمير على الرسل من الخلع ما لا يمكن أن يكون مثلها.)(177)

وأشار ابن الجوزي والخزرجي إلى بعض ما ذكره الفارقي حيث قالوا أن في سنة (403 هـ - 1013م) قرئ عهد أبي نصر على آمد وميافارقين... ولقب بنصر الدولة.(178)

هكذا نظرت هذه الدول إلى الدولة الكردية بعين الاعتبار واعتبرتها دولة تتمتع بكافة مقومات الدولة وبمظاهر الحضارة بحيث أنها تستطيع أن تقوم بدورها المنشود في الحلبة الدولية وبشكل لا يمكن التغاضي عن مركزها والاستغناء عنها فبادرت إلى الاعتراف بها من جديد وإلى توطيد علاقات الصداقة معها. ولعل هذه الدول كانت تقدر أهمية الأمن والاستقرار والحرية

www.efrin.net
www.alkottob.com

والعدالة والغنى التي تتحلى بها الدولة الكردية.

لاشك أن ما رسمته الدولة الدوستكية لنفسها من سياسة الحياد العملية وعدم التدخل في الصراع والنزاعات القائمة في المنطقة بين الدول والإمارات والتجنب من الحروب وكوارثها ومن الانصراف التام إلى الشؤون الداخلية والسهر على مصالح الشعب الذي أصبح أغنى وأسعد شعب في المنطقة. كانت مثار إعجاب وتقدير من الدول كما أن ما قامت به من توفير الحرية للمسيحيين من مواطنيها واحترامهم وإشراكهم في وظائفها حتى الحساسة منها بينما كان المسيحيون مضطهدين أشد الاضطهاد في الأقاليم الإسلامية الأخرى ولا سيما مصر قد تركت أثراً طيباً لدى الدولة البيزنطية التي قابلتها بالمحافظة على حسن الجوار مع أنه لا أهمية لحوادث متباعدة إذ لكل قاعدة شاذ. وإذا ألقينا نظرة أخرى على كلام الفارقي نرى أن كلاً من الخليفة العباسي والخليفة الفاطمي المتنازعين على الزعامة الإسلامية حاول أن يجذب عطف وتأييد الملك الدوستكي حيث قدم كل منهما اليه لقباً خاصاً غير أنه فضل اللقب الذي منحه له الخليفة العباسي وأخذ يتلقب بـ (نصر الدولة) لا

www.efrin.net
www.alkottob.com

بـ (عز الدولة) مما يدل على أن الملك الدوستكي قد أعطى الأفضلية للجانب العباسي كما يدل عليه إعطاء الأفضلية للوفد العباسي حينما أمر نصر الدولة رسول الخليفة بالجلوس في يمينه. أما أسباب هذه الأفضلية أو الانحياز كما أرى فهي:

1- الناحية المذهبية أرى أن للناحية المذهبية دوراً مهماً لهذه الأفضلية حيث أن الدولة الدوستكية كانت تتمسك بـ (المذهب السني) الذي كانت الخلافة العباسية تتمسك به وتتزعمه بينما تدعو الخلافة الفاطمية إلى التشيع وتعمل من أجله.

2- الناحية الأدبية التقليدية للخلافة العباسية في كردستان حيث أن الشعب الكردي بصورة عامة كان يحترم هذه الخلافة احتراماً تقليدياً كما أن الدولة الدوستكية نفسها كانت في عهد الأمير ممهد الدولة تابعة للخلافة العباسية كما تشهد عليه كتابة اسم الخليفة القادر بالله على نقوده.

3- الناحية الاقتصادية إن للعامل الاقتصادي أيضاً دوراً في تلك الأفضلية

www.efrin.net
www.alkottob.com

والتبعية. حيث أن الدولة الدوستكية كانت تصدر إلى العراق منتوجاتها الوطنية، فمثلاً كانت ترد إلى أسواق بغداد المصنوعات الكردية التي كانت تصنع في مدينة ديار بكر (آمد) من الطيالسة الصوفية والثياب الموشية والمناديل والمقارم وثياب الكتان والصوف والستائر الثمينة المطرزة بخيوط الذهب والمنسوجة بالذهب(179) بالإضافة إلى المنتوجات الكردية الأخرى وكان نهر دجلة طريقاً تجارياً مهماً يربط بين كردستان الوسطى والعراق وفي هذا الطريق يصدر إلى العراق قسم كبير من المنتوجات الكردية والأرمنية أيضاً بواسطة الأكلاك. ومع هذا فإننا لا ننسى أن المنتوجات الكردية كانت تصدر أيضاً إلى أسواق مدينتي حلب ودمشق اللتين كانتا تحت النفوذ الفاطمي آنذاك كما وأن الدولة الدوستكية كانت تستورد منهما.

4- يمكن أن يكون لارتباط الأقاليم الكردية الأخرى بالخلافة العباسية أو بقائها تحت نفوذها تأثير في ذلك الموقف مع العلم أن الدولة الدوستكية بهذه الأفضلية والتبعية لم تعمل ضد الخلافة الفاطمية ولم تصبح عدواً

www.efrin.net
www.alkottob.com

لها بل استمرت الصداقة بينهما إلى سنة (430 هـ - 1040م) حيث تكدرت حينما أراد (الدزبري) النائب الفاطمي في حلب غزو الأراضي الدوستكية كما سيأتي.

ولما تولى أبو حسن علي (الظاهر) ابن (الحاكم) الخلافة بعد اختفاء أو قتل والده سنة (411 هـ -1021م) أظهر الصداقة مع الدولة الدوستكية إذ أرسل في نفس السنة الخلع والتوقيعات والتشريف إلى نصر الدولة(180).

بالرغم من تبعية الدولة للخلافة العباسية من الناحية الشرعية كان (الحياد) في الواقع هو السمة البارزة لسياسة الدولة الدوستكية الخارجية وخطها العريض.

www.alkottob.com

السيطرة الفعلية على مدينة ديار بكر

منذ أن اغتيل أبو علي في مدينة ديار بكر سنة (378 هـ - 977 م) على يد "عبد البر" وجماعته بدسيسة من شيروه فقدت الدولة حكمها المباشر في هذه المدينة حيث تمرد فيها أولاً عبد البر إلى أن اضطر إلى الخضوع الاسمي للدولة، إذ كان يدفع للدولة سنوياً مائتي ألف درهم بالإضافة إلى كون الخطبة وإصدار النقود باسم ممهد الدولة مقابل عفوه عنه واعتباره والياً على المدينة من قبله(181) ولما "قتل أبو طاهر ابن دمنة" صهره عبد البر اتفق مع الممهد على نفس الشروط المذكورة ثم مع نصر الدولة على نفس الشروط أيضاً، واستمر ابن دمنة والياً على المدينة إلى سنة (415 هـ - 1024م) وفي هذه السنة اجتمع "القائد مرتج" الذي كان يد ابن دمنة اليمنى وزوج ابنته بالملك نصر الدولة أثناء قدومه إلى فارقين بالخراج السنوي، وأكد له عزمه

www.efrin.net
www.alkottob.com

على قتل صهره وتسليم المدينة إليه وطلب منه مقابل ذلك أن يحافظ على مصالحه ويثق به دائماً ولا يصدق وشاية أحد فيه مع إشراكه في أموال ابن دمنة وإعطائه قسماً منها، فاستجاب نصر الدولة لمطالبيه واجتمع مرتج بالوزير أبي القاسم الأصفهاني(182) أيضاً فتعهد هو الآخر له وكان مرتج قد جمع لنفسه أموالاً طائلة وشعر بأن ابن دمنة يحسده فخاف منه ولما عاد مرتج إلى ديار بكر قتل مع أربعة من أتباعه صهره ابن دمنة في قصره وكان للأخير فراش جريء صاح في غلمان ابن دمنة ووثب على مرتج فقتله وفتح خزائن ابن دمنة وأخذ منها مجوهرات ثمينة وفتح "باب الهوة" من أبواب المدينة وقصد فارقين بينما نهب السكان قصر ابن دمنة أما أبناء مرتج فقد سيطروا على المدينة وأرسلوا إلى نصر الدولة نبأ الحادثة فتوجه بجيشه فوراً إلى ديار بكر ولقيه الفراش في الطريق وسلم إليه المجوهرات وأطلعه على أموال ابن دمنة وودائعه وقد سد أبناء مرتج الأبواب في وجه نصر الدولة وطلب منهم الوزير تسليم المدينة بيد أنهم

www.alkottob.com

منظر من مدينة ديار بكر

www.efrin.net
www.alkottob.com

طالبوا بالفراش، فامتنع نصر الدولة عن تسليمه إلا أن الوزير أقنعه وقال: (لا تباع آمد "ديار بكر" بفراش وهم يطلبون حقهم وقاتل أبيهم وما قتل ابن دمنة إلا برأيك وعن أمرك) فسلم إليهم الفراش وسلموا إليه المدينة بعد أن تعهد لهم نصر الدولة بما تعهد لوالدهم وكان ذلك في سنة (415 هـ 1024م).(183).

وبصدد تنظيم نصر الدولة شؤون المدينة وإسقاط بعض من الضرائب عن سكانها وعدله فيهم قال الفارقي:(وجلس الأمير بآمد وقرر حالها وطلب مال ابن دمنة وودائعه واسترجع ما نهب من القصر وأحسن إلى الناس ورتبهم وأسقط عنهم أشياء "أي ضرائب" كثيرة وعدل فيهم ورتب فيها صاحبه "زنك بن أوان" وكان بيده حران والرها وتوفي في تلك الأيام والأمير بآمد فضاق صدر الأمير لذلك ورتب بآمد ولده الأكبر "أبا الحسن" ولقبه "سعد الدولة" وكان عزيزاً عنده ورتب معه كاتباً يعرف بـ (أبن الخمار) وهم بيت النخوار الآن).(184).

www.efrin.net
www.alkottob.com

توفي الوزير الخواجة أبو القاسم الأصفهاني في شهر شعبان وقيل في رمضان من سنة (415 هـ 1024م). ولا شك أن وفاة هذا الوزير كانت خسارة للدولة الدوستكية التي كانت بحاجة إلى سياسته المحنكة ورأيه السديد وإلى إخلاصه وخدماته الجليلة. ومن المؤسف أننا لا نعلم شيئاً عن حياة هذا الوزير الجليل قبل السنة التي قتل فيها ممهد الدولة فلا نعلم شيئاً ولو قليلاً من ميلاده ونشأته وحتى اسمه وهذه تكون الحلقة الأولى والأساس من ترجمة حياة أي شخص كان.

أما الشطر الأخير من حياة الأصفهاني الذي يبدأ من سنة (401 هـ 1011م) فإنه يرفع الستار عن شخصيته القوية ويلقي الضوء على خصاله الحميدة فنرى الأصفهاني من خلال هذا رجلاً متصفاً بالذكاء والحزم والكياسة وبالجرأة والإقدام إضافة إلى تحليه بالعدل والأمانة والنزاهة والإخلاص في واجبه وبروح التضحية في سبيل الحق والعدل بالإضافة إلى كونه كان عالماً حسب ما تدل عليه كلمة "الخواجة". ولا غرو أن أبا القاسم هو الذي أحرز

www.alkottob.com

الفضل أولاً في إنقاذ الدولة من الزوال على يد شيروه فإنه هو الذي أرسل سرية من جيشه إلى قلعة "سعرد" ليُعلم نصر الدولة بالمؤامرة وتحضره إلى أرزن وهو الذي جمع العساكر والعشائر من شتى المناطق وفتح المخازن في أرزن وفرق الأموال والسلاح عليها ودعاها إلى تنصيب نصر الدولة وأخذت منها العهود لتأييده ونصرته، وهو الذي نظم تلك الجموع التي احتشدت ووضع الخطط للقضاء على شيروه وأعوانه، كما أن أبا القاسم أظهر مدة وزارته البالغة خمس عشرة أو أربعة عشر سنة كفاءة عالية في سياسة الدولة وأسدى خدمات جليلة سجلها له التاريخ بكل فخر واعتزاز.

كان الوزير المغربي وهو أبو القاسم (الحسين بن علي) رئيساً لديوان الزمام في مصر عندما كان والده (علي بن الحسين) المعروف بالوزير والمغربي موظفاً كبيراً في الدولة الفاطمية ولكن أبا القاسم هرب من مصر إلى بلاد الشام بعد أن قتل الحاكم سنة (400 هـ 1010م) أباه وأخويه وعمل

www.alkottob.com

هناك ضد الحاكم وحرض حسام بن مفرج الطائي على التمرد عليه، فتمرد فعلاً ولكنه اضطر أخيراً إلى مصالحة الخليفة. أما أبو القاسم فإنه توجه إلى العراق موطن والده وتقرب من الوزير البويهي "فخر الملك" بيد أن الخليفة العباسي أمر بإبعاده لعدم ثقته به ولكونه كان علوياً متشيعاً فأتى إلى الموصل وأقام عند أميرها "قرواش" ولكنه قبض عليه بعد أن اتهمه بالاختلاس ثم انحدر إلى العراق بعد أن أقنع قرواشاً بأن له أموالاً في الكوفة عند صهره علي بن أبي طالب وصديقه أبي علي النهر سابستي ثم تولى سنة (414 هـ-1023م) الوزارة للملك البويهي مشرف الدولة بن بهاء الدولة وأثر خلاف حدث بينه وبين الجنود الأتراك في بغداد عزل عن الوزارة فرجع إلى الموصل وتقلد وزارة قرواش كما قال بعض المؤرخين(185) إلا أن الخليفة أمر الأخير بإبعاده من عنده فلبى طلبه مما أدى إلى توجه الوزير إلى بلاط نصر الدولة في فارقين سنة (416 هـ - 1025م) أو التي قبلها. وقد لقي المغربي حفاوة بالغة من الملك الدوستكي بالرغم من أن لجوءه سبب توتر العلاقات بين نصر الدولة وصهره قرواش الذي طالبه بإرجاعه وتسليمه إليه(186)

www.efrin.net
www.alkottob.com

كما أدى إلى توتر العلاقات بينه وبين الخليفة العباسي على ما ذكره محمد أمين زكي.(187) ولما وجد الملك الدوستكي أبا القاسم متحلياً بكفاءة عالية وخبرة في شؤون الدولة بالإضافة إلى كونه عالماً فاضلاً وشاعراً بليغاً فقد رآه جديراً بأن ينيط به وزارته فعينه وزيراً له واعتمد عليه وأعطاه سلطات واسعة في إدارة الأمور وذلك في سنة (416 هـ 1025م).

www.alkottob.com

استيلاء الدولة الدوستكية على مدينة الرها

ضمَّت الدولة الكردية مدينة الرها "أورفا" إلى بلادها في سنة (416 هـ - 1025م) بطريقة سلمية أي بناء على طلب سكانها الذين أرادوا كما قال ابن الأثير (188) وغيره العيش في ظل عدالة نصر الدولة هاربين من ظلم عطير النميري غير أن هذه المدينة لم تجلب الخير للدولة الدوستكية وإنما سببت لها مشاكل خارجية مزعجة وفتحت باب النزاع مع الدولة البيزنطية كما ذهب ضحيتها صاحب نصر الدولة ونائبه "زنك بن أوان". ويستفاد من بعض المصادر التاريخية أن الدولة توسعت نحو الحدود السورية بصورة أكثر حيث استولت على مدينة حران فقال أبو الفداء (وكانت الرها لعطير فاستولى أبو نصر ابن مروان صاحب ديار بكر على حران وجهز من قتل عطيراً صاحب

www.alkottob.com

الرها..)(189).

أما زين الدين عمر ابن الوردي(190) فقد قال أن الاستيلاء على حران كان في سنة (422 هـ 1031م) بينما يستفاد مما ذكره أبو الفداء أن الاستيلاء عليها كان قبل الاستيلاء على الرها، بينما يستفاد من الفارقي أنهما كان تحت سيطرة الدولة سنة (415 هـ - 1024).

هذا وإني غير متأكد من استيلاء الدولة على حران(191) إذ لم أجد حادثة تاريخية تثبت ذلك وإن صح فكيف انتقلت هذه المدينة إلى يد "ابن الوثاب" النميري الذي ذكر بعض المؤرخين كابن الأثير وابن خلدون أنه كانت له إمارة في حران والرقة وزاد الأول "سروج"(192) الواقعة بين الرها والفرات ومع هذا فلا يلزم من عدم الوجدان عدم الوجود مع العلم أنه لم يصل إلينا كثيراً من تاريخ هذه الدولة الكردية.

www.alkottob.com

من نشـــاط الـوزيـر

عُرف الوزير المغربي بالدهاء والطُموح والحيوية والنشاط، كما اشتُهر بالخبرة العالية في أمور الدولةِ والشؤون السياسية ولكنه كان يُحب إثارة الفتن والقلاقل. وقد أبدى هذا الوزير من النشاط والعمل المخلص في الدولة الكردية ما لا يستهان به رغم قصر مدة وزارته ويدلنا على جانب غير قليل من نشاطاته وخدماته تاريخ الفارقي ومجالس المطران "إيليا النسطوري" ففي المجال الإداري رتب شؤون الدولة الإدارية ونظمها أو أنه أكمل نواقصها الإدارية وأرقى بها إلى مستوى الدولتين العباسية والفاطمية في التنظيم، ولعل وظيفتي "ناظر الديوان" و"ديوان الانشاء" كانتا من جملة ما استحدثه من الوظائف والدواوين أو التوسيعات التي قام بها في دواوين الدولة وأجهزتها فيذكر لنا الفارقي أنه رتب أمور الدولة وأجهزتها على الهيكل التنظيمي الإداري والعسكري للدولة العباسية والفاطمية.(193) فعين المغربي في منصب "ناظر الديوان" رجلاً كفوءاً يسمى "ابن بركة"، وعُين كاتباً للإنشاء أي في "ديوان الإنشاء"(194) العالم الكردستاني والأديب

www.alkottob.com

الشاعر المشهور الشيخ أبا نصر "أحمد بن يوسف المنازي" الذي أصبح بعض مقطوعاته الشعرية مضرب المثل في البلاغة وأشهرها:

وقانا لفحة الرمضاء واد   سقاه مضاعف الغيث العميم

وعندما قرأ هذه القطعة الشعرية على أبي العلاء المعري أعجب بها أبو العلاء وقال له: "أنت أشعر من بالشام".

ومن نشاطات الوزير المغربي أنه قام رغم سوء حالته الصحية بجولات عديدة في ولايات الدولة لتفقد أحوالها وقد أطلعنا "إيليا" على عدد من جولاته رغم أنه لم يكن يقصد بذكرها البحث عن جولاته وتدوين أعماله وسيرته وإنما ذكرها لعلاقتها بموضوعه، ولهذا فإنها بدون شك ليست كل جولات الوزير في ولايات الدولة الدوستكية ففي سنة (417هـ- 1026م) أو التي قبلها قام الوزير بزيارة المنطقة الشمالية الشرقية من كردستان الوسطى لمهمات رسمية ولكنه مرض في مدينة "بدليس" مرضاً شديداً وانهارت قواه فعاد إلى فارقين وضيق عليه المرض في الطريق فنزل في "دير ماري" ولكن صحته قد تحسنت رأساً عندما أكل من رمان أعطاه راهب الدير مما أدى

www.alkottob.com

إلى استغراب الوزير واعتباره ذلك آية عجيبة للراهب والدير وأثر ذلك في نفسه تأثيراً بالغاً فجعل يترك التعصب الديني ويعطف على الديانة المسيحية وعلى المسيحيين حتى أنه شك في بطلان الديانة المسيحية حسبما تنص عليه الديانة الإسلامية غير ان عقيدة التثليث والإيمان بالأقانيم الثلاثة أوقعته في شك مضاد ولهذا فإنه عزم على الخوض في مناقشات مع أحد علماء المسيحيين الفطاحل في كردستان عسى أن تنقشع شكوكه.(195) فوجد أيليا فارس ذلك الميدان.

وفي سنة (417 هـ 1026م) قام الوزير بزيارة للمنطقة الجنوبية من البلاد فوصل مدينة نصيبين "نسيبين" في يوم الجمعة المصادف 26/جمادى الآخرة، وبدأ بمناقشاته الجدلية مع مطرانها إيليا في اليوم التالي عندما زاره المطران وأقام في نصيبين أكثر من عشرة أيام(196) ثم رجع الوزير بعد أن طلب من المطران أن يجمع الرهبان ليدعو له

www.efrin.net
www.alkottob.com

جانب من مدينة بدليس

www.efrin.net
www.alkottob.com

بالصلاح والموفقية وقال أنه يطلب من الله في عز المقصد والتزهد عن الدنيا، ولكنه تراجع فقال أنه لا يستطيع التزهد لأنه لم يتعود على حياة التزهد لأن الزاهد يجب أن يقوم بخدمة نفسه وأننا تعودنا على أن يخدمنا الغلمان ولكني أستطيع أخلص نياتي ثم جمع المطران الرهبان فأقاموا الصلوات للوزير ودعوا له بالخير وأعلم الوزير بذلك.(197)

وبعد أن رجع الوزير زار نصيبين مرة ثانية برفقة الملك الدوستكي نصر الدولة كما يفهم من كلام المطران حيث قال: (... ثم عاد بعد أيام بعود الخضرة النصرية حرس الله غزها) ومكث في نصيبين "55" يوماً.(198) وقد زار الوزير مدينة نصيبين مرة ثالثة يوم الأحد 17/جمادى الأولى سنة (418هـ 1027م) وأقام فيها عشرة أيام واجتمع بأيليا وعاتب أخاه الطبيب "أبا سعيد" وقال: إنه كان سابقاً يعتني بمعالجتي ولكنه لا يعتني بي منذ مدة وطلب منه أن يعاتبه.

ومن الجدير بالذكر أنه يفهم من كلام إيليا المذكور أن الملك الدوستكي نصر الدولة قد زار نصيبين مرتين في سنة (417 هـ 1026م) وكان الوزير

www.alkottob.com

برفقته في الزيارتين وهذه الزيارات المتكررة توحيان بأنه كانت هناك ضرورة اقتضتها وأول ما يتبادر إلى الذهن هو وجود خطر خارجي على الحدود الجنوبية من البلاد مع العلم أننا لم نجد من المصادر التاريخية حادثة تتعلق بهذه المنطقة في السنة المذكورة سوى تقديم نصر الدولة مساعدة عسكرية إلى صهره قرواش حاكم الموصل في قتاله مع أخيه بدران وقد تحركت قوات كردية إلى منطقة الموصل عن طريق المنطقة الجنوبية من كردستان الوسطى التي تقع فيها مدينة نصيبين حيث نشب القتال بين الأخوين في "بلد" التي تقع في غرب الموصل بمسافة (40)كم.

فلا شك أن لزيارات الملك والوزير علاقة بهذه الحادثة بيد أنه لا يتوقع منها ضرورة تستوجب زيارة الملك مرتين إلى نصيبين ويحتمل أن يكون هناك خطر حقيقي وتهديد مباشر ضد الدولة الدوستكية لم يذكره المؤرخون ولعل "بدران" كان هو مصدر هذا الخطر إذ أنه كان يطمع في نصيبين وقد هاجمها سنة (419 هـ 1028م) كما سيأتي ذكره.

www.efrin.net
www.alkottob.com

كان الوزير يشكو من مرض أصيب به منذ سنوات فتراه قد مرض أثناء زيارته لـ (بدليس) وعندما زار نصيبين في المرة الثالثة واجتمع به المطران إيليا لام الوزير أخاه أبا سعيد كبير أطباء كردستان الوسطى لما وجد منه عدم الاهتمام بمعالجته وطلب منه أن يعاتب أخاه على ذلك فقال له الوزير: (... والشيخ أبو سعيد كان قديماً يراعي أمري ثم أهمله وأريد أن تعاتبه على ذلك. فلما اجتمعت مع الأخ أبي سعيد وعرفته ذلك...) قال لإيليا أنه قد يئس من شفاء الوزير وأن حياته لا تطول وذكر له رؤيا رآه بهذا الصدد.(199) يُضيف إيليا في نهاية المجالس «وقد تم الأمر أيها الأخ الجليل كما ذكر "أي أبو سعيد" فإن الوزير بعد أن أقام بنصيبين عشرة أيام عاد إلى ميافارقين وبعد مدة قريبة قوي مرضه وتوفي يوم الأحد الحادي عشر من شهر رمضان سنة (418 هـ 1027م)(200)».

وكان لوفاة الوزير أثر عميق في نفس نصر الدولة ونفوس المواطنين لحسن سياسته وإخلاصه وحمل جثمانه من العاصمة فارقين إلى الكوفة "أي

www.efrin.net
www.alkottob.com

النجف" بالعراق حيث دفن في مشهد علي بن أبي طالب بناء على وصيته وكان عمره (48) سنة.(201)

وبصدد وزارة المغربي وصفاته قال الفارقي: (ثم استوزر "أي نصر الدولة" أبا القاسم الحسين بن علي المغربي ورد الأمور جميعها إليه، وكان رجلاً عاقلاً حازماً فاضلاً كافياً في جميع ما يراد منه. قيل لم يوزر لخليفة ولا لسلطان أكفأ منه رجلاً ولا أعلم ولا أحسن منه سياسة وما سوى ذلك فكان فيه ما في الرجال ما يزيد وينقص)(202). (... وكانت أيامه مزهرة مشرقة وأحسن إلى جميع الناس.)(201)

وقال ابن الأثير في صفات المغربي ما يتناقض مع بعض ما ذكره الفارقي فقال أنه كان "خبيثاً محتالاً حسوداً... " وقال أن له شعراً جيداً منه:

وما ظبية أدماء تحنو على طلا ترى الأنس وحشا وهي تأنس بالوحش

غدت فارتعت ثم انثنت لرضاعه فلم تلف شيئاً من قوائمه الخمش

www.efrin.net

www.alkottob.com

فطـــــافت بــذاك القـاع ولهى فصادفـــت سـباع الــفلا ينــهشنــه أيما نــهـش

فأرجـــع مـنــي يــــــوم ظـــلـــــــــت أنـامــــل تودعني بالـدر من شبك الـنــقـش؟[204]

أما الذهبي فقد بالغ في وصف المغربي حيث قال: "إنه كان أدهى البشر وأذكاهم".(205)

وقد اعتبره ابن خلكان من الشعراء والعلماء الأفاضل وقال هو صاحب ديوان الشعر. والرسائل والتصانيف المشهورة. كما اعتبره من جملة سعادات نصر الدولة ومفاخره.(206)

أما أبو علاء المعري فكان تربطه بالوزير المغربي صداقة متينة وكان المعري يراسله ويتعصب له ويشيد بفضله وتوجد في كتاب "رسائل أبي العلاء" المطبوع رسائل أرسلها إلى الوزير منها الرسالة الأغريضية التي قرَّظ بها كتاب الوزير "مختصر إصلاح المنطق" لابن السكيت(207) وكفاه فضلاً أن أبا العلاء قد ألف "رسالة الغفران" المشهورة التي أودعها فنون

www.alkottob.com

البلاغة دفاعاً عن صديقه المغربي ضد "رسالة ابن القارح" في ذم المغربي وذلك بعد وفاته. هذا وللوزير ما عدا الكتاب المذكور ديوان شعر، والرسائل، وكتاب الأيناس، وأدب الخواص، وكتاب المأثور في ملح الخدور وغيرها. ويظهر أن المغربي قد ترك له ذرية في كردستان فقد رأى الطبيب المؤرخ ابن أبي أصيبعة ولده "بل هو من أحفاده" الرئيس أبا يحيى في فارقين في القرن (السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي)، وذكر له قصة معالجة الطبيب صاعد بن بشر للوزير في الأنبار.(208)

يظهر من التاريخ أن العلاقات بين الدولتين الدوستكية والعقيلية كانت على ما يرام من تأسيس الدولة العقيلية سنة (380هـ 990م) إلى سنة (421 هـ 1030م) التي توترت فيها العلاقات بينهما بسبب رجوع "السيدة" بنت الأمير العقيلي "قرواش" غاضبة من زوجها نصر الدولة بسبب تفضيله

www.alkottob.com

عليها المغنية المصرية المعروفة بـ "الفرجية" التي تزوجها بعد أن افتتن بجمالها وفنها في الغناء والضرب على العود.(209) وبسبب رجوع السيدة حدث توتر بين الدولتين عمل "بدران بن المقلد" على توسيعه كما يبدو لي لأنه كان يحقد على نصر الدولة إذ أنه قد ساعد سنة (417 هـ 1026م) قرواشاً عسكرياً ضد بدران، فأرسل قرواش إلى نصر الدولة يطلب منه صداق ابنته البالغة (20000) دينار كما طلب منه إعطاءه مدينة "الجزيرة" لنفقتها وأعطاء مدينة "نصيبين" لأخيه بدران طمعاً في الأراضي الدوستكية (وتردد الرسل بينهما في ذلك فلم يستقر الحال فسير "قرواش" جيشاً لمحاصرة الجزيرة وجيشاً مع أخيه بدران إلى نصيبين فحاصرها بدران وأتاه قرواش فحاصرها معه فلم يملك واحداً من البلدين وتفرق من كان معه من العرب والأكراد. فلما رأى بدران تفرق الناس عن أخيه سار إلى نصر الدولة بن مروان بميافارقين يطلب منه نصيبين فسلمها إليه وأرسل من صداق ابنة قرواش خمسة عشر ألف دينار، واصطلحا.)(210)

ومن هذا التاريخ خرجت مدينة نصيبين عن حكم الدولة الدوستكية

www.alkottob.com

ودخلت في حوزة العقيلين سواء أكانوا يدفعون مقابل ذلك خراجاً سنوياً إلى الدولة الدوستكية أم لا؟. وكان بدران يثير القلاقل من أجل الفوز بمنطقة يأكلها ويعبث فيها فساداً فتمرد أكثر من مرة على أخيه، كما هاجم نصيبين سنة (419 هـ 1028م) واشتبك مراراً مع الجيش الكردي ولكنه فشل في النيل منها.(211)

الدولة الدوستكية تدافع عن الرها

www.alkottob.com

ضد الاحتلال البيزنطي

عاشت الدولة الدوستكية والدولة البيزنطية دولتين صديقتين لم يحدث ما يعكر صفو العلاقات بينهما ولم يبدر من الدولة البيزنطية رغم قوتها الفائقة الاعتداء على الدولة الكردية إلا مرة واحدة بعد مقتل الأمير باد، وفي عهد الأمير أبي علي وذلك في سنة (382هـ 992م). وبعد مرور حوالي خمسين سنة من الصداقة "باستثناء الاعتداء المذكور" نشب نزاع وصدام بين الجانبين أكثر من مرة بسبب تجدد أطماع الدولة البيزنطية في السيطرة على مدينة (الرها ـ أديسا) للأسباب التالية:

1- الناحية التاريخية الدينية:

كانت الرها (أديسا) مدينة محترمة في نظر المسيحيين من الناحية الدينية حيث كانت أول مقر للمسيحية في بلاد ما بين النهرين وكردستان كما كانت المركز الرئيسي للكنيسة الشرقية ومنطلق اللغة السريانية التي

www.alkottob.com

أصبحت لغة المسيحيين في كردستان وبلاد فارس والهند كما أن التاريخ المسيحي يذكر أن المسيح أرسل رسمه على منديل إلى الرها وعرف لدى المسيحيين البيزنطيين بـ (وجه أديسا المقدس) أرسله إلى الملك (أبجر الخامس) معاصر المسيح على يد تلميذه (مار أدى) وغير ذلك من فضائل هذه المدينة عند المسيحيين. مما يطول ذكره.

2- الناحية الاستراتيجية المتمثلة في ما يأتي:

أ- إن بسط النفوذ البيزنطي على الرها معناه في الواقع امتداده إلى شمال سوريا كله أو إلى خط يمتد مع حدود سوريا الشمالية.

ب - عزل الدولة الدوستكية عن بلاد الشام الإسلامية حيث يشكل البيزنطيون حاجزاً بينهما. وبنظرة أوسع أن البيزنطيين حينئذ يحاصرون الدولة الدوستكية من جهتين من الشمال الشرقي حيث الإمارات الأرمنية السائرة في فلكهم حتى الحدود الغربية وقد فطن الملك الدوستكي لهذه العزلة وهذا الحصار وأدرك خطرهما في المستقبل ولذا نراه يعارض امتداد السيطرة البيزنطية إلى مدينة

www.alkottob.com

"الرها" ويرسل قواته العسكرية للدفاع عنها مرة تلو الأخرى.

جـ ـ استخدام الرها قاعدة عسكرية أمامية تتوسط بين سورية وكردستان واقليم الجزيرة القريب من العراق، وفي هذا أهمية عسكرية للغاية وخطر على المنطقة كلها بما فيها العراق مركز الخلافة العباسية فكان سهلاً على البيزنطيين استخدام هذه القاعدة ضد أية جهة يريدون ضربها، ولم تكن مدينة الرها هي الوحيدة التي تتمتع بهذه الاستراتيجية الحربية، بل إن قلعة "دارا" ومدينة "نصيبين" تتمتعان بنفس المكانة الاستراتيجية بل بصورة أكثر في الزمن القديم ولهذا نرى من قبل البيزنطيين أن الرومان كانوا يلقون أهمية كبرى على هذه المدن الواقعة على أكبر طريق تجاري بري يربط بين الشرق والغرب القديمين فكانت هذه المدن التي هي اليوم من المدن الكردية في كردستان الخاضعة لتركيا هدفاً لسهام الفرس والرومان قروناً عديدة.

3- الناحية الاقتصادية:

www.alkottob.com

ان البيزنطيين كانوا يعرفون مدى أهمية اقليم الجزيرة الزراعية الذي تقع فيه مدينة الرها بالإضافة إلى أطماعهم في السيطرة على الطريق التجاري المذكور ليشرفوا على التجارة الشرقية التي تمر بهذه البقعة إلى موانئ البحر الأبيض لتسويقها إلى الغرب. ولهذه الأسباب التي ذكرتها حاولت الدولة البيزنطية بسط نفوذها على الرها وما حولها ولكن الملك الدوستكي عارض ذلك بشدة لأن في ذلك خطراً على دولته، كما بينا فوقف ضد أطماعها وإن لم تكن الرها جزءاً من دولته إذ كان يعتبرها تحت حمايته أو كانت تحت حمايته بالفعل، كما يعتبر نفسه أولى بها من غيره لقربها من عاصمته نوعاً ما ولكونها مرتبطة بإقليم ديار بكر جغرافياً وتاريخياً واقتصادياً وقد استولى عليها الأمير "زنكث بن أوان" أحد نواب نصر الدولة في سنة (418 هـ 1025م) بناء على طلب سكانها هرباً من ظلم "عطير" النميري صاحب المدينة وقد قتل هذا الرجل بدسيسة من الأمير أبي الحارث "زنك" كما كان نصر الدولة قد استولى أيضاً على "حران" حسبما ذكر الفارقي وأبو الفداء وابن الوردي وكما

www.efrin.net
www.alkottob.com

مر ذكره في سنة (418 هـ - 1027م) أو التي بعدها سلم الأمير نصر الدولة مدينة الرها إلى كل من "ابن عطير" و "ابن شبل" بناء على شفاعة "صالح بن مرداس" حاكم حلب فكانا يحكمان المدينة مناصفة وقال ابن الأثير بصدد كيفية نشوب النزاع في المنطقة كما يلي:

(إن في الرها برجين أحدهما أكبر من الآخر تسلم ابن عطير الأكبر، وابن شبل الأصغر فباع ابن عطير سنة (422هـ 1031م) حصنه إلى الروم البيزنطيين بعشرين ألف دينار وعدة قرى فتسلم الروم البرج الذي له ودخلوا البلد فملكوها وهرب منهم أصحاب ابن شبل وقتل الروم المسلمين وخربوا المساجد وسمع نصر الدولة بذلك فسير جيشاً إلى الرها فحاصروها وفتحوها عنوة واعتصم من بها من الروم بالبرجين واحتمى النصارى بالبيعة التي لهم وهي أكبر البيع وأحسنها عمارة فحاصرهم المسلمون بها وأخرجوهم وقتلوا أكثرهم ونهبوا البلد وبقي الروم في البرجين، وسير إليهم "نجدة لهم" عشرة آلاف مقاتل فانهزم أصحاب ابن مروان "نصر الدولة" ودخلوا البلد وما جاوره من بلاد المسلمين.(212)

www.efrin.net
www.alkottob.com

هكذا جلب ابن عطير النفوذ البيزنطي إلى الرها وسبب فتح باب النزاع والقتال بينما كان السلام والاستقرار يرفرفان منذ حوالي خمسين سنة على المنطقة بفضل سياسة ملوك الدولة الدوستكية الحكيمة.

لم يقف رؤساء قبيلة بني نمير عند هذا الحد بل جعلوا أنفسهم ورجال عشيرتهم أداة طيعة في أيدي البيزنطيين فنراهم يحرضونهم على الزحف على البلاد الكردية ففي سنة (426هـ 1035م) حشد "ابن الوثاب النميري" جمعاً كثيفاً من العرب ومن غيرهم يسانده الجنود البيزنطيون في الرها وزحف على الأراضي الدوستكية. أما نصر الدولة فبادر إلى القيام بالاستعدادات العسكرية اللازمة لصد النميري والبيزنطيين فبالإضافة إلى قواته النظامية وغير النظامية جمعت عنده جموع غفيرة من الجنود والمتطوعين المسلمين من المناطق المجاورة باسم الجهاد والدفاع عن الأراضي الإسلامية.

www.efrin.net
www.alkottob.com

منظر من مدينة أورفا (الرها) الكردية البالغة نفوسها (73000) نسمة حسب الإحصائية التركية لسنة 1965م، ويشاهد من الصورة برج القلعة العظيم الذي بناه البيزنطيون أو الرومان القدماء وهو يشبه البرج الأثري في ملاطية. الصورة من مجلة الحياة التركية العدد 1963/23

لما علمت الدولة البيزنطية أن الدولة الدوستكية ليست هي الوحيدة في ميدان القتال إذا نشب بل إن الدول والإمارات الإسلامية تقف بجانبها وأن النزاع قد يتطور إلى نطاق الإسلام الواسع أو على وشك هذا التطور وأن ذلك يمكن أن يؤدي إلى معارك وحروب طويلة لا يستفيد منها الجانبان سوى الخراب والدمار كما كان في عهد "سيف الدولة الحمداني" أرسل الامبراطور البيزنطي وفداً إلى (فارقين) ليقدم اعتذاره إلى نصر الدولة مع هدايا ثمينة. وبصدد هذا قال محمد أمين زكي: إن ابن الوثاب والجنود البيزنطيين انصرفوا بدون قتال لما سمعوا باستعدادات نصر الدولة الهائلة خوفاً من سوء المصير، وقال أيضاً أن نصر الدولة كتب إلى ملك الروم كتاباً يوجه إليه

www.alkottob.com

اللوم ويعاتبه على نقضه لمعاهدة الصلح والصداقة المبرمة بينهما ثم هدده بمحاصرة الرها ورد عليه ملك الروم معتذراً عما حدث قائلاً أنه حدث بدون علمه وأمطره بوابل من الهدايا فقبل نصر الدولة هذا الاعتذار.(213) وقال ابن الأثير: بصدد هذه الحادثة وتلقى نصر الدولة مساعدات عسكرية من المناطق المجاورة ما يلي:

(واستمد "أي نصر الدولة" قرواشاً وغيره وأتته الجنود من كل ناحية وأرسل إلى الأطراف يستنجدهم الغزاة فكثر جمعه من الجند والمتطوعة وعزم على قصد الرها فوردت رسل ملك الروم يعتذر ويحلف أنه لم يعلم بذلك وأرسل إلى عسكره الذين بالرها والمتقدم عليهم ينكر ذلك وأهدى إلى نصر الدولة هدية سنية فترك ما كان عازماً عليه...).(214)

www.alkottob.com

مقام ابراهيم الخليل المقدس بمنظره البديع في أورفا

www.alkottob.com

أخـــلاق الدوستكيين

وزارة ابن جـهـيـر

الأمير تاج الدولة محمد

www.efrin.net
www.alkottob.com

احتـــلال الســويـداء

بالرغم من أن الامبراطور البيزنطي قدم اعتذاره إلى الملك الدوستكي مع الهدايا لتطييب قلبه وبالرغم من أن الأخير قبل اعتذاره وسمح للجموع المتطوعة بالإنصراف إلا أن الخلاف لم ينته ولم يحل السلام بين الطرفين إذ لم يرتح الملك الدوستكي من بقاء الرها في أيدي البيزنطيين الذي يعتبر في الواقع تهديداً لبلاده ولذا أرسل نصر الدولة في السنة التالية أي في سنة (427هـ- 1036م) قوات كبيرة من جيشه لاحتلال قلعة "السويداء" ونجدة لابن الوثاب وابن عطير اللذين انقلبا في هذه السنة ضد البيزنطيين.(215) ولعل نصر الدولة هو الذي اتصل بهما وأقنعهما في الإنضمام إليه ثم حرضهما ضدهم وكان لابن الوثاب إمارة في حران وسروج والرقة وتمكنت قوات نصر الدولة والنميريين من احتلال السويداء وكانت الضحايا المحسوبة على البيزنطيين ثلاثة آلاف وخمسمائة قتيل ومعظمهم من سكان القرى المجاورة المتحصنين بها.

www.alkottob.com

وبعد الاستيلاء على السويداء توجهت تلك القوات إلى مدينة "الرها" وضربت عليها الحصار، وبالرغم من أن البيزنطيين أرسلوا قوة من خمسة آلاف مقاتل لفك الحصار إلا أنها تحطمت حينما هاجمها كمينا القائد الدوستكي وابن الوثاب وكان بين أسرى هذه القوة بطريق الرها الذي أرسلت القوة معه بعد أن خرج من الرها سراً وطلب من البيزنطيين إرسال قوة معه لفك الحصار، وهدد المحاصرون سكان المدينة والبيزنطيين المدافعين فيها بقتل الأسرى والبطريق أن امتنعوا من تسليم المدينة فاضطروا إلى فتح أبوابها ولكن الجنود البيزنطيين تحصنوا بالقلعة ثم إن حسان بن جراح الطائي الموالي للبيزنطيين توجه على رأس قوة تتألف من خمسة آلاف مقاتل من العرب والبيزنطيين لفك الحصار مما اضطر ابن الوثاب إلى ترك الرها لصد حسان الطائي أما الجنود البيزنطيون في الرها فخرجوا منها زاحفين إلى حران لاحتلالها ولكن سكانها دافعوا بجرأة ولما سمع ابن الوثاب بزحفهم على حران انصرف من ملاقاة الطائي وهاجم الزاحفين على حران وقتل منهم كثيراً وانهزم الباقون إلى الرها.(216) وهكذا لم يتمكن نصر الدولة وابن

www.efrin.net
www.alkottob.com

الوثاب من تحرير الرها من الاحتلال البيزنطي.

وفي سنة (429 هـ 1038م) عقد ابن الوثاب مع البيزنطيين بالرها صلحاً وسلم إليهم ضواحيها لخوفه منهم وعجزه عن الاستمرار في عدائهم مما أدى إلى انتشارهم في ضواحيها فخاف منهم المسلمون كما أنهم جددوا عمارة مدينة الرها بصورة ممتازة.

بالرغم من المشاكل الخارجية الخطيرة التي حدثت للدولة الدوستكية في هذه الفترة كما ذكرنا وبالرغم من سوء الوضع الاقتصادي والصحي في سنة (423هـ 1032م) حيث اجتاح منطقة الشرق الأوسط كلها غلاء شديد ووباء قضى على حياة قسم غير قليل من سكانها. فقد سارت حكومة نصر الدولة قدماً في تنفيذ مشاريع عمرانية عظيمة تثبت مدى قوة هذه الدولة الكردية وتقدمها في المجال الاقتصادي والعمراني وتدل على مدى إخلاص الملك الدوستكي لشعبه وبلاده واهتمامه بالأعمار والبناء بحيث لم يبلغه أحد من ملوك عصره أو قل من بلغه ففي سنة (423 هـ 1032م) قام نصر الدولة

www.alkottob.com

بمشروع عظيم صرف عليه أموالاً طائلة لا تعد ولا تحصى "حسب تعبير الفارقي" وهذا المشروع هو بناء مدينة "النصرية" على ضفة "نهر باطمان" وفي موقع يمتاز بمنظره الخلاب فبنى في تلك البقعة الناضرة القصور والأسواق والحمامات وأحواض الماء وغرس البساتين والحدائق الجميلة وسيأتي التفصيل في موضوع "الحياة العمرانية". وشيد نصر الدولة في نفس السنة جسراً على نهر باطمان الكبير عند قرية "تل بنات" كما شيد عند رأس الجسر مسجداً وفندقاً وبني على طريق فارقين ـ النصرية عدداً من المساجد والفنادق وغيرها عند قرية "باطري" و"بابودين" ولكنها لم تكن كلها في نفس الفترة. وفي نفس السنة المذكورة أي (423 هـ 1032م) جدد عمارة مسجد المحدثة مع رباطها ووقف عليه العقارات.أما البنكام أي الساعة الكبيرة فقد أمر نصر الدولة بصنعها في جامع فارقين في نفس السنة.

أما قناة الماء الثانية فقد حفرها سنة (425 هـ 1034م) وأجرى بها إلى مدينة فارقين لتوفير الماء لسكانها، أما الحصن الذي شيده على الحدود بين الدولة الدوستكية والأرمن في شمال بحيرة وان فالأكثر توقعاً أنه شيدها في

www.alkottob.com

نفس هذه الفترة أثناء توتر العلاقات مع الأرمن أو عقبها بمدة قليلة ومن المحتمل جداً أن نصر الدولة قد نفذ مشاريع أخرى ولا سيما التحصينات الدفاعية والترميمات في أسوار المدن ولا سيما ديار بكر وفارقين والمدن الواقعة على الحدود البيزنطية خوفاً من اعتداءات وهجمات الجيش البيزنطي حيث كان النزاع على الرها قائماً بين الجانبين. وهكذا نجد هذه الفترة الممتدة من (419-- 428هـ/ 1028- 1037م) فترة متناقضة حيث المشاكل الخارجية الخطيرة والتقدم العمراني الباهر، ولهذا أسميها "فترة المشاكل والأعمار".

الغز طائفة من الأتراك السلجوقيين الذين فارقوا وطنهم في آسيا الوسطى إلى البلاد الإسلامية واعتنقوا الإسلام وكانوا قبائل همجية قاسية لم يكن لها وطن فكانت لذلك تعيش على السلب والنهب وتطلق يد التخريب والتدمير في البلاد الإيرانية وكردستان وغيرها. وتعرضت كردستان للقسط الأكبر من غارات الغز وجرائمهم في السلب والنهب والقتل والتخريب. واعتبر المؤرخون إغارتهم هذه من الحوادث التاريخية المرّة ولذا نقف على أعمالهم

www.alkottob.com

البربرية في أغلب المصادر التاريخية ونرى البحث عنها ضافياً. ولما كانت إغارة الغز على البلاد الدوستكية تعتبر حقاً أفظع اعتداء خارجي عرض أمن وسلامة مواطنيها للمصائب من يوم تأسيس حكومتها حتى قال الفارقي: إنه لم يروع نصر الدولة مروع مدة حكمه إلا نوبة بوقا وناصغلي(217) فعلينا أن نذكرها كجزء لا يتجزأ من موضوعنا.

إن "الغز" وإن كانوا من السلاجقة ولكنهم كانوا ضد الزعيم السلجوقي "طغر لبك" وأخيه إبراهيم ينال ولما ذهب إبراهيم ينال إلى الري "طهران الحالية" أجفل الغز أمامه وتوجهوا إلى أذربيجان سنة (429 هـ 1038م) وكان حاكمها الأمير الكردي "وهسوذان" فأكرمهم هذا الأمير وصاهرهم كي يكف شرهم ولكن بدون جدوى إذ أغاروا على مدينة "مراغه" ونهبوها وأحرقوا جامعها ثم أغاروا على العشيرة الهذبانية الكردية فقتلوا ونهبوا فتصالح الزعيمان الكرديان "وهسوذان" و"أبو الهيجاء ابن ربيب الدولة" وقاتلا الغز "أوغوز" وانتصرا عليهم وأكثرا فيهم القتل وطرداهم. وفي سنة (432هـ 1041م) قتل "وهسوذان" بمدينة تبريز قسماً من الغز ورؤسائهم

www.alkottob.com

الذين بها مما أجبرهم إلى التوجه نحو كردستان الوسطى فدخلوا مقاطعة "هكاريا" الوعرة وأطلقوا أيديهم في القتل واللنهب وسبي الأطفال والنساء وبينما كانوا يتعقبون الأكراد المهزومين المعتصمين بالمضايق والقمم إذ كر عليهم الأكراد ومزقوا جموعهم وقتلوا منهم ألفاً وخمسمائة رجل وأسروا عدداً آخرين بينهم عدد من زعمائهم واسترجعوا ما سبي ونهب واخترق الباقون من الغز جبال هكاريا حتى وصلوا إلى مقاطعة "بوتان" ومركزها مدينة "الجزيرة" ونهبوا منطقتي "قردى" و"بازبدي - بازفتى" و"الحسنية - زاخو" و"فيشخابور - بيش خابور". وبينما بقي فريق منهم بقيادة "منصور" في شرقي الجزيرة توجه الفريق الآخر بقيادة "بوقا" و"ناصغلي" إلى "نصيبين" و"طور عبدين" و"ديار بكر" ثم أن والي الجزيرة الأمير "سليمان ابن نصر الدولة" قبض على منصور بعد أن أمنه ودعاه إلى الجزيرة أما أتباعه فقد طاردتهم قوات من الجيش الدوستكي والأكراد البشنوية البوتيين أي قوات إمارة "فينك" وقوات "قرواش" حاكم الموصل وأحرج موقف الغز حتى طلبوا الأمان وتسليم كل ما نهبوه من البلاد

www.alkottob.com

ولكن القوات الكردية والعربية الظافرة رفضت ذلك وعندئذ لم يبق أمام الغز سوى القتال حتى الرمق الأخير فهاجموا القوات المتحالفة وانهزم العرب ولم يعودوا بل انحدروا إلى العراق ليقضوا فصل الشتاء هناك على عادتهم ويبدوا أنهم انتصروا على القوات الكردية أيضاً. إذ أنهم حاصروا الجزيرة كما داس الفريق الآخر سنة (433 هـ - 1042م) البلاد حتى ديار بكر قلب الدولة الدوستكية وأكثروا من القتل والنهب مما اضطر نصر الدولة إلى التفاوض معهم فطلب منهم مغادرة بلاده مقابل إطلاق سراح منصور ودفع مبلغ من المال وكان قدره خمسين ألف دينار كما ذكره الفارقي، ولكن بعد أن استلموا المبلغ وأطلق الأمير "سليمان" سراح منصور بأمر من والده زادوا في الفساد ونهبوا "نصيبين" و"سنجار" وانهزم "قرواش" أمامهم واحتلوا "الموصل" وقاموا بأعمال فظيعة ونجا قرواش مع عدد قليل في سفينة إلى جبل "السن- جبل مكحول" وراسل الملك البويهي "جلال الدولة" وأمراء العرب وطلب منهم إمدادات عسكرية كما طلب الإمدادات من الأمراء الأكراد منهم "أبو الشوك" و"ابن ورام" أمير الأكراد الجاوانية في "الحلة" وبعد

www.alkottob.com

وصول بعض الإمدادات انتصر قرواش على الغز فعطفوا مرة أخرى نحو البلاد الدوستكية ووصلوا "ديار بكر" وصعدوا إلى أرمينيا وأذربيجان بعد أن نفذت قواهم.

أما عدد هؤلاء القوم فقد ذكر ابن الأثير أن قرواشاً كتب إلى "أبي الهيجاء ابن ربيب الدولة" في أذربيجان أنه قتل منهم ثلاثة آلاف رجل فقال أبو الهيجاء لرسوله: (أن الغز لما اجتازوا ببلادي أمرت بعدهم على قنطرة كان لابد لهم من العبور عليها فكانوا نيفاً وثلاثين ألفاً مع لفيفهم فلما عادوا لم يبلغوا خمسة آلاف رجل فإما قتلوا أو هلكوا. وقال ابن الأثير أيضاً أن "نصر الدولة ابن مروان" كتب إلى طغرلبك يشكو من الغز فكتب طغرلبك إلى نصر الدولة يقول له: (بلغني أن عبيدنا قصدوا بلادكم وأنك صانعتهم بمال بذلته لهم وأنت صاحب ثغر ينبغي أن تعطي ما تستعين على قتال الكفار ويعده أنه يرسل إليهم من يرحلهم من بلده.)(218)

الدولة الوستكية تتلقى تهديداً بيزنطياً

www.alkottob.com

إن العلاقات بين الدولتين الدوستكية والبيزنطية قد عادت إلى مجاريها الودية المعروفة بعد أن تكدرت بسبب حوادث الرها "أورفا" وقد مرت حوالي إحدى عشرة سنة لم نعثر خلالها على حادثة اعتداء من أحد الطرفين بحيث يمكن أن تؤدي إلى توتر تلك العلاقات أما في سنة (439هـ- 1048م) فقد وجه الامبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع (1042- 1055م) خطاباً على الملك الدوستكي نصر الدولة لفت فيه نظره أولاً إلى بنود الهدنة الموجودة بينهما وإلى وجوب مراعاتها وهدده ثانياً بأنه سيدبر أمره وينتقم إذا نقض أو يريد أن ينقض الهدنة وإذا لم يضع حداً لتخريبات "أصفر التغلبي" واعتداءاته المتكررة على الحدود البيزنطية واعتبر البيزنطي نصر الدولة مسؤولاً عن أعمال هذا الرجل وعن حفظ الأمن في مناطق الحدود من جانبه لأنه اعتبر التغلبي وأتباعه من رعايا الدولة الدوستكية وخاضعين لها.

لاشك أن هذا التهديد البيزنطي قد أقلق بال نصر الدولة إذ يمكن أن تتعرض كردستان الوسطى لاعتداءات بيزنطية إذا لم يعالج الموقف ولم

www.efrin.net
www.alkottob.com

يتمكن من وضع حد للتغلبي فاهتم بالأمر وصرف مبلغاً من المال في سبيل القبض عليه ونجحت خطته بتعاون "النميريين" حيث اقتيد إليه أصفر فاعتقله وانتهت المشكلة. وقضية أصفر هذا هي أنه ظهر من بلدة "رأس العين" وادعى أنه رجل مصلح ومن المذكورين في الكتب السماوية ليخدع الناس بالدجل والكذب ودعا إلى الجهاد في سبيل الله فالتف حوله جمع من الناس وأغار على الحدود البيزنطية وغنم كثيراً من الأموال ورجع ظافراً وأعاد الغارة مرة ثانية فغنم أضعاف ما غنمه في المرة الأولى وسبى الأطفال والنساء حتى بيعت الجارية الجميلة بثمن قليل. فاشتهر اسمه وكثر أنصاره مما أدى إلى قلق وانزعاج البيزنطيين. فأرسل ملك الروم إلى نصر الدولة يقول له: إنك عالم بما بيننا من الموادعة وقد فعل هذا الرجل "أي أصفر" هذه الأفاعيل فإن كنت قد رجعت عن المهادنة فعرفنا لندبر أمرنا بحبسه. واتفق أيضاً أن وصل رسول من الأصفر إلى نصر الدولة ينكر عليه ترك الغزو والميل إلى الدعة فساءه ذلك أيضاً واستدعى قوماً من بني نمير وقال: إن هذا الرجل قد أثار الروم علينا ولا قدرة لنا عليهم، وبذل لهم بذلاً على

www.efrin.net
www.alkottob.com

الفتك به، فأخذوه يوماً وحملوه إلى نصر الدولة فاعتقله وتلافى أمر الروم.(219)

الوضع الاقتصادي وتأثيره على الحادثة

وإذا ألقينا نظرة على الوضع الاقتصادي في المنطقة في تلك السنة أي سنة (439 هـ - 1048م) نجد أن المؤرخين قد ذكروا أن بلاد العراق والموصل وسائر بلاد الجزيرة قد أصيبت بقحط شديد وغلاء مخيف انتشرت المجاعة في طول البلاد وعرضها وخلت الأسواق من المواد الغذائية وارتفعت أسعار المواد التي يحتاج إليها المرضى ارتفاعاً فاحشاً وأثر الجوع في حياة شعوب المنطقة حتى أكل الناس الميتة ولم تقف المصيبة عند هذا الحد بل انتشر وباء شديد قضى على كثير من السكان في تلك البلدان(220).

ويظهر أن إقليم "ديار بكر" لم ينج من غلاء تلك السنة ومصائبها كما يستفاد من كلام المؤرخين لأن "بلاد الجزيرة" تشمل تاريخياً هذا الإقليم أيضاً فعلى هذا نستطيع أن نقول أن الوضع الاقتصادي في الدولة الدوستكية

www.alkottob.com

كان سيئاً أيضاً في السنة المذكورة فإن كان كذلك فلاشك أن وصول الملك البويهي أبي كاليجار بجيش جرار إلى ديار بكر لطرد فريق من السلجوقيين حسب ما ذكره ابن الأثير(221) قد زاد في سوء الوضع حيث نزل بجيشه ضيفاً على سكان الأقليم والدولة بصفة خاصة وإن ذلك يتطلب ذخائر وأرزاقاً.

أما ذلك الفريق من السلجوقيين فلا شك أنهم كمغيرين ارتكبوا كثيراً من أعمال السلب والنهب في هذا الجزء من كردستان مما زاد في سوء الوضع الاقتصادي أيضاً. ومن الجدير بالذكر أن الوضع الاقتصادي السيء في المنطقة كان ذا تأثير فعال على "اصفر" والتفاف الناس حوله للإغارة على الحدود البيزنطية والقيام بأعمال السلب والنهب باسم الدين والجهاد في سبيل الله إشباعاً للبطون المتضورة.

www.alkottob.com

الدولة الدوستكية تصبح تابعة للدولة السلجوقية

بوفاة الملك "أبي كاليجار" البويهي "الديلمي" سنة (440 هـ 1049م) وتنصيب ابنه الملك الرحيم في مكانه انحدرت الدولة البويهية من حضيض إلى حضيض وأخذت تقترب من نهايتها بينما كان نفوذ "طغرلبك" السلجوقي في تصاعد يوماً بعد يوم حتى قضى السلجوقي على الدولة البويهية نهائياً سنة (447 هـ 1055م) وقبض على "الملك الرحيم" وسجنه في قلعة "سيروان" إحدى قلاع كردستان الجنوبية. وبوفاة أبي كاليجار الذي صمد ضد التوسع السلجوقي الفعلي في جبال "زاكروس" وبتعبير أوسع في الأقاليم الكردية تطلع طغرلبك إلى فرض سيطرته على كردستان أولاً وقبل السيطرة على العراق لما تمتاز باستراتيجيتها العسكرية المعروفة وإن كانت تلك السيطرة على بعض الحكومات الكردية اسمياً وأهمها الدولة الدوستكية التي تمتاز بقوتها الاقتصادية المتفوقة وبمكانتها الاستراتيجية الهامة ولقربها من الدولتين البيزنطية والفاطمية. وانطلاقاً من هذه الأهداف أرسل طغرلبك سنة (441هـ 1050م) إلى الملك الدوستكي نصر الدولة يطلب منه

www.alkottob.com

تقديم الطاعة له والخضوع لسلطانه وشعار ذلك الرسمي هو إقامة الخطبة له في بلاده وفي هذا قال ابن الأثير في حوادث السنة المذكورة: (.. أرسل طغرلبك إلى نصر الدولة ابن مروان يطلب منه إقامة الخطبة له في بلاده فأطاعه وخطب له في سائر ديار بكر.)(222). ويبدو أن نصر الدولة اضطر إلى تلبية طلب السلجوقي وتنفيذ رغبته ولم تكن له القدرة على رفضه بالرغم من كرهه الشديد للسلجوقيين الأتراك فلو اتحدت هذه الدولة مع الحكومة الروادية في أذربيجان والشدادية في أعالي كردستان والعنازية في قسم من كردستان الجنوبية والشرقية ولو اتحدت هذه الحكومات الكردية لأمكن لها أن تقف في وجه الاحتلال السلجوقي ولكنها نتيجة تشتتها أصبحت كل واحدة منها فريسة ذليلة للسلاجقة القساة.

في الحقيقة ان امتداد النفوذ السلجوقي إلى كردستان الوسطى يعطي المخاطر الآتية:

1- تضييق الحصار على الدولة البويهية.

2- تهديد الدولة البيزنطية التي تنتظر ضربات السلجوقيين في المستقبل

www.alkottob.com

القريب.

3- تهديد نفوذ الدولة الفاطمية في بلاد الشام.

وإنما قلنا أن ذلك تهديد لهاتين الدولتين لأنه لم يبق بينهما وبين السلجوقيين حاجز يحول دون تحرشهم بالحدود البيزنطية وبالنفوذ الفاطمي في سورية وقد أثبتت الوقائع ذلك فيما بعد.

لقد استطاع "نصر الدولة" أن يساير السلجوقيين ويحافظ على دولته وهدوئها في ظل تبعيتهم بعقله وحكمته وبفضل التحف الثمينة والهدايا الغالية والمبالغ الطائلة التي كان يرسلها بين حين وآخر إلى السلطان السلجوقي ليبعد خطر الاحتلال الفعلي لبلاده وقد سار على هذه السياسة ابنه "نظام الدين" أما ناصر الدولة "منصور" فإنه كان رجلاً طماعاً امتنع أو تباطأ في إرسال مثل تلك الهدايا والأموال إلى بلاط السلطان لإرضائه كما أن امتناعه عن إهداء السلطان (ملك شاه) سبحة جده نصر الدولة التي كان ثمنها مائتين وخمسة وعشرين ألف دينار وسيف (موسك) المشهور جلب نقمة السلطان وأرسل الجيوش مع (ابن جهير) لاحتلال الدولة الدوستكية وإزالتها من

www.efrin.net
www.alkottob.com

الوجود.

واستطاع نصر الدولة أن يحصل على مكانة محترمة لدى طغرلبك قبل سيطرته على العراق وقد مثل المؤرخون لهذا الاحترام إطلاق هذا السلطان سراح "ملك الإبخاز" بتوسط نصر الدولة. وذلك أن إبراهيم ينال قد أسر في إحدى المعارك ملك الأبخاز فبذل أربعمائة ألف دينار مقابل إطلاق سراحه فلم يقبل منه وأرسل الامبراطور البيزنطي إلى نصر الدولة يطلب منه التوسط لدى طغرلبك في إطلاق سراح ملك الأبخاز بأي ثمن يريده فأرسل نصر الدولة سنة (441 هـ 1050م) شيخ الإسلام "أبا عبد الله ابن مروان" إلى السلطان ليعرض عليه توسطه فرحب به وأطلق سراح الأسير المذكور بغير فداء فعظم ذلك لدى الامبراطور البيزنطي وأرسل إلى طغرلبك هدايا كثيرة ذكرها ابن الأثير ولعل قيمتها كانت تربو على مليون دينار كما أرسل إلى نصر الدولة عشرة أمنان من المسك وعمر مسجد القسطنطينية ومنارته وأقيمت فيه الخطبة لطغرلبك واعتبر هذا ابن الأثير وغيره انتصاراً هاماً لهذا السلطان السلجوقي.(223)

www.efrin.net

www.alkottob.com

ومن الجدير بالذكر أن الدولة الروادية الكردية في أذربيجان لم تخضع للدولة السلجوقية إلا في سنة (446 هـ 1054م) حينما سار طغرلبك بقواته الكبيرة إلى شمال بحيرة وان عن طريق أذربيجان حيث أطاعه الأمير وهسوذان الروادي.(224)

في سنة (446 هـ 1054م) قام السلطان طغرلبك بحملة على الحدود البيزنطية الواقعة في شمال بحيرة "وان" فحاصر مدينة ملازكَر "منازجرد" ولحصانتها لم يتمكن من الاستيلاء عليها غير أنه نهب ما جاورها من القرى إلى حدود "أضروم" ثم رجع. ويظهر أن هدفه لم يكن المجابهة الفعلية من البيزنطيين في حين أن هدفه الرئيسي كان السيطرة على العراق والقضاء على الدولة البويهية، وأما هدفه من هذه الحملة فلم يكن سوى إظهار

www.efrin.net
www.alkottob.com

قلعة ملازكَر التاريخية

www.alkottob.com

نفسه أمام المسلمين بأنه ملك مؤمن يجاهد في سبيل الدين ويدافع عن الحدود الإسلامية وذلك حتى يجذب عطف السذج من السلمين الذين يعتقدون قتال غير المسلمين وسبي نسائهم وأطفالهم ونهب أموالهم أعظم خدمة للإسلام. وقد ساعد نصر الدولة الملك السلجوقي ببعض القوات العسكرية مع هدايا كثيرة حسب ما قاله ابن الأثير.(225)

أما مساعدة نصر الدولة فلم تكن في الحقيقة إلا لخوفه من بطش الملك في حين أن علاقاته كانت حسنة مع الدولة البيزنطية.

كان أبو نصر محمد بن محمد بن جهير رجلاً بارزاً من سكان الموصل وكان قد فوض إليه أميرها قرواش النظر في أملاك جاريته "سرهتك" ولما استولى "بركة بن المقلد" على إمارة الموصل سنة (442 هـ 1051م) قربه واعتمد عليه كثيراً وأوفده إلى ملك الروم يحمل إليه هدايا ولما عاد من سفره وجد أن بركة قد توفي وتولى الإمارة "قريش بن بدران" وذلك سنة (443

www.alkottob.com

هـ 1052) وأراد قريش أن يقبض عليه ولكنه استجار بأبي شداد العقيلي ثم توجه إلى "حلب" فاستوزره "ثمال بن صالح بن مرداس" الذي استولى على حلب سنة (434هـ 1043) ثم ذهب ابن جهير إلى "ملطية" "بعد أن طرده ثمال كما يبدو" ومن هناك توجه إلى بلاط نصر الدولة.

هذا بناء على ما ذكره ابن الأثير.(226) أما الفارقي فذكر أن شرف الدولة قرواش هو الذي طرده من الموصل إلى حلب وذكر سبب طرده كما ذكر مفصلاً كيفية وصوله إلى عاصمة الدولة الدوستكية "فارقين" وبيَّن كيف أن نصر الدولة رفض التماس ابن جهير بدخول أراضيه والإقامة فيها كلاجئ فقط واستلهم منه الشر وقال: (ولو كان فيه خير لما خرج من بلده) ثم ذكر كيف سمح له بعد مدة بالحضور عنده ليتخذه وزيراً وفيما يلي بعض من كلام الفارقي:

(... فبقى "أي ابن جهير" مدة فنفذ إلى القاضي "أبي علي بن البغل إلى "آمد" أن يتوصل له مع نصر الدولة أن يصل إلى ولايته ويقيم عنده من غير تشغيل ولا عمل، وأخذ القاضي أبو علي إذن الأمير في ذلك فلم يأذن له وقال:

www.efrin.net
www.alkottob.com

ما لنا حاجة إلى ذلك ولا يقيم عندنا ولو كان فيه خير لما خرج من بلده).

قيل: وبقى الأمير مدة بلا وزير واستولت النصار "أي على وظائف الدولة" وتمكنوا، فاتفق أن "أبا الحكيم" بن الحديثي الذي كان عارض الجيش "أي القائد العام للجيش" ذات يوم يلعب بالشطرنج مع بعض الخدم فتشاجروا فضرب أبو الحكيم رأس الخادم فشجه فدخل على الأمير والدم على وجهه وقال أكون مملوكك ويفعل بي هذا فقال من فعل هذا فقال أبو الحكيم فأمر بإحضاره فانهزم ونزل فدخل على الأمير "مرزبان بن بلاشو بن كك" وكان ابن عم نصر الدولة وزوج بنت عمه "هند" بنت علي بن منصور بن كك. فنفذ إليه نصر الدولة فلم يسلمه فنفذ جماعة فلم يلتفت إليهم فأعلم الأمير فنفذ خياله ورجاله فلبس الأمير "مرزبان" السلاح وخرج لقتالهم فعادوا فأعلموا الأمير، فخرج إلى باب الدرجة برأسها بباب القصر ونزل وركب البغلة من أسفلها وخرج من القصر. ويقال أن الأمير من يوم بنى القصر لم ينزل من تلك الدرجة إلى ذلك اليوم لأنه كان يركب من على الضفة ويسير في القصر ويخرج من الباب الشرقي ويمضي حيث أراد، فمن غضبه ذلك اليوم

www.alkottob.com

ومراودة الأمير "مرزبان" له قام من الضفة ومشى من الدرجة ونزل فركب ومضى إلى دار الأمير مرزبان فلما سمع خرج إليه وقال: أحسنت يا ابن عمي قد جئت تأخذ "أبا حكيم" وهو عند بنت عمك وفي دار ابن عمك كأنك قد قصدت "خرشنة" أو بعض حصون الروم، فاستحى الأمير فعاد وبقي أياماً وعفا عن أبي حكيم وأعاده إلى موضعه. وأبو حكيم هذا هو جد أولاد الحديثي العارض الآن.

قيل: (فنفذ الأمير بعد ذلك إلى القاضي أبي علي بن البغل وأمره أن يستدعي الشيخ أبا نصر بن جهير، فنفذ إليه قاصداً من آمد "ديار بكر" فحضر فخرج القاضي بأهله وأهل البلد وأنزلوه عندهم وأكرموه فأعطاه ما احتاج إليه من البرك والدواب والخيل والتحمل وأعطاه من الهدايا والألطاف شيئاً لا يوصف وسار إلى أن وصل "ميافارقين" فاجتمع بالأمير وحمل له ما كان أعده برسمه وحمل لأولاد الأمير وبني عمه لكل واحد منهم هدية. فاستوزره الأمير سنة (430 هـ 1013م) أو ما يقاربها ورد إليه الأمر فحصل إليه العقد والحل ولقبه بـ "كافي الدولة" فساس الناس أحسن سياسة

www.alkottob.com

وأظهر العدل والإحسان وكان كريماً مفضالاً جوّاداً وكان ذا رأي وحزم وعقل وتدبير فقصده الشعراء وامتدحوه مثل ابن سنان الخفاجي وابن حيوس الحسبي وحصل للدولة به أو في جمال.)(227)

أما بصدد تاريخ وصول ابن جهير إلى فارقين فلم يحدده كل من ابن الأثير والفارقي فبينما يرى الفارقي أن ذلك كان في حدود سنة (430 هـ 1039م). يرى ابن الأثير أنه كان بعد سنة (443 هـ - 1052م) فعلى هذا أن نصر الدولة ظل بدون وزير خلال مدة غير قليلة وأن الشخص الذي يقوم بمهام الوزارة بصورة مؤقتة هو "ابن بركة" الذي كان "ناظر الديوان" أي رئيس ديوان المال في عهد "الوزير المغربي" كما قال الفارقي(228) ولم يورد الفارقي هنا ذكراً لصاحب "ديوان الإنشاء" الشيخ أبي نصر "المنازي" الذي توفي سنة (437 هـ 1046م) وأشرت عند البحث عن وزارة المغربي إلى أن عدداً من المؤرخين قد ذكروا أن المنازي تولى الوزارة في الدولة الدوستكية، وإن كان هذا صحيحاً فلا شك أنه كان خلال المدة الواقعة بين وفاة المغربي ووزارة ابن جهير.

www.efrin.net

www.alkottob.com

مقتل الأمير سليمان ابن نصر الدولة

في سنة (447 هـ 1055م) قتل والي الجزيرة الأمير سليمان بن نصر

www.alkottob.com

الدولة وذكر ابن الأثير تفصيل حادثة قتله وأسبابه فقال: (في هذه السنة "أي السنة المذكورة" قتل أبو حرب سليمان بن نصر الدولة، وكان والده تسلم إليه الجزيرة "أي جزيرة بوتان" وتلك النواحي ليقيم بها ويحفظها وكان شجاعاً مقداماً فاستبد بالأمر واستولى عليها فجرى بينه وبين الأمير "موسك بن المجلى" زعيم الأكراد البختية "أي أكراد بوتان"(229) وله حصون منيعة في شرقي الجزيرة نفره ثم راسله أبو الحرب واستماله وسعى أن يزوجه ابنة الأمير "أبي طاهر البشنوي" صاحب قلعة "فينك" وغيرها من الحصون وكان أبو طاهر هذا ابن أخت نصر الدولة بن مروان فلم يخالف أبو طاهر صاحب فينك أبا حرب من الذي أشار به من تزويج الأمير "موسك" فزوَّجه ابنته ونقلها إليه فاطمأن حينئذ موسك وسار إلى سليمان فغدر به وقبض عليه وحبسه، ووصل السلطان "طغرلبك" إلى تلك الأعمال لما توجه إلى غزو الروم على ما ذكرناه "أي في السنة التي قبلها" فأرسل إلى نصر الدولة يشفع في موسك فأظهر له أنه توفى فشق ذلك على حميه أبي طاهر البشنوي وأرسل إلى نصر الدولة وابنه سليمان فقال لهما حيث أردما قتله فلِمَ

www.alkottob.com

جعلتما ابنتي طريقاً إلى ذلك وقلدتموني العار وتنكر لهما وخافه أبو حرب فوضع عليه من سقاه سماً فقتله.

وولى بعده ابنه (عبيد الله) فأظهر له أبو حرب المودة استصلاحاً له وتبرأ إليه من كل ما قيل عنه واستقر الأمر بينهما على الاجتماع وتجديد الأيمان فنزلوا من (فينك) وخرج إليهم أبو حرب من الجزيرة في نفر قليل فقتلوه وعرف والده ذلك فأقلقه وأزعجه وأرسل ابنه (نصر) إلى الجزيرة ليحفظ تلك النواحي ويأخذ بثأر أخيه وسيّر معه جيشاً كثيفاً.

وكان الأمير (قريش بن بدران) صاحب (الموصل) لما سمع قتل أبي حرب وانتهز الفرصة وسار إلى (الجزيرة) ليملكها وكاتب (البختية) و(البشنوية) واستمالهم فنزلوا إليه واجتمعوا معه على قتال نصر بن مروان فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً كثر فيها القتلى وصبر الفريقان فكانت الغلبة أخيراً لابن مروان وجرح (قريش) جراحة قوية بـ (زوبين) ورمى به وعاد عنه. وثبت أمر ابن مروان بالجزيرة وعاد مراسلة البشنوية والبختية واستمالهم لعله يجد فيهم طمعاً فلم يطيعوه."(230)

www.alkottob.com

هكذا أدى سوء سياسة الأمير سليمان إلى خلق أزمة داخلية ومشاكل للدولة ذهب ضحيتها الكثيرون منهم ثلاثة أمراء بارزين هو نفسه وأبو طاهر أمير فينك وموسك صاحب السيف الذي ذاعت شهرته حتى حاول السلطانان السلجوقيان الب أرسلان وملك شاه الحصول عليه والذي أصبح أحد الأسباب التي دعت بملك شاه للقضاء على الدولة الدوستكية.

إن الأكراد البشنويين البوهيتين الذين كانوا قوة فعالة مخلصة شاركت في تأسيس الدولة نراهم بسبب سوء سياسة هذا الأمير ينقلبون ضدها ويقفون بجانب أمير الموصل في سبيل استقطاع جزء مهم من أراضيها وهي الجزيرة ومقاطعة بوتان المشتملة على الإمارتين الثائرتين إمارة فينك وإمارة موسك.

هذا وإن الأمير سليمان هو الشخص الوحيد الذي نراه من بين الأمراء الدوستكيين يميل بطبعه إلى الغدر ويرتكبه مراراً مدة ولايته على الجزيرة وبوتان. ومن الجدير بالذكر أن مقاطعة بوتان قد رجعت إلى أحضان الدولة بعد مدة من الحادثة.

www.alkottob.com

تميزت الدولة الدوستكية من بين دول عصرها بتمتعها بالاستقرار السياسي والأمن الداخلي والحياة السعيدة الهادئة والسياسة العادلة. واشتهرت أيضاً بالغنى والرفاه وكرم ملكها نصر الدولة وعدله وعطفه على الفقير والغريب وحبه للإعمار والبناء، فلذا أصبحت ملجأ لعدد غير قليل من اللاجئين السياسيين الذين دالت أيامهم وقطب الدهر في وجوههم فكان فيهم الأمير، والوزير، والملك وقد كان نصر الدولة يرحب باللاجئين ويقدرهم ويعطف عليهم ويبالغ في إكرامهم ويوفر لهم أسباب المعيشة بما يليق بمكانتهم وقد أشار الفارقي إلى لجوء الناس إلى نصر الدولة وإلى حفاوته بهم وتقديره لهم بقوله الآتي نصاً: (..واستقر نصر الدولة في الملك وملك ما لا يملكه أحد مثله وتنعم ما لا يتنعم أحد غيره وقصده الناس وحصل كهفاً لمن التجأ إليه.).

www.efrin.net

www.alkottob.com

وبجانب اللاجئين السياسيين قدم إلى البلاد الدوستكية كثير من التجار وأصحاب المهن والفلاحين وأقاموا فيها ليمارس كلٍ عمله في مأمنٍ من أعمال السطو والمصادرة ومن الضرائب الثقيلة وغيرها من المظالم وذلك بسبب عدم الاستقرار السياسي وفقدان الأمن الداخلي في عديد من المناطق الأخرى، وبسبب جشع الحكام والأمراء وعدم إخلاصهم للشعوب الخاضعة لهم. ولعل الشاعر أبا الحسن التهامي يرمي إلى هذا وهو يخاطب نصر الدولة بقوله:

كأن أرضك مغناطيس كل فم فالطبع يجذبها بالطـوع والرغـم

لما علوت غمرت العالمين ندى والمزن يعلو فيروي الأرض بالديم

إن من اللاجئين البارزين الذين لجؤوا إلى الدولة الدوستكية "الملك العزيز البويهي" وسبب التجاء هذا الملك وتقلب أحواله هو أنه لما توفى والده الملك "جلال الدولة" ابن بهاء الدولة ابن عضد الدولة سنة (435هـ 1044م) لم يكن حاضراً في بغداد ليأخذ بناصية الحكم رأساً مما أدى إلى مبادرة ابن عمه "أبي كاليجار" في أخذ الملك وذلك في سنة (436هـ 1045م) فضاقت الأرض

www.alkottob.com

على الملك العزيز وبذل محاولات في السيطرة على الحكم فذهب إلى أمير "الحلة" ثم إلى "قرواش" أمير الموصل ثم إلى صهره الأمير الكردي "أبي الشوك" ولكن أبا الشوك بدلاً من أن يدخل إمكانياته تحت تصرف ختنه ويساعده أو يعطف عليه غدر به وألزمه بطلاق ابنته وبهذا أضاف هذا الأمير نقطة سوداء إلى تاريخه السيء حيث أنه كان غداراً سيء السيرة وظالماً. وبعد أن رضخ الملك العزيز كرهاً لغدر صهره توجه إلى "إبراهيم ينال" أخي "طغرلبك" السلجوقي ثم انحدر إلى بغداد للاستيلاء على الحكم ولكنه لم ينجح فتوجه إلى كردستان الوسطى وقد وصل إلى عاصمتها "فارقين" حزيناً وكئيباً.

لقد واسى (نصر الدولة) الملك العزيز في مأساته وعطف عليه كثيراً وقدره تقديراً يليق بمكانته وأغدق عليه الأموال وقدم له الجوائز ووفر له أسباب الراحة في بلاده.

وقال الفارقي بصدد لجوء هذا الملك وتقدير نصر الدولة له ما يلي: (وقصده أي "نصر الدولة" الملك العزيز بن بويه وحمل له أي "النصر الدولة" "الحبل الياقوت الأحمر" الذي كان عند بني مروان "أي

www.alkottob.com

الدوستكيين" وكان وزنه سبع مثاقيل وحمل له مصحفاً بخط "علي بن أبي طالب" صوات الله عليه وقال: "أي الملك العزيز" قد حملت لك الدنيا والآخرة فأثر "أي نصر الدولة" له في مضيفه وأحسن إليه وأجازه وغرم عليه أموالاً كثيرة ما يزيد على عشرين ألف دينار فأقام الملك العزيز باسعرد مدة ثم مات بربض ميافارقين)(231) وحُمل تابوته إلى بغداد سنة (441هـ-1049م).(232) وكان الملك العزيز شاعراً وأورد الباخرزي نماذج رقيقة من شعره في دمية القصر.(233)

ومن اللاجئين الوزير أبو القاسم المغربي والوزير أبن جهير الموصلي وأنعم عليهما نصر الدولة بمنصب الوزارة أما الأول فقد مات وفياً مخلصاً وأما الثاني فقد قابل الإحسان بالغدر والخيانة. ومنهم "ابن خان" التركي وكان أميراً تركياً هاجر وطنه غاضباً من والده ملك الترك ومعه ألف فارس وأقام مدة في الدولة الدوستكية ثم استدعاه عطية بن صالح بن مرداس أمير حلب فذهب إليه في ألف فارس وقد استفاد منه هذا الأمير في منازعة بن أخيه له كما استفاد منهم في معركة مع البيزنطيين ولكن عطية قابل إحسانه

www.efrin.net
www.alkottob.com

بالغدر أخيراً فهاجمه هو والحلبيون ليلة وقتلوا قسماً من جيشه والتحق بابن أخيه محمود فساعده على احتلال حلب سنة (457هـ 1065م)(234). أما ابن أبي الليث الذي لجأ إلى ممهد الدولة مع قوة مسلحة فقد تحدثنا عنه هناك. وأقام في الدولة الدوستكية أيضاً وفي "جزيرة بوتان" بالذات الوزير عميد الدولة أبو سعيد "محمد بن الحسين بن عبد الرحيم" معتزلاً السياسة ومقبلاً على حياة هادئة.

وقال ابن الأثير أن عميد الدولة أصبح وزيراً لجلال الدولة البويهي في بغداد عدة مرات وأنه توفي في الجزيرة سنة (439هـ 1048م) وكان له شعر حسن.(235) ومن اللاجئين السياسيين أيضاً ولي العهد أبو القاسم عبد الله "المقتدي بأمر الله" الذي أصبح خليفة بعد وفاة جده (القائم) وأما أبوه (الذخيرة) فإنه مات قبل ميلاد ابنه سنة(448هـ 1056م) وكان ولي العهد مع أم الخليفة القائم بأمر الله العباسي وسبب هذا اللجوء هو استيلاء "البساسيري" على بغداد سنة (450هـ 1058م) وإقامة الخطبة فيها للخليفة الفاطمي بمصر وقد أرسلت أم الخليفة وولي العهد وغيرهما إلى

www.alkottob.com

فارقين عند نصر الدولة سراً وخفية ثم أعيدوا إلى بغداد سنة (452هـ-1060م) ولكن لا يفهم من كلام ابن الأثير أنهم وصلوا إلى فارقين وإنما وصلوا إلى "حران" غير أن الفارقي يوضح تماماً كيف أنهم وصلوا إلى فارقين وكيف استقبلهم نصر الدولة وأنزلهم في قصره بديار بكر وقطع لهم راتباً يومياً قدره خمسون دينار أو مانوسياً (بيزنطياً) وأعطاهم عند رجوعهم من الهدايا والتحف بمقدار مائتي ألف دينار ثم بيَّن كيف توسل القاضي ابن البغل من نصر الدولة أن يصرف هو عليهم من ماله ويكونوا في ضيافته.

وأخيراً قال الفارقي: (وحصل لنصر الدولة بذلك من الصيت والذكر ماليس بقليل)(236).

لما ذاعت شهرة نصر الدولة وتناقلت الألسن أخبار عدالته وجوده وسخائه أقبل عدد من الشعراء إلى كردستان وقصدوا البلاط الدوستكي ليتغنوا بمجد نصر الدولة وبمآثره الحميدة ويمدحوه بقصائدهم الرنانة عسى

www.alkottob.com

أن ينالوا قسطاً كبيراً من هباته ويعودوا بجوائزه الثمينة ألتي أشار إليها التهامي بقوله:

إن قال لا فهي آلاء مضاعفة وإن يقل نعماً أفضت إلى نعم

وكان لنصر الدولة شعراء مقيمون في خدمته كإبن الظريف الفارقي وابن السوادي وابن الفطيري أما الشاعر الكبير الأمير حسين بن داود البشنوي الفينكي فقد وصفه ابن الأثير بشاعر بني مروان (الدوستكي) وقد ذكرنا له أبياتاً في رثاء الأمير "باد بن دوستك" أما المنازي صاحب "ديوان الإنشاء" في الدولة فقد كان من الشعراء البارزين أيضاً ولا شك أنه ألف قصائد في مدح نصر الدولة في مناسبات عديدة كما توجد له قصائد في مدح الوزير أبي القاسم المغربي وقال الفارقي بصدد الشعراء الذين امتدحوا نصر الدولة: (وامتدحه صريع الدلاء بقصائد جماعة وامتدحه الشعراء من كل البلاد وقصده التهامي الشاعر وامتدح وزيره المغربي وكان في خدمته من الشعراء القائد أبو الرضا ابن الظريف "وهو الفضل بن منصور بن الظريف الفارقي المتوفي سنة (430 هـ 1039م)" وابن السوادي، وأبو

www.efrin.net
www.alkottob.com

الغضيري).(237).

أما ابن الأثير فقد قال أيضاً: (وكان "أي نصر الدولة" مقصد العلماء من سائر الآفاق وكثروا ببلاده.. وقصده الشعراء وأكثروا مدحه وأجزل جوائزهم).(238).

وأشار بن خلكان إلى هذا أيضاً بقوله:(وقصده الشعراء ومدحوه وخلدوا مدائحه في دواوينهم).(239) وهكذا قال ابن الجوزي.(240) وابن العماد الحنبلي.(241).

وكان نصر الدولة بالإضافة إلى حبه الشديد للغناء والموسيقى يحب الشعر أيضاً ويسر لسماعه ويظهر أنه كان يملك ذوقاً أدبياً مرهفاً فإنه لما أنشدت بين يديه مرة أبيات لأبي النواس طرب لها نصر الدولة جداً وقال: (لله دره فكأنه غنى بنا في شعره)(241).

أما الملك ناصر الدولة منصور فمن عادته أنه إذا قدم عليه شاعر لا يستقبله مدة ثلاثة أيام حيث كان يمهله ليحضر قصيدته ثم يأذن له بالحضور لإلقاء قصيدته وحضر عنده مرة شاعر يعرف بالغساني فلم تجد عليه قريحته

www.efrin.net
www.alkottob.com

خلال الأيام الثلاثة بتأليف قصيدته فاضطر إلى سرقة قصيدة للشاعر ابن الأسد الفارقي كان قد نظمها في مدح الملك منصور فلما ألقاها الغساني عرف منصور القصيدة وقال أنها لابن الأسد وغضب عليه وقال إن هذا إهانة لي وهدده بعقاب شديد ولكن الغساني أنكر ذلك فأرسل الملك رسولاً إلى ابن الأسد ليؤكد على أنها قصيدته ولكن الغساني أرسل أيضاً غلاماً كان معه إلى ابن الأسد فوصل إليه قبل وصول رسول الملك واعتذر بأنه أعجب بقصيدته فألقاها باسمه أمام الملك ورجا منه أن يقول لرسول الملك أنه لا يعلم شيئاً عن هذه القصيدة فلما وصل إليه رسوله قال أن القصيدة ليست له وإنما هي للغساني فعفا الملك عن الشاعر الأخير وزاد في جائزته. وأضاف (ياقوت الحموي) أن الغساني قد تقدم لدى السلطان ملكشاه وصار من أعيان الدولة ولما احتل الجيش السلجوقي فارقين بقيادة الغساني ألقى القبض على ابن الأسد ولما أمر بقتله أنقذه الغساني بشفاعته ثم قال له هل تعرفني قال لا، قال أنا الشاعر الغساني ادعيت قصيدتك فسترت عليَّ وما جزاء الإحسان إلا الإحسان.(243).

www.alkottob.com

وصل الشاعر المشهور أبو الحسن علي بن محمد التهامي(244) إلى بلاط نصر الدولة سنة (416هـ 1025م) وهي السنة التي تولى فيها الوزارة أبو القاسم المغربي ومدح التهامي نصر الدولة بقصيدته الرنانة التالية، وهو يشيد بسجاياه الحميدة وأخلاقه الفاضلة من عدل وجود وصرامة وغيرها:

www.efrin.net
www.alkottob.com

عبـسن من شعر في ما نفر البيض مثل

الرأس مبتسم البيض في اللـمـم

ظننت شبيبتـه تبقى أن الشـبيبـة مـرقـاة

وما علمت إلى الـهــرم

ما شاب عزمي ولا وفائي ولا ديـنـي

ولاحزمي ولاخلقي ولا كــرمـي

وإنـما اعتاض رأسي والشيب في الرأس دون

غير صبغته الشيب في الشيم

بالنـفس قائلـة في هـواك عندي فسر إن

يـوم رحلتنا شئت أو أقم

فبـحت وجـداً فلامتني لا تـعزليـه فلم

فقلن لها يلـؤم ولم يـلـم

لـما صفى قلبه والشيء في كـل

شـفت سرائره صـاف غير مكتتم

بعض التـفــرق لأمـــت شـمـلاً

أدنـــى اللقـاء وكم بشـمـل غـيـر ملتئم

www.efrin.net
www.alkottob.com

كيف المقام بأرض لا يخاف بها ... ولا يرجى شبا رمحي ولا قلمي

فقبلتني توديعاً فقلت لها ... كفى فليس إرتشاف الخمر من شيمي

لو لم يكن ريقها خمراً لما انتطقت ... بلؤلؤ من حباب الثغر منتظم

ولو تيقنت غير الراح في فمها ... ما كنت ممن يصد اللثم باللثم

وزاد ريقتها برداً تحدرها ... على حصى برد من ثغرها شبم

أني لأطرق طرفي عن محاسنها ... تكرماً وأكف الكف من أمم

ولا أهم ولي نفس تنازعني ... أستغفر الله إلا ساعة الحلم

لا أكفر الطيف نعمى انشرت رمما ... منا كما تفعل الأرواح بالرمم

حيي فاحيا وأغنتنا زيارته ... عن اعتساف الفلا بالأنيق الرسم

وصل الخيال ووصل الخود إن سمحت ... سيان ما أشبه الوجدان بالعدم

www.efrin.net

www.alkottob.com

و(قصره) عرفات وكفه كعبة

العرف فاعن بها الأفضال فاستلم

ترى الملوك وفداً فدع غيرهم

علىأبوابه عصباً من سائر الأمم

يحفه كل محفوف عزاً ويخدمه ذو

بموكبه المجد والخدم

تظل مزدحمات في تيجان كل مهيب

مواكبه الناس والنقم

تفيأ واظل ملك منه وربَ ملك مذال

محتشم غير محتشم

والملك كالغاب منه خدر ومنه مرتع

ذي لبد للشاء والنعم

هم أعظم الناس لكن أتى فضله من

أقداراً ومقدرة فوق فضلهم

إذا بدا طبق فما على

التقبيل ساحته الأرضشبر غير

فساحة الثغر ثغر ملتثم

أشنب رتل مفلج فهو

فلو تأثر في مرشوف بكل فم

الأفواه

www.efrin.net

www.alkottob.com

أســـرة نصر الدولة

www.efrin.net
www.alkottob.com

تزوج نصر الدولة بأربع نساء وهن السيدة بنت قرواش وابنة سنخاريب ملك السناسنة الأرمن والفضلونية بنت الأمير الكردي (فضلون بن منوجهر) صاحب الحكومة الشدادية في أرمينيا العليا(243) والرابعة الفرجية المصرية. ورزق نصر الدولة من الفضلونية الأمير سعيد وشاهنشاه. أما أولاده من حيث المجموع فقد ذكر الفارقي أن عددهم كان يزيد على أربعين ولداً ذكراً أما الذين عاشوا بعد وفاته فكانوا أكثر من عشرين ولداً أما أكبر أولاده فهو أبو الحسن سعد الدولة محمد وقد جعله والياً على ديار بكر وتوفي في حياة والده ولم يعقب ذرية وكان كما يظهر لي من بنت سنحاريب لأنه لم يكن من إحدى زوجات نصر الدولة الثلاث الأخرى. ولم يذكر الفارقي من أبناء نصر الدولة إلا من بقيت له ذرية إلى عهده فلذا لم يذكر غير عشرة منهم.

أما بنات نصر الدولة فذكر الفارقي ثلاث بنات وهن (ست الملك) وهي كبراهن والست زبيدة والست زينب.

www.alkottob.com

أكد كثير من المؤرخين على أن أحداً من الملوك في عصر الدولة الدوستكية لم يتمتع بمثل ما تمتع به الملك الكردي نصر الدولة من حياة النعيم والترف ومع خوضه في تلك الحياة الشبيهة بالخيال كان ساهراً على مصالح بلاده في المجالات العمرانية والاقتصادية والثقافية والعسكرية فإنه كان يتفقد حالة جنوده ويجتمع بضباطهم وقادتهم في كل ثلاثة أيام، كما أنه كان حريصاً على الوفاء بالعهود والنذور فإنه لم يغفل خلال سبع سنوات تقريباً عن توزيع جريب من الحنطة على الفقراء يومياً في جامع فارقين، كما أنه كان حريصاً على أداء الصلوات المفروضة في أوقاتها ولم تفته صلاة الصبح في يوم من الأيام وهذا يدل على مدى قوة ذكائه وإرهاف ذاكرته وشدة انتباهه وقد خلد الفارقي صورة حية صادقة عن حياة هذا الملك الكردي في مجال اللهو والطرب والبذخ والترف وسهره على مصالح بلاده وتنظيمه

www.alkottob.com

لأعماله اليومية فقال:

... (وكان رسمه "أي عادة نصر الدولة" أن يجلس يوماً للجند والعساكر يأكل ويشرب معهم إلى الليل ويخلو بنفسه، ويجلس يوماً لبني عمه وأولاده وأقاربه وخاصته فيأكل معهم ويشرب إلى الليل ثم يخرج للمغنيات والراقصات وجماعة أصحاب الملاهي بين أيديهم ساعة ثم يتفرقون ويبقى الأمير في خلوته مع جواريه، ويجلس يوماً ثالثاً وحده على السرير وليس في المجلس ذكر غيره وتحضر حظاياه وجواريه ونساؤه وبناته ويأكلون الطعام ويرقصون ويلعبون بسائر الملاهي طول يومه إلى الليل ثم تمضي نساؤه وبناته ويجلس ويشرب مع جواريه والعمالات بين يديه إلى وقت نومه قريب الصباح ويخلو بصاحبة النوبة (أي من جواريه). وكان يركب نصر الدولة من غدوة إلى الصيد ويعود ضحوة ويجلس ساعة ويدخل إليه الوزير ويستأذنه فيما يحتاج إلى أذنه ثم أن يجلس على الطعام ويستريح إلى قبل العصر، ويجلس على الطعام والشراب بعد أن يكون قد صلى الظهر والعصر في وقتهما ثم يشرب إلى الثلث الأول من الليل ثم ينفض من عنده وتخرج

www.alkottob.com

الجواري والعمالات فيغنينه ويشرب ويلعب معهن إلى الثل الأخير من الليل وهن بين يديه وهو على مسرته ثم يقوم إلى الموضع لمنامه ويأتيه الخادم بصاحبة النوبة فتبيت عنده إلى السحر، ثم يجلس فيدخل الحمام ويخرج ويصلي الصبح في وقتها. وقيل أنه طيلة مدة ولايته لم تفته صلاة الصبح في وقتها. ولقد غنى بين يديه ذات يوم بأبيات أبي نواس التي أولها يقول:

وهبت النوم للنـــــوا م إشـفاقاً علـــى عمـري

وقضيت ســـواد الليـل باللـــذات والخمـــر

فمـــا يطمـــع في النـو م إلا ســـــاعة السـكر

قيل فطرب لها الأمير وقال لله دره فكأنه غنى بنا في شعره. ولقد قيل لندمائه بعد موته كم كانت دولة نصر الدولة وولايته فقد سمعت أنه كان ثلاثاً وخمسين سنة فقال له ذلك الرجل: (ولم لا تقل مائة وست سنين فإن لياليها أحسن من أيامها ... ولقد سعد ما لم يسعد مثله أحد. ولقد كان لغيره من السلاطين والملوك البلاد والاسم ما لم يكن له مثله ولكن ما تنعموا مثل ما تنعم نصر الدولة ولا نالوا من اللذة ورفاهة العيش مثل ما ناله ولا حصل لهم

www.efrin.net
www.alkottob.com

ما حصل له من النعم والأموال والأولاد).(244) وقال الفارقي أيضاً:

(وكان لنصر الدولة ثلاثمائة وستون جارية حظايا وفيهن عمالات وكان لا تصل نوبة إحداهن في السنة إلا مرة واحدة وكان في كل ليلة له عروس جديدة، وكان له من المغنيات والراقصات والعمالات وأصحاب سائر الملاهي ما لم يكن لسواه من سائر الملوك والسلاطين، وكان كلما سمع بجارية مليحة أو مغنية مليحة نفذ وبالغ في مشتراها ووزن أضعاف قيمتها)(245).

وقال ابن الكثير في ترجمة حياته ما نصه: (وتنعّم تنعماً لم يقع لأحد من أهل زمانه.. وكان عند خسمائة سرية "أي جارية" سوى من يخدمهن وعنده خمسمائة خادم وكان عنده من المغنيات شيء كثير كل واحدة مشتراها خمسة آلاف دينار أو أكثر. وكان يحضر في مجلسه من آلات اللهو والأواني ما يساوي مائتي ألف دينار ..)(246) والمقصود بالأواني في الاصطلاح الموسيقي القديم الأواني الموسيقية المهتزة أو المجوفة الهندية. وليس أواني الطعام والطبخ كما أن المقصود بالملاهي آلات اللهو.

www.alkottob.com

ذكر الفارقي أن في بعض السنين وصل إلى بلاط "نصر الدولة" رجل من مصر يدعى الأستاذ "فرج" ومعه جارية مغنية لم ير مثلها في الحسن والجمال، ولا مثل صناعتها في الغناء بالعود وكان لها من أستاذها ولد يسمى "محمداً" فاستهام نصر الدولة بهذه الجارية الحسناء والمغنية البارعة وعشقها من كل قلبه بحيث لم يستطع أن يعيش بدونها ونسي نساءه وجميع جواريه غارقاً في حب المغنية المصرية وجمالها وغنائها ولكنه كلما طلب من الأستاذ فرج أن يبيعها إياه رفض طلبه لأنها كانت أم ولد لا يجوز بيعها ولكنه أخيراً سمح له بالزواج منها فتزوجها نصر الدولة وانصرف كلياً إلى الفرجية المصرية مما أدى إلى انزعاج نسائه فلم تحمل زوجته (الفضلونية) بنت صاحب "أران" وأرمينيا العليا فذهبت إلى بيت أبيها على سبيل الزيارة ولم ترجع وماتت هناك أما "السيدة" بنت قراوش أمير الموصل فإنها وإن تحملت مدة ولكنها ذهبت أيضاً إلى بيت والدها(247) في سنة (419هـ

www.alkottob.com

1028م) مما حمل قراوش على مطالبة نصر الدولة بإعطائه مدينة الجزيرة نفقة لابنته ثم هاجم هو وأخوه مدينتي الجزيرة ونصيبين كما ذكرنا سابقاً.(248)

نصر الدولة يوفد بعثة من الطباخين إلى مصر

من الأمور الطريفة التي عثرنا عليها في سيرة الملك الكردي الكبير نصر

www.alkottob.com

الدولة هو أنه أرسل من كردستان عدداً من الطباخين إلى (مصر) ليطلعوا على الأطعمة والمأكولات والمشروبات المعروفة في بلاد مصر ولاسيما في مطابخ خلفاء الدولة الفاطمية ومطاعمهم، ولكي يتعلموا طبخ الأطعمة غير المألوفة في كردستان الوسطى والدولة الدوستكية. ولاشك أن هؤلاء الطباخين قد رجعوا من مصر بمعلومات جديدة في فن الطبخ وتعلموا طبخ الأطعمة ولاسيما النادرة وذات القيمة التي تزين بها موائد الخلفاء والأمراء فزودوا مطبخ الملك الدوستكي ومائدته ومطابخ أمراء الدولة وأغنياء العاصمة (فارقين) وموائدهم بما هو جديد ولذيذ من الأطعمة والمأكولات التي لم تكن مألوفة من قبل في البلاد، كما أنهم ولا شك قد جلبوا معهم من مصر ما هو جميل وغريب من الأواني وأسباب الطبخ ما كانت جميلة وغريبة بالنسبة إلى كردستان الوسطى.

إن إيفاد نصر الدولة تلك البعثة من الطباخين إلى بلاد مصر ينطوي في الحقيقة على مغزى عظيم إذ نطلع من خلاله على مدى حب وتقدير هذا الملك للتجديد والتقدم لا في المجال الإقتصادي والعمراني والثقافي فقد بل في شتى

www.efrin.net
www.alkottob.com

المجالات حتى في فن الطبخ. ونطلع أيضاً على أن نصر الدولة كان يحب الوصول إلى ما بلغته الدول الكبرى والملوك العظام في عصره من التقدم لا في الأنظمة والقوانين الإدارية والعسكرية فحسب بل حتى في أسباب حياة البذخ والترف إلى أن فاق الجميع في هذه الحياة ونال في السعادة ما لم ينلها غيره فانغمس في اللذات والنعيم ولكنه لم يغفل في الوقت نفسه عن مصالح بلاده بل قسم أوقاته بين تلك الحياة السعيدة وبين السهر على مصالح بلاده وشعبه كما يؤكد عليه برنامجه اليومي البديع. هذا وقد انتبه المؤرخون إلى أهمية مغزى (بعثة الطبخ) وطرافتها فلم يغفلوا عن ذكرها فها هو المؤرخ ابن الأثير الجزري يقول في ترجمة حياة نصر الدولة ما يلي: (...وأرسل طباخين إلى الديار المصرية وغرم على إرسالهم جملة وافرة "أي مبلغاً كثيراً" حتى تعلموا الطبخ من هناك).(249)

وقال أبو الفداء الأيوبي في ترجمته أيضاً: (... وأرسل الطباخين إلى مصر حتى يتعلموا الطبخ هناك وقدموا عليه وغرم على ذلك جملة).(250)

وهكذا قال ابن خلدون أيضاً وستأتي النصوص في موضوع وفاة نصر

www.alkottob.com

الدولة: ليت شعري هل أن نصر الدولة هو أول ملك يوفد بعثة من الطباخين إلى قطر بعيد ويصرف في سبيل ذلك أموالاً كثيرة وإن هذا أول حدث تاريخي من نوعه أوسبقه في ذلك ملك أو ملوك آخرون في التاريخ؟.

ومن الجدير بالذكر أن بعض الأطعمة الكردية قد انتشرت في بعض البلدان الأجنبية كالعراق فقد وردت أسماء بعضها في (كتاب الطبيخ) الذي ألفه سنة (623هـ 1226م) محمد بن الحسن بن محمد الكاتب البغدادي في الأطعمة المنتشرة في بغداد والعراق في العصر العباسي الذي نشره لأول مرة الدكتور داود الجلبي الموصلي وأعاد نشره فخري البارودي فقد ورد فيه طعام كردي باسم "كردية" وبيَّن المؤلف كيفية طبخه وقال: (إنه يؤخذ خروف رضيع مسمون يغسل نظيفاً ثم يقطع على مفاصله ويسلق في ماء ويسير ملح وعود دارصين فإذا نضج أخرج من القدر ونشف من الماء ثم يؤخذ من الشيرج الطري قدر ويترك في مقلي برام أو نحاس مبيض فإذا غلى الشيرج طرح عليه مغرفة من الماء الذي سلق فيه الخروف ثم يؤخذ ذلك اللحم فينحى من العظام ويشطى ثم يترك في المقلى ويواصل تحريكه حتى

www.alkottob.com

يتعرق ثم ينثر عليه الكسفرة اليابسة والكمون والفلفل والدارصيني المسحوق ناعماً ويترك على نار هادئة مغطى الرأس حتى يهدأ الساعة."(251)

وورد في الكتاب أيضاً طعام آخر باسم "نارسورك". وقال أن اسمه أعجمي وأصله "نارسركه" يعني رمان وخل.(252) ثم بيِّن كيفية طبخ هذا النوع على ما هو مذكور في الكتاب. علماً أن أصل الاسم (هنار سركه) واستعماله الآن عند الأكراد (سركه- سركاهناري" أي عصير الزمان.

شهدت الدولة الدوستكية تحولاً في سياستها في عهد الملك أبي علي الذي أخذ بزمام الحكم بعد مقتل خاله الملك باد سنة (380هـ- 990م) حيث رسم أبو علي للدولة الكردية سياسة تتمثل في الاكتفاء والاحتفاظ بأراضي الدولة وحدودها دون اللجوء إلى العنف من أجل توسيع مساحتها وفي العمل

www.alkottob.com

على توفير أسباب حياة الأمن والاستقرار والسعادة لشعبها الكردي، وانتهاج سياسة المسالمة مع الدولة العباسية- البويهية وتوطيد علاقات الصداقة معها ومع كافة الدول والإمارات الإسلامية والمسيحية في المنطقة، وقد سار على سياسته من جاء من بعده من الملوك، وقد كان أخوه نصر الدولة بالرغم من اصطدامه مع الدولة البيزنطية ومع الأرمن والعقليين كان مثالياً في انتهاج سياسة المسالمة مع الدول الخارجية والشعوب المجاورة ومثالياً أيضاً في إيمانه بحل المشاكل الدولية والخارجية بالطرق السلمية وعن طريق التفاهم والتفاوض ولدينا دلائل غير قليلة على سياسته هذه.

إن نصر الدولة لم يكن مبادئاً ومهاجماً في إصداماته مع غيره وإنما كان مضطراً إلى الدفاع عن كيان دولته ومصالحها كما يتضح من كلام المؤرخين، فكان يكره الحرب ويبعد بلاده عن كوارثها وآلامها بسبب حرصه الشديد على سلامة بلاده وراحة شعبه وبسبب تقديره للحياة ولقيمة الإنسان وقيمة أرواح أبناء شعبه، فلم يحب أن تصير أرواحهم حطباً للهيب الحروب ولاسيما الفلاحين منهم حيث لا أسوار تعصمهم وتصون قراهم ومزارعهم من شرها.

www.alkottob.com

وكان نصر الدولة إيماناً منه بسياسة المسالمة والتعايش السلمي يلجأ عند حدوث مشكلة خارجية واستفزاز وتحرش من قبل أحد الخصوم إلى التفاهم وحل المشكلة سلمياً دون استخدام العنف بقدر الإمكان والدخول في معارك لا تجلب سوى الخسائر في الأرواح والأموال، فكان يدفع شر عدوه - وإن كان متأكداً من دحره وإلحاق الهزيمة به أحياناً إذا دخل المعركة - عن طريق التفاهم والمال وذلك بإعطائه مبلغاً من الدنانير لأنه كان يعلم بعد الإستشارة بقادة جيشه وكبار رجال حكومته أن الحرب ستكلفه بمثل أو بأكثر من المبلغ الذي يدفعه إلى عدوه في سبيل دفع شره. وكان قد دفع خطر أعداء له بهذه الطريقة السلمية وأرجعهم عن بلاده أكثر من مرة مع قدرته على مجابهتهم أحياناً بالقوة.

فقال ابن كثير بصدد سياسة نصر الدولة السلمية وإيمانه بحل المشاكل عن طريق التفاهم والتفاوض ما نصه: (... وكان "أي نصر الدولة" كثير المهادنة للملوك إذا قصده عدو أرسل إليه بمقدار ما يصالحه به فيرجع عنه).(253).

www.efrin.net

www.alkottob.com

وأما ابن الجوزي فهو ألآخر أكد قبله على سياسة الملك الكردي السلمية هذه حيث قال: (... وكان "أي نصر الدولة" إذا قصده عدو يقول كم يلزمني من النفقة على قتال هذا، فإذا قالوا خمسون ألفاً بعث بهذا المقدار أو ما يقع عليه الاتفاق، وقال ادفعوا هذا إلى العدو. وأكفه بذلك وآمن على عسكره من المخاطرة).(254) وقال الفارقي أيضاً ما يؤكد على سياسة نصر الدولة هذه.

إن نصر الدولة قد دفع إلى (بوقا) و(ناصغلي) قائدي الغز المهاجمين على ديار بكر سنة (433هـ 1042م) خمسين ألف دينار ليكف به شر الغز وقد ذكرنا الحادثة سابقاً. وقد دفع أيضاً خمسة عشر ألف دينار إلى قرواش بالرغم من فشله في محاصرة الجزيرة ونصيبين فشلاً ذريعاً، حيث تخلى عنه أنصاره من العرب والأكراد ـ من صداق ابنته (السيدة) إنهاء للعداوة وحلاً للمشكلة. كما صرف السلطان طغرل السلجوقي عن بلاده سنة (499هـ 1057م) بقوة المال. وكان نصر الدولة ملكاً شهماً يرحم كأخيه "أبي علي" عدوه إذا أضعف وذل والتمس منه العفو والهبة فيقابل السيئة بالإحسان والكرم كما حدث أن سلم مدينة "الرها" إلى "ابن عطير" وابن شبل بشفاعة

www.alkottob.com

"صالح بن مرداس" أمير "حلب" وأعطى بدران بن المقلد الذي عادى نصر الدولة كثيراً وهاجم نصيبين أكثر من مرة اعطاء مدينة نصيبين حينما أتى إلى بلاطه خاضعاً أثر فشله وفشل أخيه في محاصرة مدينتي الجزيرة ونصيبين فكان بهذه السياسة يقلل من الأعداء ويكثر من الأصدقاء. هذا وفي سنة (440هـ 1049م) جمع قرواشاً جيشاً ليغزو البلاد الدوستكية ولكن نصر الدولة بحكمته ودهائه أقنعه بالعدول عن خطته العدوانية. وهكذا كان نصر الدولة يلجأ في سياسته الخارجية إلى حل المشاكل سلمياً فنجح في سياسته وحافظ على سلامة وأمن بلاده حتى صارت أطيب البلاد وأكثرها عدلاً ورخاءً وأصبح شعبه أسعد الشعوب.

هذا وقد طعن داعي الدعاة الفاطمي "هبة الله الشيرازي" نصر الدولة في سياسته السلمية واتباعه الطريقة المذكورة في صرف العدو ودفعه والحفاظ على السلام كما فعل مع السلطان السلجوقي "طغرل" عندما زحف سنة (449هـ 1057م) إلى البلاد الدوستكية وحاصر "جزيرة بوتان" في الوقت الذي كان الشيرازي قد تعهد لنصر الدولة بمساعدته عسكرياً ضد

www.alkottob.com

"طغرل" بناء على طلبه فيقول وهو ينتقد نصر الدولة على كونه يطلب السلام والعافية دائماً:

(.. ولا يباشر من كريهة الحرب ما يجعل على بصره غشاوة وذلك دأب طلاب السلام وأصحاب الزاوية والعافية)(255) ولو أن الملوك والأمراء الآخرين كانوا على عقلية نصر الدولة ومتصفين بمثل سياسته وحكمته ورقة قلبه وطيب ضميره وإخلاصه لشعبه وبلاده وحبه للإعمار والبناء والتقدم الحضاري لما وقعت بينهم تلك الحروب الطاحنة التي غمرت البلاد في بحر من الدماء والدموع والكوارث والآلام ولكنهم إلا الأقل منهم كانوا طغاة ظالمين قساة القلوب لا يرحمون الثكليات ولا يعطفون على الشعوب الفقيرة الذليلة من أجل جشعهم وطمعهم.

وليس أدل على سياسة نصر الدولة والدولة الدوستكية السلمية وعلى قيمة هذه السياسة ونجاحها وثناء المؤرخين عليها من محافظتها على أمن وسلامة بلادها وحدودها من اعتداءات الدولة البيزنطية المسيحية القوية ومن غاراتها المدمرة وذلك بعقد سلسلة من الهدن واتفاقيات السلام وإقامة

www.alkottob.com

علاقات الصداقة وحسن الجوار معها ثم احترام الدولة البيزنطية لتلك الهدن حيث لم تخرقها سوى مرتين أو ثلاث مرات خلال مائة وست سنوات. إن سياسة المسالمة والمهادنة وعدم الاعتداء التي أصبحت خط سير الدولة الكردية وميزة من ميزاتها قد وضعت للحرب حداً وأبعدتها من منطقة واسعة هو الثغور "الحدود" الإسلامية فاستراحت البلاد الكردية التي تأسست فيها دولتها الوطنية من غارات البيزنطيين وكوارثها واستفادت كثيراً من علاقات الصداقة وحسن الجوار بينما كانت الغارات البيزنطية تتوالى في العهد الحمداني على كردستان الوسطى وتترك فيها الخراب والدمار بسبب العداء المستحكم بين الحمدانيين والبيزنطيين ولسوء سياسة الحمدانيين. وكان الأمير الحمداني الشجاع (سيف الدولة) يشن هجماته المتكررة على الحدود البيزنطية باسم الجهاد والدفاع عن الحدود الإسلامية أما البيزنطيون فكانوا يكيلون الصاع صاعين.

وإلى عدالة نصر الدولة وسياسته السلمية ونتائجها الإيجابية المذكورة، أشار الشاعر أبو الحسن التهامي بقوله:

www.alkottob.com

أضحى بعدلك ثغر الثغر مبتسماً   وكان قبل عبوساً غير مبتسم

عدالة نصر الدولة وعطفه

إن من يتتبع سيرة نصر الدولة يطلع على حقيقة عدالته وعطفه يتجلى له أن أحداً من ملوك وأمراء عصره لم يبلغه في هذا المجال. كما يتجلى له أن

www.alkottob.com

شعباً من شعوب الشرق الأوسط آنذاك لم يتمتع بالحرية والطمأنينة والسكون مثلما تمتع به الشعب الكردي في ظل دولته الوطنية وفي ظل عدالة ملوكها، لاسيما نصر الدولة الذي أشاد عديد من المؤرخين بعدالته وعطفه وعن هذا يعبر المؤرخ ابن كثير الدمشقي بقوله: (... وكانت بلاده "أي بلاد نصر الدولة" آمن البلاد وأطيبها وأكثرها عدلاً ...)(256)

أما المؤرخ الكبير ابن الأثير الجزري فقد أثنى على سياسة نصر الدولة العادلة وسيرته الحميدة بقوله:(... ثم ملك "أي نصر الدولة" جميع ديار بكر فدامت أيامه وأحسن السيرة وكان مقصد العلماء من سائر الآفاق وكثروا ببلاده ... وكانت الثغور منه آمنة وسيرته في رعيته أحسن سيرة)(257)

إن عدالة هذا الملك الكردي وحسن سياسته وسيرته قد جلبت الأنظار في الأقطار الأخرى مما أدى إلى هجرة كثير من التجار وغيرهم إلى كردستان الوسطى، ولا سيما عاصمتها فارقين التي ازدحمت بالسكان والتجار والصناع وأهل العلم والتي توسع عمرانها وتوسعت فيها الحركة التجارية حتى ربح مثلاً تاجر واحد وهو (ابن البهات) في يوم واحد (500) دينار بيزنطي وعلى

www.alkottob.com

هذا يؤكد الفارقي بقوله: (وانغمرت ميافارقين أيام نصر الدولة وقصدها الناس والتجار وجماعة من كل الأطراف واستغنى الناس في أيامه، وكانت أحسن الأيام ودولته غير الدول).(258)

وقد أشار الفارقي إلى عدالة نصر الدولة وعهده الزاهر في مواضيع عديدة من تاريخه ومثل على عدالته بقوله:(... وما ظلم أحد أيام نصر الدولة من الرعية، ولا صادر أحداً إلا الشيخ "أبا بكر بن جري" وكان سبب ذلك أنه كان صديقاً لصاحب السواسنة "الأرمن" فقصده بعض مَنْ يعاديه وقال: إن هذا (أي ابن جري) وطأ صاحب السناسنة وربما سلم إليه البلد فكبس بيته فوجد فيه سلاحاً كثيراً فاتهم بذلك، فصودر وبلغت مصادرته أربعمائة ألف دينار ... ولبس على الأمير في حقه ... وإلا لم يعرف أحد أن نصر الدولة أخذ من أحد الدرهم الفرد).(259)

وأشار أيضاً المؤرخ "ابن خلكان" إلى عدالة نصر الدولة ومثل عليها بنفس المثال الذي ذكره الفارقي.(260)

أما ابن العماد الحنبلي فقد وصف نصر الدولة بالعدل وحسن السياسة

www.efrin.net
www.alkottob.com

وعلو الهمة وبالحزم والذكاء والكياسة كما سيأتي نص كلامه.(261) وكان نصر الدولة رقيق القلب طيب البال كثير العطف حتى شمل بعطفه الطيور (وقد بلغه أن الطيور تجوع فتجمع في الشتاء من الحبوب التي في القرى فيصطاده الناس، فأمر بفتح الأهراء "مخزن الحبوب" وإلقاء ما يكفيها من الغلات في مدة الشتاء فكانت تكون في ضيافته طول الشتاء مدة عمره...)(262)

وكان نصر الدولة بجانب عدله وعطفه ورقة قلبه يتصف بالكياسة وبالحزم والصرامة ولعل إنزاله العقوبة بالقاضي "أبي المرجى" وابن جرئ اثر اتهامهما باتصالات مشبوهة مع الخارج كان نتيجة شدة حزمه ونتيجة التجارب التي اكتسبها من إغتيال أخويه الملك أبي علي والملك ممهد الدولة على أيدي المتآمرين.

هذا وبعد أن اختفت الدولة الدوستكية وحكمها العادل من الوجود بقضاء السلاجقة عليها عم الظلم والإرهاب أرجاء كردستان الوسطى، وشمل السلب والنهب المدن والقرى فذوت زهرتها وانتهى عهدها الزاهر وعصرها الذهبي

www.alkottob.com

فذاق الشعب الكردي الظلم والهوان على أيدي السلاجقة بمقدار ما ذاق الحرية والعزة والرخاء في ظل عدالة الدوستكيين، فتأخرت البلاد وتقلص عمرانها. ويذكر لنا الفارقي أن قسماً من سكان فارقين ولاسيما الأغنياء والتجار والوجهاء قد هاجروا من البلاد حتى وصل أعداد منهم إلى العراق وإيران وبلاد الشام هرباً من ظلم واضطهاد السلاجقة أمثال "طغتكين" و"المختسب" و"خمرتاش" وزوجته فيقول: (... تطاولت الأيدي على ميافارقين وبلدها وأخذوا منه من كل جانب وخرب أكثره...)(263)

ونرى الفارقي وهو يصعد الزفرات على تأخر تلك البلاد وتقلص عمرانها يعبر عن تقدير ذلك

التأخر تقديراً هو أعلم به لأنه نشأ وترعرع على أديمها فيقول: (... واستولى عليها الظلم والجور والخراب وافتقر أهلها بمقدار ما قال المنجم وإلى الآن (أي إلى زمن الفارقي) لم ترجع إلى عشر عشر ما كانت في أيام نظام الدين).(264)

www.alkottob.com

الحجـــل يشــهد

ذكر محمد بن أحمد المحلى في كتاب (المستطرف) في مادة (الحجل ـ كه و) قصة طريفة تتعلق بالملك (نصر الدولة) تدل على مدى عدالة هذا الملك

www.efrin.net

www.alkottob.com

الكردي وعطفه على المظلوم والضعيف، ووضعه الأمور في قسطاس من الحق والعدل فقد قال هذا المؤلف ما نصه: (قيل إن نصر الدولة بن مروان أكل مع بعض مقدمي الأكراد فأتى على سماطه بحجلين مشويين فلما رآهما "أي ذلك البعض" ضحك فقال "أي نصر الدولة" مما تضحك قال كنت أقطع الطريق في عنفوان شبابي فمر بيَّ تاجر فأخذته، فلما أردت قتله تضرع إليَّ لكي لا أقتله، فلما علم أنه لا بد لي من قتله إلتفت يميناً ويساراً فرأى حجلين كانتا بقربنا فقال "أي التاجر" إشهدا ليَّ إنه قاتلي ظلماً فقتلته. فلما رأيت هاتين الحجلتين تذكرت حمقه في استشهاده بهما. فقال أبو نصر: (والله لقد شهدتا عليك عند من أفادك بالرجل ثم أمر فضربت عنقه.)(265)

هكذا أخذ أبو نصر بثأر ذلك الرجل المجهول من ذلك التاجر الذي كان أحد رؤساء الأكراد بعد أن مضت على جريمة القتل مدة طويلة فقتل هذا الرجل الذي شهد على نفسه بقتل التاجر كأنما شهدت عليه الحجلتان المشويتان، مما يشهد على أن نصر الدولة كان يضرب على يد الظالم وقطاع الطرق ويقف بجانب المظلوم ويعطف عليه ويأخذ بحقه كهذا التاجر

www.alkottob.com

المجهول كي يرفرف الأمن على ربوع بلاده ويعم العدل أرجاءها.

وقد ذكر كبير أدباء الأكراد الأستاذ (علاء الدين سجادي) هذه القصة الطريفة في أحد الأجزاء الخمسة من كتابه (رشته ى مروارى) وقال إنها حدثت بين بعض من قطاع الطرق وأحد أغوات الأكراد ولم ينسبها إلى نصر الدولة ولا إلى كتاب (المستطرف) فلما سألته عن ذلك قال إن القصة معروفة هكذا بين الأكراد وأنه أخذها من أفواه الناس مما يدل على أن الحادثة تطورت إلى قصة شعبية خالدة ما زالت حية في كردستان إلى اليوم رغم نسيان اسم الملك الكردي نصر الدولة.

نصر الدولة ملك طريف

حقاً إن نصر الدولة ملكاً طريفاً جداً. طريفاً في عدله إذ إننه لم يصادر أحداً من أبناء شعبه ولم يأخذ درهماً واحداً من أحد سوى (السمسار أبي بكر

www.alkottob.com

بن جرى) وذلك خلال مدة حكمه البالغة حوالي ثلاث وخمسين سنة. كما كان طريفاً في رقة قلبه وعطفه حتى على الطيور وذلك بإطعامها، وطريفاً في حرصه الشديد على استتباب الأمن والوقوف بجانب المظلوم والاقتصاص له من الظالم كما ينجلى ذلك في (قصة الحجل). وكان طريفاً أيضاً في سياسته والتجنب من الحرب ـمع المقدرة أحياناًـ واقناع عدوه بمبلغ من المال كان يقدر أنه يخسر مثله إن دخل الحرب، وطريفاً في مشاريعه العمرانية والخيرية الكبيرة التي لم يقم بمثلها ملك أعظم منه دولة في عصره، وطريفاً في سعادته وكثرة جواريه ومغنياته ...، وسبحته البالغة قيمتها مائتين وخمسة وعشرين ألف دينار التي أصبحت أحد أسباب القضاء على الدولة الدوستكية. وكان أيضاً طريفاً في برنامجه اليومي وتقسيم أوقاته بين النظر في شؤون الدولة وبين حياة اللهو والطرب، وطريفاً في مدة حكمه الطويلة وفي كثر أبنائه حيث رزق أكثر من أربعين ابناً، وبالأخير كان طريفاً في إيفاد بعثة الطبخ من كردستان إلى مصر.

وهكذا نجد في سيرة هذا الملك الكردي جملة من الأمور الطريفة المهمة

www.alkottob.com

التي تعطي لنصر الدولة وتثبت له مزايا سياسية وخلقية عالية وتجعل منه ملكاً عظيماً وطريفاً حقاً.

في شوال سنة (453هـ 1061م) توفيَّ أبو نصر، نصر الدولة أحمد بن مروان في عاصمته فارقين. بعد أن استمرت مدة حكمه اثنتين أو ثلاثاً وخمسين سنة وكان نصر الدولة قد تولى الحكم بعد مقتل أخيه ممهد الدولة في قلعة (هه تاخ) على يد حاجبه (شيروه بن مه م) وذلك سنة (401هـ 1011م) وقد ذكرنا الخلاف في تاريخ ذلك. وكانت وفاة نصر الدولة صدمة عنيفة للدولة الدوستكية وشعبها حيث بلغا أوج مجدهما وتقدمهما في عهده.

وتولى الحكم بعده ابنه ، وولى عهده نظام الدين (نصر) وقد أثنى كثير من المؤرخين على سياسة نصر الدولة وعدالته وصفاته الحميدة. وفيما يلي

www.alkottob.com

نصوص من أقوالهم: قال الفارقي: (وبقي نصر الدولة ملك البلاد ثلاثاً وخمسين سنة لم يرعه فيها مروع ولا عدو ولا أشغل قلبه إلا نوبة بوقاً وناصغلي وحصل له الاسم عند الخلفاء وغيرهم من الملوك ولم يكن أسعد منه غيره ... وبقي في الملك إلى 29 شوال سنة (453 هـ - 1061م) ومات رحمه الله وكان سادس تشرين الثاني وجهز ودفن بجامع المحدثة وقيل بالقصر في (السدلي) (وهو قبة في القصر مبنية على ثلاث دعائم) إلى أن شيدت ابنته (ست الملك) القبة الموسومة بهم في سنة (456هـ 1064م) ونقل إليها ملاصق جامع المحدثة بالميدان(266) وقد ذكرنا نصوصاً كثيرة من كلام الفارقي بصدد سياسة نصر الدولة وحكمه العادل وأيامه السعيدة التي وصفها بالأعياد فلا حاجة إذن إلى إعادتها هنا.

وأما ابن الأثير الجزري فقد قال في حوادث سنة (453هـ 1061م):

(في هذه السنة توفيَّ نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي صاحب ديار بكر ولقبه القادر بالله "نصر الدولة" وكان عمره نيفاً وثمانين سنة وإمارته اثنتين وخمسين سنة. واستولى على الأمور ببلاده استيلاء تاماً وعمر الثغور

www.alkottob.com

وضبطها وتنعم تنعماً لم يسمع بمثله عن أحد من أهل زمانه. وملك من الجواري المغنيات ما اشترى بعضهن بخمسة آلاف دينار وأكثر من ذلك. وملك خمسمائة سرية "أي جارية" سوى توابعهن وخمسمائة خادم وكان في مجلسه من الآلات ما تزيد قيمته على مائتي ألف دينار وتزوج من بنات الملوك جملة، وأرسل طباخين إلى الديار المصرية وغرم على أرسالهم جملة وافرة "أي مبلغاً كبيراً" حتى تعلموا الطبخ من هناك. وأرسل إلى طغرلبك هدايا عظيمة من جملتها حبل الياقوت الذي كان لبني بويه اشتراه من الملك العزيز أبي منصور بن جلال الدولة وأرسل معه مائة ألف دينار سوى ذلك. ورخصت الأسعار في أيامه وتظاهر الناس بالأموال ووفد إليه الشعراء وأقام عنده العلماء والزهاد وبلغه أن الطيور في الشتاء تخرج من الجبال إلى القرى فتصاد فأمر أن يطرح لها الحب من

وقال ابن الأثير أيضاً (.. ثم ملك "أي نصر الدولة" جميع ديار بكر

www.alkottob.com

فدامت أيامه وأحسن السيرة وكان مقصد العلماء من سائر الآفاق وكثروا ببلاده وممن قصده أبو عبد الله الكازروني وعنه انتشر مذهب الشافعي بديار بكر، وقصده الشعراء وأكثروا مدحه وأجزل جوائزهم ... وكانت الثغور منه آمنه وسيرته في رعيته أحسن سيرة).(268)

وقال (أبن الجوزي) في ترجمة نصر الدولة أيضاً وهو أقرب من ابن الأثير إلى زمانه: (... واستولى على الأمور بديار بكر وهو ابن اثنتين وعشرين سنة وعمر الثغور وضبطها) وقال عند البحث عن جواري نصر الدولة: (واشترى بعضهم بأربعة عشر ألف دينار). (وكان إذا قصده عدو يقول كم يلزمني من النفقة على قتال هذا، فإذا قالوا خمسون ألف دينار بعث بهذا المقدار أو ما يقع عليه الاتفاق، وقال ادفع هذا إلى العدو. وأكفه بذلك وأمن على عسكره من المخاطر ... ورخصت الأسعار في زمانه وتظاهر الناس بالأموال، ووفد إليه الشعراء، وسكن عنده العلماء والزهاد. توفي في هذه السنة (453هـ 1061م) عن سبع وسبعين، وقيل عبر الثمانين وكانت إمارته اثنتين وخمسين).(269)

www.efrin.net

www.alkottob.com

وقال خير الدين الزركلي: إن تاريخ ولادة نصر الدولة هو سنة (367هـ-977م) وتاريخ وفاته (453هـ- 1061م) وقال في وصفه: (وكان مسعوداً عالي الهمة حازماً عادلاً محافظاً على الطاعات مع إقباله على اللهو وكانت له 360 سرية، استمر في الملك 51 سنة).(270).

أما عمر ابن الوردي فإن كلامه قد طابق ما ورد في الكامل بصدد العمر والتنعم والآلات وبعثة الطبخ(271).

وأما الحافظ شمس الدين الذهبي فقال: (... توفى أحمد بن مروان بن دوستك وكان عاقلاً حازماً

وقال جمال الدين علي بن حسن الخزرجي في ترجمته ما يلي: (.. وكان ملكاً كبيراً عالي الهمة حسن السيرة، وكان منهمكاً في اللذات إلا أنه محافظ على الصوات في أوقاتها، وكان له (360) "أي جارية" .. وملك عدة من الجواري المغنيات فيهن من قيمتها خمسة آلاف دينار أو أكثر، واشترى واحدة بأربعة عشر ألفاً وقيل كان عنده (500) سرية و(500) خادم ... واجتمع إليه العلماء والشعراء. وبلغه أن الطيور تخرج من الجبال إلى القرى

www.alkottob.com

في أيام الشتاء فتصاد، فأمر أن يطرح لها الحب ما يشبعها فكانت في ضيافته طول عمره ... وكانت الثغور به عامرة مضبوطة. وكان إذا قصد عدو يقول: كم أحتاج على قتال هذا العدو، فإذا عينوا له مالاً بعث به إليه وقال: هذا أسلم من المخاطرة وأحسن لي ولك).(273) وذكر وفاته في سنة (452هـ 1060م) بينما نقل الرأي المشهور أيضاً.

وقال الحافظ ابن كثير في ترجمة حياته أيضاً: (..وملك اثنتين وخمسين سنة وتنعم تنعماً لم يقع لأحد من أهل زمانه ولا أدركه فيه أحد من أقرانه وكان عنده (500) سرية سوى من يخدمهن وعنده (500) خادم وكان عنده من المغنيات ..إلخ. وكان كثير المهادنة للملوك إذا قصده عدو أرسل إليه بمقدار ما يصالحه به فيرجع عنه .. وكانت بلاده آمن البلاد، وأطيبها وأكثرها عدلاً، وقد بلغه أن الطيور تجوع .. الخ).(274)

أما المؤرخ الكردي ابن خلكان فقال في الثناء على نصر الدولة ما يلي: (..كان رجلاً مسعوداً عالي الهمة حسن السياسة كثير الحزم قضى من اللذات وبلغ من السعادة ما يقصر الوصف عن شرحه. وقصده الشعراء ومدحوه

www.alkottob.com

وخلدوا مدائحه في دواوينهم. وقال أن وفاته كانت في التاسع والعشرين من شوال (453هـ - 1061م) كما نقل عن الفارقي كلامه بصدد عدالة نصر الدولة وعدم مصادرته إلا رجلاً واحداً .. كما أنه زاد نسبة "الحميدي".(275).

أما (ابن العماد) الحنبلي فقد قال: (وفيها "أي سنة 453 هـ 1061م" توفي أحمد بن مروان بن دوستك الكردي أبو نصر. كان عاقلاً حازماً عادلاً ... وكان رجلاً مسعوداً عالي الهمة حسن السياسة كثير الحزم قضى من اللذات وبلغ من السعادة ما يقصر الوصف عن شرحه. وقد قسم أوقاته ، فمنها ما ينظر فيه في مصالح دولته ومنها ما يتوفر فيه على لذاته والاجتماع بأهله. وقصده شعرا

أما (أبو الفداء) الأيوبي فقال في ترجمة حياته وبعد أن تحدث عن جواريه ومغنياته والآلات الموسيقية الكثيرة في قصره: (وأرسل طباخين إلى مصر حتى تعلموا الطبخ هناك وقدموا عليه وغرم على ذلك جملة، ووفد إليه

www.alkottob.com

الشعراء وأقام عنده العلماء).(277)

أما المؤرخ (ابن خلدون) فمما قال في ترجمة حياة نصر الدولة ما يلي:

(.. واجتمع منهن "أي الجواري" عنده للافتراش والاستخدام أزيد من ألف ... وكان قد عظم استيلاؤه وتوفرت أمواله وحسن في عمارة الثغور وضبطها أثره وأرسل الطباخين إلى الديار المصرية وأنفق عليهم جملة حتى تعلموا الطبخ هناك .. قصده العلماء فمهد عنده مقامهم ...)(278)

وقال (البستاني) في ترجمته أيضاً: (... وكان رجلاً مسعوداً عالي الهمة حسن السياسة كثير الحزم وقد قسم أوقاته منها إلى مصالح دولته ومنها إلى لذاته .. وعاش (77) سنة. وكانت إمارته (52) سنة وقيل 42 سنة ...)

ومن الجدير بالذكر أن المؤرخين اختلفوا في مدة عمره فقال ابن خلكان والبستاني أنه عمر (77) سنة. بينما قال ابن الأثير وآخرون أن عمره قد زاد على الثمانين. وذكر (ناصر خسرو) أن عمره بلغ مائة سنة (280). ويقدر عمره ما لا يقل عن (90) سنة إن صح ما قاله الفارقي من أن أبناء مروان الأربعة كانوا يشتركون في حروب خالهم الأمير (باد)(281).

www.alkottob.com

قسم من سور ديار بكر بناه نصر الدولة وعليه الكتابة التالية بالخط الكوفي

بسم الله الرحمن الرحيم

مما أمر بعمله السيد الأجل المؤيد المنصور عز الإسلام سعد الدين نصر الدولة، ركن الملة، مجد الأمة، شرف الأمراء أبو نصر أحمد بن مروان أطال الله بقاءه وأدام سلطانه. شهور سنة (426 هـ 1035م) حسبى الله ونعم الوكيل.(282)

برج كَجْ (برج الفتاة) من أبراج سور ديار بكر بناه نصر الدولة في الفترة الواقعة بين (407-421هـ 1016-1030م) كما قال رمضان بالن في

Diyarbakir Tarihi Cografi..

الصورة من هذا المصدر.

www.alkottob.com

في الدولة الدوستكية
الأمير نظام الدين يتولى الحكم

كان الأمير أبو القاسم نصر بن نصر الدولة في عهد والده ولياً للعهد حيث فضله والده على سائر إخوته لما وجد فيه من عقل وذكاء وحزم وقابلية، وقد أبدى (نظام الدين) نصر كفاءة فائقة في سنة (447هـ - 1055 م) حينما أرسله والده إلى الجزيرة أثر مقتل أخيه الأمير سليمان بيد الأمير عبيد الله بن أبي طاهر أمير (فينك). فقد شتت جيش قريش بن بدران أمير الموصل وجموع أكراد بوتان الزاحفين نحو مدينة الجزيرة لاحتلالها فانتصر وأعاد الأمور إلى نصابها. ولما توفى والده نصر الدولة أحمد بن مروان (كان الوزير عنده فنفذ صاحب العسكر إلى الأمير نظام الدين فأحضره من داره بالمدينة وأصعده الوزير "أي ابن جهير" إلى القصر ولقيه الوزير فقبل الأرض بين يديه وخاطبه بالإمارة وسلم عليه بها وعزاه عن أبيه، وأجلسه

www.efrin.net
www.alkottob.com

على السرير وحضر الناس من الأمراء وبني العم والقضاة والشهود والعلماء وسادات أهل البلد وسلموا عليه بالإمارة إلى أن اجتمع الناس بأسرهم ثم ترك "أي نظام الدين" السرير وجلس على الأرض بدون بساط وأحضر الشعراء والمقربين وأنشدوا وعزوه عن أبيه ودفن الأمير وتفرق الناس واستقر نظام الدين في الإمارة ولم يختلف عليه أحد من بني عمه وأخوته والعسكر وأهل البلد. وولى نظام الدين غرة ذي القعدة سنة (453هـ - 1061م).(283).

ذكر أكثر المؤرخين أن الوزير فخر الدولة محمد ابن جهير قد تخلى عن وزارة الملك نظام الدين وهرب سراً إلى بغداد سنة (455 هـ 1063م) ليصبح وزيراً للخليفة العباسي (القائم بأمر الله) وذلك بعد أن اتصل سراً بالخليفة بعد عزل الوزير (محمد بن المنصور بن دراست) وتعهد للخليفة أن يدفع له ثلاثين ألف دينار مقابل تعيينه وزيراً له فقبل الخليفة هذا العرض كما

www.alkottob.com

قال ابن الطقطقي(284).

(وأرسل كامل طراد الزينبي) إلى ميافارقين كأنه رسول، فلما عاد سار معه ابن جهير كالمودع له، فتمم السير معه وخرج ابن مروان (أي نظام الدين) في أثره فلم يدركه، فلما وصل إلى بغداد خلع عليه وعينه الخليفة في الوزارة(285).

وهكذا قال ابن خلدون(286) أيضاً. بينما قال الفارقي أن الخليفة استدعى ابن جهير من نظام الدين ليزر له، فأرسله إلى الخليفة وأرسل معه الهدايا والتحف والألطاف والبرك والتجمل ونزل (أي إلى بغداد) في أحسن زي وأجمله ..(287)

كان أبو الفضل إبراهيم بن عبد الكريم الأنباري موظفاً كبيراً في الدولة العقيلية في الموصل ثم عزل عن وظيفته فقدم إلى الدولة الدوستكية ولما

www.alkottob.com

هرب ابن جهير جعله نظام الدين وزيراً له حيث وجد فيه الكفاءة والقابلية. وقد وصفه الفارقي بأنه (كان كافياً ذا رأي وعقل وسداد)(288). وكان الملك نظام الدين يسير على سياسة والده بكل دقة ويهتدي هديها في سياسته الداخلية والخارجية فسار في تعيين شخص غريب عن بلاده دون تعيين رجل كفوء من أبناء وطنه على سياسة والده الذي أخذ التجربة من خطأ كل من أخويه أبى علي وممهد الدولة في احتجاب شيروه الذي اغتال الأول بدسائسه واغتال الثاني بيده.

لم يمض أكثر من سنتين على حكم الملك نظام الدين حتى وجد أخاه الأمير سعيد يختلف عليه. ولعل الأمير سعيد كان يجد نفسه أحق بالملك، وأفضل من نظام الدين حيث كان أكبر منه سناً وأشرف منه من جهة الأم فكان ابن الأميرة الفضلونية وحفيد الأمير الشدادي الكردي، ويظهر أن الأمير

www.alkottob.com

سعيد في خلافه الأول هذا لم يكن يستهدف الوصول إلى الحكم واقصاء أخيه وإنما كان نزاعه على الاقطاعات، ولذا لم يلجأ إلى إيثار فتنة داخلية أو تدبير مؤامرة على أخيه وإنما توجه إلى بلاط السلطان السلجوقي (طغرلبك) وعرض عليه شكواه وطلب منه أن يتوسط بينه وبين أخيه ولو بإرغامه على الخضوع لمطاليبه المتجسمة في إعطاءه إقطاعات ترضيه فلبى السلطان طلبه وأرسل معه أحد قادة جيشه على رأس (خمس آلاف فارس مع جيش كثير) إلى البلاد الدوستكية ولكنه لم يحرك ساكناً ولم يتعرض لراحة أبناء وطنه حتى وصل العاصمة (فارقين) سنة (455هـ 1063م) ونزل على بابها وهناك قام بغارة تهديداً لأخيه. أما نظام الدين فلم يقابله بالقوة والعنف بل أرسل وزيره ابن جهير (حسبما قاله الفارقي) للتفاوض معه، فاجتمع به الوزير وخوفه من العواقب الوخيمة لنزاعه، ومن احتمال زوال الدولة الدوستكية على يده فاقتنع برأي الوزير وتوصل الطرفان إلى الصلح وإنهاء الخلاف مقابل إعطاء الأمير سعيد أموالاً واقطاعات كثيرة كما دفع نظام الدين خمسين ألف دينار إلى قائد السلطان وأذن الأمير سعيد له ولجيشه بالعودة

www.efrin.net
www.alkottob.com

إلى بلادهم.(289)

أصبحت الدولة الدوستكية مهددة بالفناء على أيدي السلجوقيين الأقوياء منذ أن اقترب نفوذهم إلى كردستان، أو شملت جزءها الشرقي فكانت هذه الدولة الكردية حتى في عهد الملك العادل والسياسي المسالم (نصر الدولة) تشكو من أطماعهم في القضاء عليها بالرغم من ولائها لسلطانهم وكانت تدفع خطرهم في كل مرة بقوة المال والهدايا الثمينة كما حدث في سنة (449هـ 1057م) حينما حاصر طغرلبك (جزيرة بوتان). وبعد وفاة طغرلبك سنة (455هـ 1063م) ومجيء ابن أخيه (ألب أرسلان) إلى الحكم لم تنقطع استفزازات السلاجقة وتحرشاتهم بهذه الدولة وتهديدهم لأمنها واستقرارها وراحة شعبها، بل كانوا يقومون بتهديداتهم بين حين وآخر حتى قضوا عليها نهائياً. فذكر الفارقي أن في شهر ربيع الأول سنة (458هـ 1066م) وصل

www.alkottob.com

إلى ديار بكر من قبل السلطان طغرلبك (والصحيح ألب أرسلان أو التاريخ خطأ) أمير يدعى (سلار خراسان) ومعه خمسة آلاف فارس، فنهب ضواحي فارقين. وأغلقت أبواب المدينة وبقي محاصراً لها مدة حتى تفاوض معه الوزير الأنباري واتفق الطرفان على إعطاء سلار ثلاثمائة ألف دينار مقابل فك الحصار ورجوعه إلى السلطان فطلب منه الوزير الحضور إلى المدينة مع قسم قليل من جيشه، كما أرسل الأمير حسن ابن نصر الدولة إلى معسكره رهينة ولكن سلار ندم في الطريق وشعر بالخطأ وأراد أن ينصرف غير أن الوزير أرسل كلاً من الأمير (فضلون) والأمير (مامك) ابني نصر الدولة إلى معسكره رهينة أيضاً فطاب قلب (سلار) فدخل المدينة فذهب الوزير إلى نظام الدين وأشار إليه بإلقاء القبض على سلار وجماعته فرفض نظام الدين هذا الرأي وقال نعطيه المبلغ المقرر بسبب وجود ثلاثة من أخوته في معسكره ولكن الوزير قال: (إن إخوتك أعداء لك ونشتري بهم ديار بكر والبلاد). أما نظام الدين فلم يقتنع بهذا القول، فأضاف الوزير قائلاً: (يجيء غداً آخر مثله ويفتح عليك باب لا تقدر تسده أبداً) فغلبه الوزير في الحجة وأقنعه، فقبض

www.alkottob.com

الوزير على سلار وجماعته، ولما علم أفراد جيشه قتلوا اثنين من إخوة نظام الدين وشدوا الثالث بذنب مهر لم يذلل وأرسل المهر وهو يجره حتى وصل إلى قرية (ترمين) فخلصه رجل فلاح وشفى بعد المعالجة. ويظن الفارقي أنه هو الأمير فضلون ثم هاجم جيش نظام الدين معسكر سلار وشتت جيشه. ودفن الأمير حسن في الرواق الشرقي من جامع المحدثة وفتح له باب من القبة المروانية.(290)

في سنة (458هـ 1066م) توفي الوزير أبو الفضل إبراهيم بن عبد الكريم الأنباري وحمل تابوته إلى الكوفة حيث دفن عند مشهد علي بن أبي طالب. وعقب وفاة الوزير عين نظام الدين ابنه أبا طاهر (سلامة) في الوزارة واعتمد عليه كثيراً.

www.efrin.net

www.alkottob.com

وقال الفارقي في وصف الوزير الجديد بقوله: (... وكان عاقلاً لبيباً له حزم ورأي فقيل لنظام الدين هذا شاب وصبي،والوزارة لا تليق إلا بأصحاب الرأي المشايخ الذين جربوا الدول. فقال: أنا قد رضيت وسترون ما يخرج من هذا ولقبه (عين الكفاة) وترتب في الوزارة وساس الناس والبلاد أحسن سياسة(291).

بعد أن حلّت مشكلة الخلاف أو النزاع بين الأخوين نظام الدين والأمير سعيد سنة (455هـ 1063م) وبعد أن ساد التفاهم والانسجام بينهما لعدة سنوات نرى أن الخلاف يظهر بينهما من جديد وأن الأمير سعيد يغادر كردستان غاضباً ويتوجه إلى بلاط السلطان السلجوقي (ألب ارسلان) في أصفهان وذلك في سنة (460هـ 1068م) ليعرض عليه شكواه، ونرى أن السلطان يتعهد له بإقصاء نظام الدين من الحكم وجعله في مكانه. والذي

www.efrin.net
www.alkottob.com

يظهر لي من أسباب حدوث الخلافات للمرة الثانية هو احتمال وجود الأسباب التالية:

1- تضييق نظام الدين حقوق الأمير سعيد التي أعطاها إياه تحت الضغط السلجوقي.

2- استنكار الأمير سعيد على نظام الدين التضحية بالأخوة الثلاثة الأمير فضلون (شقيق الأمير سعيد) والأمير حسن والأمير مامك في سبيل قتل (سلار حرسان) ويحتمل جداً أن الأمير سعيد اعتبر هذا العمل استهتاراً من نظام الدين بحقوق كافة أخوته مما جدد في نفسه الكراهية له ولحكمه وخلق في نفسه الشك وعدم الثقة في إخلاصه لأخوته الكثيرين. وذكرنا أن نصر الدولة قد خلف أكثر من عشرين إبناً.

3-لعل الأمير سعيد كان يطمع في الحكم حيث يجد نفسه أليق منه وأولى.

ولما وصل الب أرسلان سنة (463هـ 1071م) إلى ديار بكر عن طريق

www.efrin.net
www.alkottob.com

أذربيجان لم يخرج نظام الدين لاستقباله ولعل ذلك كان لخوفه منه. فقدم نظام الملك الطوسي وزير السلطان إلى فارقين واجتمع بنظام الدين وتحدث معه بشأن الخلاف بينه وبين الأمير سعيد ونصحه أن يرافقه إلى معسكر السلطان في (الحرشفية) على نهر دجلة ويجتمع به ووعده بأنه يعيده إلى عاصمته معززاً فرافقه نظام الدين وواجه السلطان ولما طلب الوزير من السلطان العفو عنه .. أجاب بأنه قرر إزالته من الحكم وحلف الأمير سعيد ولما كان رأي الوزير مخالفاً لرأي السلطان لجأ إلى الحيلة المعروفة واستخدم دهاءه في إبقاء نظام الدين في الحكم، فألقى القبض عليه وسلمه إلى الأمير سعيد واعتقله في حصن (هه تاخ) كي لا يحث السلطان بقسمه ثم توصل الوزير إلى إقناع السلطان عن العدول عن قراره والعفو عن نظام الدين وإعادته إلى عاصمته ولقبه الخواجا بـ (سلطان الأمراء) وحل الخلاف بين الأخوين وعاد الوئام إلى مجراه الطبيعي وأعطى نظام الدين أخاه مدينة ديار بكر فنزل الأمير سعيد من حصن هه تاخ (إلى ميافارقين ولقى الأمير وبكيا ونزل معه في الحجرة الخاصة ...) وهكذا عادت الثقة والوئام بين الأخوين بحيث أنهما

www.efrin.net
www.alkottob.com

ظلا ينامان معاً في غرفة واحدة لمدة أيام، وعندما أيقظ الأمير سعيد خادمه ذات ليلة وقال له: (هذا سيفك واقتل أخاك واملك البلاد). رد عليه الأمير سعيد بقوله: (يا فروخ ويحك يكون ابن عجب مملوكك ويفي، وأكون ابن فضلونية وأغدر إليك عني! لا كان هذا أبداً)(292).

وهكذا صفع الأمير سعيد في وجه خادمه دسه وأبى أن يغدر أخاه نظام الدين غدراً لم يحدث مثله

في تاريخ الأسرة الدوستكية.

ومن الجدير بالذكر أن الأمير سعيد لم يتلق كما يظهر في خلافاته مع أخيه التأييد من إخوته، ومن بني العم أو من الأمراء في الدولة ولهذا لم تؤثر في الدولة والبلاد تأثيراً ملموساً ولم تخرج من نطاقها إلى كارثة كما أنها الخلافات الأولى والأخيرة من نوعها في مدة (106) سنوات من عمر الدولة أي لم تحدث خلافات مثلها بين أفراد الأسرة الدوستكية الحاكمة. هذا وبعد أن

www.efrin.net
www.alkottob.com

أقام الأمير سعيد في فارقين أياماً توجه إلى مدينة ديار بكر التي أقطعها إياه نظام الدين ولكن لم تمض مدة طويلة حتى توفى سنة (464هـ 1072م) في مدينة ديار بكر. وبعد وفاته طلب نظام الدين من زوجته (الست عزيزة) بنت (زنكك بن أوان) تسليم المدينة إليه ووعدها بالزواج منها فسلمتها إليه.(293)

في شهر ذي الحجة من سنة (472هـ 1080م) توفيَّ الأمير نظام الدين نصر بن نصر الدولة أحمد بن مروان في مدينة فارقين وكانت مدة حكمه تسع عشرة سنة فغسل وكفن وترك في التابوت ثلاثة أيام ودفن في اليوم الرابع وخرج الوزير (سلامة ابن الأنباري) وقد شق ثيابه ونشر عمامته، وخرج ابنه ناصر الدولة (منصور) من غرفته الخاصة وقد غير ثيابه وجلس على الأرض ولبس ثياب العزاء واجتمع الناس والقراء والشعراء وأنشدوا

www.alkottob.com

المراثي وشيع جثمانه إلى مثواه الأخير ودفن عند أبيه نصر الدولة في أسفل الميدان وفي قبة بني مروان.

وخلف نظام الدين من الأولاد الأمير منصور ولي العهد والأمير بهرام والأمير أحمد والست (فاته) التي زوجها من أحد بني عمه وأمير بدليس أبي القاسم أحمد (أوهبه الله) ابن الرئيس (موسك) ابن محمد بن كك(294)

لقد سار نظام الدين على سياسة والده في الناحيتين الداخلية والخارجية بدون تغيير في أنظمة الدولة وسياستها ففي المجال الداخلي حافظ على استقرار البلاد وسلامتها وعمل على إدامة حياة الرخاء والسعادة لشعبه، كما ساهر على مصالح بلاده وتقدمها في شتى النواحي الاقتصادية والعمرانية والثقافية والاجتماعية فسارت البلاد في التقدم والرقي على وتيرة واحدة من

www.alkottob.com

عهد نصر الدولة حتى نهاية عهده. فلذا توسعت التجارة والزراعة والصناعة والعمران بمرور الأيام وتقدمت بتقادمها.

وكان نظام الدين حريصاً كل الحرص كوالده على سعادة أبناء بلاده وعزهم وتقدمهم في شتى مناحي الحياة حتى أنه كان يقوم بجولات في المدينة وأسواقها ويتفقد الحياة الاقتصادية وسير الأعمال فيها ويتفقد أحوال السكان ويسأل عن أحوال الحاضرين في المدينة وعن احتياجاتهم ويستمع إلى شكواهم ويحل مشاكلهم مع أن تفقده لم يكن مقتصراً على الحاضرين من سكان فارقين بل كان يشمل الغائبين أيضاً. أي أنه كان يسأل عن أحوالهم عن الحاضرين عن سبب غيابهم عن المدينة. وبفضل عدالة نظام الدين وسياسته الحكيمة تقدمت مدينة فارقين اقتصادياً وعمرانياً وتمتع

فهذا هو الفارقي يعبر تعبيراً صادقاً عن سياسة نظام الدين هذه ويقول: (... وبقي نظام الدين في الإمارة وكان ملكاً عادلاً خفيف الوطأة حسن السيرة كثير الإحسان إلى الناس. وعمرت ميافارقين في أيامه أحسن عمارة ولقى الناس منه الخير والبركة. وكان يتفقد أحوال الناس ويسأل عن أحوالهم ومن

www.efrin.net
www.alkottob.com

غاب عنهم. وما شوهدت ميافارقين أعمر ما كانت في أيام نظام الدين، ولا أغنى من أهلها في أيامه.)(295)

ومما يدل على عدالة حكم نظام الدين وسعادة الشعب الكردي في عهده ما ذكره الفارقي بصدد سياسة العالم العميد قوام الدين أبي علي البلخي الذي تولى إقليم ديار بكر بعد عزل ابن جهير من قبل ملك شاه حيث قال: (... ولم ير الناس مثله وأظهر العدل والاحسان إلى الناس. ومن عدله شبهت أيامه بأيام نظام الدين من فعل الخير وأمن الناس على أموالهم واحترامهم).(296) وقال في وصفه أيضاً: (وكان ذا عقل ورأي وحزم وتدبير فولاه (أي والده) عهده من بعده لعقله ورأيه)(297)

وقد استمرت الدولة في عهد نظام الدين في هدوئها وأمنها، فلم تحدث خلال مدة حكمه البالغة تسع عشرة سنة حوادث تقلق راحتها وتكدر سعادتها أو تعيق وتثبط تقدمها.

أما الخلافات بين الأخوين فلم تتأثر بها الحياة العامة الهادئة في ذلك الجزء المهم من كردستان حيث لم تتمخض عنها حروب داخلية كما لم تحدث

www.alkottob.com

في عهده حروب خارجية أيضاً، وأما حادثة سلار خراسان فلم يكن لها أيضاً تأثير في حياة البلاد العامة.

أما مشاكل نظام الدين مع أخيه الأمير سعيد فإنه إذا أمعنا النظر في الموضوع لنجد أن من الصعب أن يمارس ملك أو أمير حكمه من غير منازعة بعض من إخوته أو أقاربه، ولا سيما إذا كانوا كثيرين فكيف بنظام الدين الذي كان له أكثر من عشرين أخاً ما عدا بني العم الكثيرين. أما سياسة نظام الدين الخارجية فكانت إيجابية مسالمة كسياسة والده المتمثلة في التعايش السلمي ـ إن صح التعبير ـ مع كافة دول وإمارات عهده وتوثيق عرى الصداقة معها كالدولة العباسية والبيزنطية والفاطمية والإمارات الأرمنية والإسلامية في المنطقة. والدليل على هذا هو عدم حدوث مشاكل أفضت إلى القتال بين هذه الدولة الكردية وبين إحدى جاراتها في عهد هذا الملك. وأما الدولة السلجوقية فإنها كانت تطمع في القضاء على الدولة الدوستكية طمعاً من أموال الدوستكيين الطائلة وفي ثروات شعبهم وخيرات بلادهم. ولذا كانت تقوم باستفزازها ولتهديدها حتى قضت عليها نهائياً وأغرقت البلاد في الظلم

www.alkottob.com

والبؤس والشقاء.

وفي مجال الأعمار والبناء أقام نظام الدين آثاراً عمرانياً لا تزال بعضها سالماً حتى الآن منها

وأهمها الجسر الكبير الذي يشاهد الآن على نهر دجلة عند مدينة ديار بكر وذلك في سنة (457هـ 1065م).(298) ومن آثاره أنه بنى أقساماً عديدة من سور فارقين وديار بكر كما بنى برجين عند باب مدينة فارقين الشرقي ونصب عليهما (أو على أحدهما) مرآةً كبيرة عرف ببرج المرآة. ذكره الفارقي، وكذلك ياقوت الحموي في القرن (السابع الهجري- الثالث عشر ميلادي) وبنى نظام الدين أيضاً الطبقة الرابعة من القصر الدوستكي(299)، كما سيأتي التفصيل في موضوع (الحالة العمرانية).

www.alkottob.com

من معالم الحضارة الدوستكية

جسر ديار بكر الكبير الذي قاوم بمتانته عواصف الزمن منذ 935 عاماً

الصورة من AMIDA ص32

وسيأتي نص الكتابة الموجودة حالياً على الجسر المتضمنة تاريخ

www.alkottob.com

تشييده واسم نظام الدين مع اسم البناء واسم المشرف على البناء وذلك في موضوع (الحالة العمرانية) في أواخر الكتاب.

www.alkottob.com

لما توفى نظام الدين (رتب أمر الدولة الوزير أبو طاهر سلامة بن الأنباري، وأحضر ولده الأكبر ناصر الدولة أبا المظفر منصور، وكان ولي عهده وأحضر العلماء والمنجمين وكان وصل إلى خدمة نظام الدين منجم من أفضل علماء النجوم من أهل بغداد يسمى (ابن عيسون) فأخذ الطالع فلم ير جلوس الأمير في الإمارة إلا بعد ثلاثة أيام.

حضر القاضي والشهود والعلماء وأهل الفضل وكبار أهل البلد والقراء والشعراء وأنشدوا قصائد الهناء والولاية ثم أن الأمير نهض ودخل الحجرة الخاصة ودخل الوزير وأهل بيت الإمارة ولبث ساعة وخرج الوزير وقد شق ثيابه ونشر عمامته وخرج ابنه ناصر الدولة (منصور) من غرفته الخاصة وقد غير ثيابه وجلس على الأرض ولبس ثياب العزاء واجتمع الناس والقراء والشعراء وأنشدوا المراثي (وشيع جثمان نظام الدين) .. وفي اليوم الرابع (أي من وفاة نظام الدين) حضر الأمير ناصر الدولة وجلس على التخت وسلم

www.efrin.net
www.alkottob.com

عليه بالإمارة وحضر أعمامه وبنو عمه وأهل بيته وأرباب دولته وخوطب بالإمارة ووسم بالملك...)(300) وهكذا تمت مراسيم تنصيب الأمير منصور في الحكم التي تشبه مراسيم تنصيب والده.

لم يذكر المؤرخون شيئاً عن حالة الدولة في المدة الواقعة بين تسلم الأمير منصور الحكم وبداية زحف السلجوقيين على البلاد لاحتلالها وكل ما قاله الفارقي هو أن الوزير ابن الأنباري دبر الدولة وساس الملك أحسن سياسة مدة. بيد أنه تقدم عند ناصر الدولة (رجل طبيب اسمه "أبو سالم" وكان له حانوت بسوق العطارين وقربه الأمير وحصل عنده في أرقى منزلة وتقدمت زوجته (فريحة بنت فلسطين)عند زوجة الأمير "ست الناس" ولم يزل أمره "أي شأن الطبيب" يعلو ويكبر حتى قبض

www.alkottob.com

هكذا اعتبر الفارقي اقصاء ابن الأنباري من الوزارة ثم سجنه وتعيين أبي سالم في الوزارة خطأ كبيراً ارتكبه ناصر الدولة حتى أنه اعتبر ذلك علامة انحلال الدولة الدوستكية واختلال نظامها.(302) وتوضيح وجه الخطأ هو أن الأنباري كان سياسياً خبيراً بشؤون الدولة ونظمها فكانت له خبرة واسعة كسبها من ممارسته الشخصية لشؤون الدولة مدة وزارته ومن وزارة والده أيضاً بالإضافة إلى حسن سيرته وإخلاصه والإضافة إلى شخصيته إذ أنه كان كوزير وابن وزير - يتمتع في الداخل والخارج بشخصية معروفة محترمة بينما لم يكن للطبيب أبي سالم خبرة كخبرته وشخصية كشخصيته وفوق هذا فإنه كان مسيحياً مما جلب كراهية بعض الناس من المسلمين لناصر الدولة بسبب التعصب الديني وعدم تقديرهم لديمقراطية وعدالة الدولة الدوستكية التي ساوت بين المسلمين والمسيحيين ولعل ناصر الدولة قد أعجب بحذاقة هذا الطبيب وخدماته الكثير للعائلة المالكة وخدماته الكبيرة

www.alkottob.com

التي قام بها سواء في مستشفى فارقين الذي بناه نصر الدولة سنة (414 هـ-1023م) أو في خارجها مع القابلية التي كانت تتجلى في شخصيته فلا شك أن تقدمه عند الملك ووصوله إلى أرقى المناصب إنما كانت نتيجة لقابليته.

www.alkottob.com
www.alkottob.com

الجيوش السلجوقية
تزحف للاستيلاء على الدولة الدوستكية

طالما كان السلجوقيون يسيل لعابهم على أموال الملوك الدوستكيين وثروات شعبهم وخيرات بلادهم الكردية، وطالما كانوا يريدون القضاء على الدولة الدوستكية ولكن كلاً من نصر الدولة وابنه نظام الدين كانا يعرفان المساومة معهم فيرسلان إليهم بين حين وآخر أموالاً ترضيهم وتبعد خطرهم وأما الملك ناصر الدولة فإنه لم يكن يعرف مثل تلك المساومة لشجاعته وعدم مبالاته بنوايا السلاجقة العدوانية بالإضافة إلى طمعه وبخله الشديد وفي سنة (476 هـ 1084م) أثار ابن جهير الذي أقام في أصفهان بعد عزل ابنه عميد الدولة من وزارة الخليفة ببغداد أطماع السلاجقة من جديد في احتلال كردستان الوسطى والقضاء على الدولة الدوستكية ونهب ثرواتها

www.efrin.net
www.alkottob.com

فقال الفارقي بهذا الصدد: (... تحدث (أي ابن جهير) مع خواجا نظام الملك (وزير السلطان ملكشاه) ووصف له البلاد (أي البلاد الدوستكية) وملك بني مروان وذخائرهم وما عندهم من الأموال والجواهر وضمن له أخذ البلاد وأن يحصل من أموالهم ما لا يحصى كثرة فتحدث خواجا مع السلطان وقال له: تلك البلاد قد خلت وبها من الأموال ما لايعد ولا يحد..)(303)

رحب ملكشاه بفكرة خواجا وابن جهير ولا سيما أنه كان متأثراً من ناصر الدولة الذي لم يلب طلبه بسيف موسك وسبحة جده نصر الدولة.

استغل ابن جهير غضب السلطان أو تأثره من ناصر الدولة. حيث ذكر الفارقي أن ابن جهير قد قال لجده (علي بن الأزرق) شخصياً أنه كان حاضراً عند الوزير (نظام الملك) عندما رجع رسول السلطان من عند ناصر الدولة وقد أرسله إليه يطلب منه السيف والسبحة ولكن ناصر الدولة لم يرسل إليه شيئاً يسوى ديناراً .. فوجدت الفرصة واستماع الكلام وبالغت في القول فجهزت العساكر ..)(304) واتفق السلطان وابن جهير على البنود الآتية حسبما استنتجها من كلام المؤرخين:

www.alkottob.com

1- تزويد السلطان ابن جهير بالجيوش الكثيرة وجعله قائداً عاماً عليها.

2- تكون البلاد للسلطان ويكون ابن جهير والياً عليها من قبله.

3- السماح بذكر اسم ابن جهير في الخطبة بجانب اسم الخليفة والسلطان.

4- السماح لابن جهير باصدار النقود ونقش اسمه عليها.

5- إرسال أموال ومجوهرات الدولة الدوستكية إلى السلطان.

وهكذا قرر السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان القضاء على الدولة الدوستكية وجهز الجيوش وأرسلها بقيادة ابن جهير إلى كردستان الوسطى سنة (476 هـ 1084م) ووصلت إليها ودار القتال بين الجيش الدوستكي والسلجوقي.

لما علم السلطان بعجز ابن جهير والقوات الكثيرة التي أرسلها معه من احتلال الدولة الدوستكية، وعلم بمقاومة الجيش الكردي مقاومة بطولية

www.alkottob.com

أرسل في سنة (477 هـ 1085م) قوات كبيرة أخرى بقيادة الأمير (ارتق بن أكسب) نجدة لابن جهير وفي نفس الوقت أو قبيله كان ناصر الدولة قد اتفق مع شرف الدولة (مسلم بن قريش) الذي كانت دولته العقيلية آنذاك تمتد من الموصل إلى حلب، وكان هو يقيم في حلب على الدفاع عن البلاد وصد السلاجقة مقابل إعطاء ناصر الدولة إياه مدينة (آمد - ديار بكر) وتوجه شرف الدولة فعلاً على رأس قواته العربية إلى ديار بكر ليقاتل بجانب الجيش الدوستكي، ولما علم ابن جهير بتكاتف القوات الكردية والعربية أراد أن يتصالح مع ناصر الدولة وشرف الدولة وقال ابن الأثير: (إنه لم يرد أن يحل بالعرب بلاء على يده لأنه كان عربياً من سكان الموصل غير أن التركمان أي السلاجقة لم يرضوا بالصلح وهاجموا قوات شرف الدولة ونشبت بين الطرفين معركة عنيفة اندحرت فيها قوات شرف الدولة الذي استطاع بكل صعوبة أن يدخل مدينة ديار بكر ويتحصن بها بينما استولى السلاجقة على حلل العرب وغنموا أموالهم وسبوا نساءهم وأولادهم! وحاصره كل من أبن جهير والأمير (ارتق)

www.alkottob.com

غير أن شرف الدولة اتصل سراً بالأخير ووعده بمبلغ من المال فإذن له بالخروج من ديار بكر سراً وتوجه إلى مدينة (الرقة). هذا وكانت المعركة في ربيع الأول أي الشهر الثالث من سنة (477 هـ 1085م) بينما كان الزحف إلى البلاد في السنة التي قبلها عند ابن خلدون وابن الأثير وغيرهما ما عدا الفارقي والخزرجي الذين يريان أن الزحف كان في سنة 477 هـ - 1085).(305).

ومن الجدير بالذكر أن القوات الغازية لم تكن عبارة عن القوات السلجوقية فقط، بل كانت تضم قوات أخرى غير السلجوقية قد جمعت من مناطق عديدة وأرسلت إلى المعركة بأوامر السلطان وموافقة الخليفة العباسي في بغداد، كما يبدو فمثلاً كانت مع القوات السلجوقية من قوات أمراء المناطق كما ذكره المؤرخون قوات أمير الحلة (من أواسط العراق) منصور بن مزيد وابنه (صدقة) وقد تأثراً بما أصاب العرب في معركة ديار بكر من القتل والأسر ... فاقتدى سيف الدولة صدقة أسرى العرب ونساءهم وأولادهم وأعطى السلاجقة مبالغ كبيرة من المال ثم رجع هو وأبوه ومع

www.alkottob.com

قواتهما إلى العراق متأثرين كما يظهر.(306) وهكذا يظهر لنا مدى كثرة وضخامة القوات التي هاجمت القوات الدوستكية.

لما بلغ السلطان ملكشاه انهزام شرف الدولة (مسلم) في معركة (ديار بكر) ثم محاصرته في المدينة لم يشك في أسره فعقد العزم على التوجه بنفسه لاحتلال الدولة العقيلية الممتدة من الموصل حتى (حلب) وللقضاء بسرعة على الدولة الدوستكية أيضاً فيضيف إلى دولته مناطق واسعة من كردستان الوسطى وبلاد الجزيرة وشمال سورية حيث لم تكن هذه المناطق تحت الإدارة السلجوقية المباشرة فأرسل كمقدمة لطلائعه جيشاً كبيراً بقيادة عميد الدولة ابن جهير وأمره باحتلال (الموصل) فاحتلها فعلاً بدون قتال.(307)

ثم تحرك ملكشاه سنة (477هـ 1085م) بنفسه على رأس جيش كبير نحو بلاد الجزيرة وكردستان الوسطى، وبينما وصل إلى (بوازيخ) إذ أتاه خبر تمرد أخيه (تكش) بخراسان حيث انتهز هذا فرصة ابتعاد أخيه عن البلاد فقام بالتمرد فقضى هذا الخبر على أمل ملكشاه إذ بات مضطراً إلى الرجوع إلى

www.alkottob.com

الوراء لإخماد التمرد.

ولما وجد السلطان نفسه في ظروف غير محمودة حيث ظهر في الشرق تمرد أخيه بينما أعلن عزمه على احتلال دولة شرف الدولة العقيلية وكشف عن عدائه له لجأ إلى حيلة سياسية لإبعاد شرف الدولة عن مساعدة الدولة الدوستكية وهدم التكاتف بين العرب والأكراد ضد السلجوقيين لا في كردستان الوسطى فحسب وإنما في بلاد الجزيرة أيضاً في وقت يكون هو مشغولاً بإخماد التمرد وبعيد أو غير قادر على مساعدة قواته في الموصل وكردستان الوسطى بنجدات كافية ولاحظ أن التعاون التام بين الدولتين العقيلية والدوستكية يحتمل أن يؤدي إلى فشل قواته في احتلال الدولة الأخيرة أو يؤدي إلى طول أمد المقاومة وإلى إخراج الموصل من أيدي قواته أيضاً مما يسيء إلى سمعته. ونتيجة هذا التقدير الصحيح من قبل ملكشاه للموقف السياسي والعسكري أرسل وفداً إلى شرف الدولة لإحضاره عنده في البوازيخ فحضر عنده وتصالح معه وخلع عليه ثم رجع للقضاء على تمرد أخيه.

إن مصالحة السلطان السلجوقي لم تكن إلا للأسباب التي ذكرناها ولم تكن

www.alkottob.com

مصالحة عن نية خالصة ولذا فإنه عاد سنة (479هـ- 1087م) واستولى على الدولة العقيلية كلها. كما احتلت جيوشه الدولة الدوستكية وبهذا دخلت كردستان الوسطى وبلاد الجزيرة وشمالي سورية تحت نفوذه الفعلي، ولكنه أقطع بعضاً من مدن الجزيرة لمحمد بن شرف الدولة.(374)

كان ابن جهير قد توجه بعد معركة ديار بكر إلى مدينة فارقين لمساعدة القوات المحاصرة لها ومن هناك توجه نحو المدن الشرقية و(خلاط)(375) بينما أرسل ولده (زعيم الرؤساء) إلى ديار بكر للإشراف على حصارها فلا شك أن كافة مدن الدولة كبدليس، وأرزن، وخلاط، وماردين، والجزيرة، وحسنكيف وغيرها من المدن والقلاع الكردية قد أدخلت تحت الحصار السلجوقي، وأولى مدينة مهمة سقطت بأيدي المحتلين هي مدينة ديار بكر التي كانت أحصن مدن كردستان الوسطى وأمنعها. أما كيفية سقوطها فهي أن المحاصرين (أرادوا قلع كرومها وبساتينها ولم يطمعوا مع ذلك في فتحها لحصانتها فعم أهلها الجوع وتعذرت الأقوات وكادوا يهلكون وهم صابرون

www.alkottob.com

على الحصار غير مكترثين به فاتفق أن بعض الجند نزل من السور لحاجة لهم وتركوا أسلحتهم مكانها فصعد إلى ذلك المكان عدد من العامة تقدمهم رجل من السواد (أي من سواد العراق أو من العامة) يعرف بـ (أبي الحسن) فلبس السلاح ونادى بشعار السلطان وفعل من معه كفعله وطلبوا زعيم الرؤساء فأتاهم وملك البلد. واتفق أهل البلد على نهب بيوت النصارى لما كانوا يلقون من نواب بني مروان من الجور والحكم وكان أكثرهم نصارى فانتقموا منهم).(376)

وذكر ابن الأثير أن سقوط ديار بكر كان في شهر محرم سنة (478هـ-1086م) بينما ذكر الفارقي أنه كان في يوم الأربعاء أول شهر (صفر) في السنة نفسها. ولا شك أنه كان لسقوط أمنع مدن الدولة بسبب لامبالاة بعض الجنود الدوستكيين تأثير مر لدى الشعب الكردي غير أنه لم يشل عزائمه فقد أبدى صموداً ومقاومة فعالة في المدن الأخرى.

www.alkottob.com

كانت العاصمة (فارقين) محاصرة من قبل القوات السلجوقية وحضر الحصار للمرة الثانية ابن جهير بعد أن رجع من (خلاط) أو (سعرد ـ سيرت) وقد شدت أزره قوات جديدة وصلت إلى البلاد من قبل الملك السلجوقي للإسراع باحتلالها وكانت هذه القوة التي يقودها خادمه سعد الدولة (كوهر آثين)(377)كبيرة وفعالة كان لها أبلغ الأثر في احتلال فارقين لأنها كما قال الفارقي كانت تشمل على عدد كثير من الرماة فلازموا رمي النشاب حتى لم يقدر أحد من المدافعين أن يظهر رأسه من فوق السور كما هدم السلاجقة أحد أبراج السور وهو برج (باب الربض) تحت حماية الرماة فدخل منه المهاجمون إلى المدينة واحتلوها ودخلها ابن جهير وقبض على الوزير (أبي سالم الطبيب) واستولى على الذخائر والأموال. وذكر أن احتلالها كان ليلة الثلاثاء، اليوم السادس من شهر (جمادى الأولى) سنة (478هـ 1086م) بينما ذكر ابن الأثير أن الاحتلال كان في سادس جمادى الآخرة من السنة نفسها(378).

www.efrin.net
www.alkottob.com

في سنة (478 هـ 1086م) سقطت أيضاً جزيرة بوتان (جزيرة ابن عمر) التي كانت كسائر المدن الكردية تحت الحصار السلجوقي وذكر ابن الأثير الذي نشأ في هذه المدينة بعد احتلالها أنه خانت جماعة ذات قوة ونفوذ في الجزيرة يعرفون بـ (بني وهبان) حيث فتحوا باب الـ (بوبية) وهو باب صغير في سور الجزيرة لا يسلكها إلا الرجالة لأنه يصعد إليه من ظاهر البلد بدرج فكسره (بنو وهبان) وأدخلوا السلاجقة إلى المدينة وانقرضت دولة بني مروان. وقال أن الجزيرة لا تزال تحتل بهذه الطريقة إلى زمنه أي النصف الأول من القرن (السابع الهجري- الثالث عشر ميلادي) (379). وكانت الجزيرة آخر مدينة سقطت بأيدي المحتلين(380) حيث أن المقاومة استمرت فيها حتى بعد احتلال العاصمة وذلك بفضل قيادة واليها الأمير (حسين) بن نصر الدولة بن مروان.

www.efrin.net
www.alkottob.com

لم يتعرض أحد المؤرخين لمصير الملك ناصر الدولة منصور أثناء العمليات العسكرية لاحتلال الدولة فلم يذكروا عنه شيئاً ولكن الفارقي قد ذكر حقائق مهمة عن مصيره ووضع الدولة أثناء الحصار السلجوقي، فقال ان ناصر الدولة قبيل وصول الجيش السلجوقي إلى بلاده توجه إلى أصفهان للتفاهم مع السلطان ملكشاه والتوسل منه من أجل سحب جيشه وعدم الاستيلاء على بلاده، وأنه لم يكن موجوداً في بلاده منذ وصول الجيش السلجوقي إليها حتى سقوط الدولة، ولأهمية الحقائق التي ذكرها الفارقي بالنسبة للموضوع أذكر فيما يلي نص كلامه: (.. فلما قارب (أي ابن جهير) البلاد وسمع ناصر الدولة وتحقق الحال رتب أمر البلاد وسلمها إلى أبي سالم الطبيب وزوجته وأمر الجند والناس بالانقياد إلى أمره وأن لا يخالف. وسار إلى الجزيرة فأقام بها ورتب عمه الأمير (حسين) بن نصر الدولة بـ

www.alkottob.com

(الجزيرة) وأخذ معه جماعة من أهل فارقين منهم الأمير (أبو الهيجاء الروادي)(381) والأمير داود بن الأشكري القرطقي، والرئيس أبو عبد الله بن موسك، وبنو غالب، وبنو عيسى وغيرهم فطلب باب السلطان وقصد (أصفهان) وكان ذلك آخر سنة (477هـ 1085م)).(382) وبعد أن ذكر الفارقي محاصرة الجيش السلجوقي لمدينة ديار بكر وفارقين رجع إلى ذكر محاولات ناصر الدولة مع السلطان فقال:

(وكان الأمير ناصر الدولة بدركات السلطان والناس يسألون السلطان فيه فنفذ (أي أرسل) إليه وقال: نقسم البلاد بيننا وبينك ونعطيك ميافارقين خاصة لك لأنها بيتك وتأخذ آمد (أي مدينة ديار بكر) ونأخذ عوضها الجزيرة وباقي البلاد، نقسمها ونخيرك وتأخذ ما تريد وتكون القسمة نصفين فقال (أي ناصر الدولة) أشاور نفسي).(383)

www.efrin.net
www.alkottob.com

قال الفارقي: (وبات (أي نصر الدولة) ليلته (أي الليلة التي اجتمع فيها بالسلطان) فوصل ركابي من أبي سالم الطبيب ومعه كتاب يقول فيه: (لا تضيق نفسك فالبلاد على الزين ونحن كما توثر (لعله كما تريد) ولو حوصرنا عشر سنين لم نبال ولا تهتم بشيء، فالبلاد مانعة قوية وقد سمعت أنهم طلبوا منك (بعرين) حتى تضاف إلى ديار بكر وربيعة ثم إياك أن فعلت. ولقد اجتهد شرف الدولة (قرواش) حتى يعطيه نصر الدولة (بعرين) وما فعل وقال: أهي الحد من ديار بكر وديار ربيعة؟ وكان هذا سبب الوحشة بينهما (أي بين نصر الدولة وقرواش) فإن ألزمت حتى تعطى فتسلم إليهم قلعة (بالوصا) وهي قلعة على تخوم البلاد وهي على رأس الـ (هرماس) الذي ينزل إلى نصيبين وهي آخر تخوم ديار بكر.

فلما أصبح ناصر الدولة نفذ إلى السطان وقال له:لا أسلم بيتي ولا أخرج عن ملكي.

ولعمري من كان أبو سالم مشيره ومدبر دولته وصاحب رأيه لا أشك أن تكون عاقبة أمره إلى خراب بيته وانقضاء دولته).(384)

www.alkottob.com

هكذا يبدي الفارقي المؤرخ الكردستاني الجليل أسفاً عميقاً على انقراض الدولة الدوستكية التي قضى أجداده أياماً سعيدة وحياة عز وكرامة في ظل عدالتها وأن هجومه على سياسة ناصر الدولة ووزيره أبي سالم إنما كان نابعاً من ذلك الأسف، فنراه يهاجم سياسة ناصر الدولة ويطعنه فيها، ويرى أن دولته بدأت بالانحلال من اليوم الذي عزل وزيره الأنباري وعين أبا سالم الطبيب مكانه. ثم نرى الفارقي في كلام سابق يلقي باللائمة الكبرى على "أبي سالم" ويظهره كشخص غير كفؤ لمنصبه الهام الحساس وشخص لا يملك سوى الرأي الضعيف والتقدير الخاطئ للمواقف السياسية والعسكرية ويجعله مسؤولاً عن الخطأ الأخير الذي ارتكبه "ناصر الدولة" والذي جعل كل شيء يسقط في يده وذلك بكتابه الذي تمسك بمضمونه البعيد عن التقدير الصحيح فرفض ناصر الدولة رأي السلطان المعتدل الذي كان في صالحه رفضاً باتاً وبلهجة خشنة بدون خوف أو وجل، كأنه لم يكن بين براثنه وكأن لم تكن بلاده هي التي تداس تحت أقدام جيوشه التي لا يمكنه قهرها ودحرها.

www.alkottob.com

يعود الفارقي ويهاجم مرة أخرى سياسة ناصر الدولة الفاشلة ورأيه الضعيف وسلوكه

غير اللائق في بلاط السلطان ومخالفته له ولأمرائه بشكل صبياني لم يجرأ عليه غيره ولم يقبل من أحد غيره حتى من أصحاب السلطان المقربين فيقول بعد أن ذكر كيفية سقوط الدولة بكاملها ما نصه: (وأما ما كان من الأمير ناصر الدولة منصور فإنه لما بلغه من فتح البلاد قامت عليه القيامة وكانت السعادة قد انتهت وكان يجري منه سوء الرأي والتدبير بدركات السلطان أشياء من اللجاج ومخالفة الامراء والسلطان وأصحابه ما لا يليق بالصبيان. وما كان يقبل من أحد من أصحابه ولعمري! هكذا يكون آخر الدول وانقراضها. ولما أخذت البلاد منه نفذ إليه السلطان وقال له: (انظر ما تريد عوض بلادك حتى أعطيك؟ فقال (أي ناصر الدولة)" حربة تقع في صدري تخرج من ظهري! فقيل للسلطان قد طلب (حربي) فأقطعه القرية المعروفةبـ (حربي) من بلد العراق فوق بغداد وارتفاعها ثلاثون ألف دينار أميرية. فمضى وأقام بها إلى أن مات السلطان ملكشاه).(385)

www.alkottob.com

هكذا رفض ناصر الدولة وأبى أن يطلب من السلطان بلداً عوض بلاده الكردية التي فطم بحبها ونشأ وتربى تحت ظلالها وحنانها. تلك البلاد التي بها كان عزه ومجده، وبها كان مجد آبائه وكرامة شعبه ففضل ناصر الدولة القتل بحربة السلطان على اقطاعاته بل فضله على حياة المذلة فأجاب السلطان قائلاً: أريد حربة تقع في صدري وتخرج من ظهري، ولكن السلطان لم يفهم كلامه جيداً ولعله استفسر عن فهمه فأجابه الحاضرون بسرعة: أن ناصر الدولة يطلب قرية "حربى" تورية لكلامه حتى لا يغضب السلطان فينزل به العقاب الأليم.

وأخيراً ذهب ناصر الدولة إلى قرية "حربى"(386) ليقترب من وطنه فعسى أن يستنشق هواء كردستان العليل الذي تنحدر موجاته إلى أرض العراق ويستأنس بالذكريات الحلوة والخيال الدافئ التي يحملها له يومياً نهر دجلة بين أمواجه المتلاطمة الجميلة ويجلها له من أرض ديار بكر ومن موطن المجد التليد.

هكذا سقطت الدولة الدوستكية وانتهت أيامها على أيدي السلاجقة ولكن

www.alkottob.com

بعد دفاع مجيد وبطولة فائقة ومقاومة دامت من سنة (476هـ 1084م) إلى النصف الأخير من سنة (478هـ 1086م). وإن هذه المقاومة البطولية لم تكن في حسبان السلطان السلجوقي ولا في حسبان وزيره وقادته حيث أن ابن جهير قد بالغ في الاستهانة بقوة الدولة الدوستكية لدى السلطان ووزيره خواجا (نظام الملك الطوسي) ليستجيب السلطان طلبه ويرسل معه الجيوش ثم يساعده بالنجدات.

نعم إن مقاومة الدولة الدوستكية وشعبها الكردي كانت بطولية لم تكن في حسبان السلطان ... إذ قلما تجد في تاريخ الدولة السلجوقية، وهي في شرخ شبابها دولة صغيرة (نسبياً) كالدولة الدوستكية استطاعت أن تقاومها مثل مقاومتها، وأن تصمد أمامها مثل صمودها ولا سيما في حالة غياب الملك عن بلاده. وإذا نظرنا بعين الاعتبار إلى غياب الملك منصور عن بلاده وعدم إشرافه على عمليات المقاومة والدفاع خلال المدة كلها لظهر لنا مدى إخلاص الجيش الدوستكي ومدى استعداد الشعب الكردي للدفاع عن دولته، ولتجلت لنا مدى أهمية تلك المقاومة ومغزاها البعيد.

www.efrin.net
www.alkottob.com

أما ذهاب الملك المنصور إلى أصفهان وبقائه لدى السلطان خلال مدة الحصار والمقاومة فشيء غريب جداً فكيف اجترأ الملك الدوستكي على الذهاب إلى السلطان في حين قرر مقاومة جيوشه وعدم التسليم له ثم كيف أن السلطان لم يتعرض إلى شخصه بأي أذى سواء بحبسه أو بحمله وإجباره على ارسال الأوامر والبيانات إلى جيوشه وأمراء دولته بالاستسلام لقوات السلطان. علماً أن ملكشاه ووالده آلب ارسلان قد فازا بثناء المؤرخين وتقديرهم وعرفا في التاريخ بحسن السياسة ودماثة الخلق ولكنهما مدينان لوزيرهما داهية عصره نظام الملك الطوسي الفارسي، موجه سياسة الدولة السلجوقية في عهدهما ولولبها الفعال.

إن خزائن الدولة الدوستكية وأموال ومجوهرات الدوستكيين كانت قد بلغت شهرة عالية في الخارج حتى أصبحت مطمع أنظار السلجوقيين الذين

www.alkottob.com

قضوا على الدولة لنهب تلك الخزائن والأموال الكثيرة وابتلاع تلك المجوهرات الثمينة وكان ابن جهير -بحكم بقائه وزيراً للدولة الوستكية مدة غير قليلة- مطلعاً على خزائنها وثرواتها ومجوهرات العائلة المالكة فلما احتل البلاد بادر فوراً بالاستيلاء عليها. فاستولى على قسم غير قليل منها ومن جملتها سبحة نصر الدولة العظيمة. وكان ابن جهير يرسل من تلك الأموال إلى السلطان ملكشاه في أصفهان دفعة بعد دفعة. وأرسل إليه الدفعة الأولى مع ابنه (زعيم الرؤساء) و(كوهر آثين) عن طريق بغداد كما أرسل إليه دفعات أخرى عن طريق دجلة المائي، حيث كانت تصل إلى بغداد ثم ترسل إلى أصفهان في إيران وكان يسلمها أحياناً إلى (علي بن الأزرق) جد مؤرخنا أحمد بن يوسف الفارقي وكان موظفاً بـ (حصن كيفا) وقد تحدث الفارقي عن استيلاء ابن جهير على خزائن الدولة فقال:

(... وترتب العمال والمتصرفون في ديار بكر (أي من قبل ابن جهير) وبقيت الأموال يجبى إليه وكان مقامه بـ (ميافارقين)، وولده الزعيم بـ (آمد) ... وأخذ خزائن بيت مروان من كل جنس ومن كل صنف .. وكان يحضر لديه

www.alkottob.com

جدي من (حصن كيفا) ويحمل ما يحمله إلى حصن كيفا ويسلمه إلى قوم ثقات ويحملونه في الماء إلى (عميد الدولة) (أي ابن جهير) ببغداد وهو في وزارة الخليفة المقتدي(387). ولقد سمعت والدي يحكي عن أبيه رحمهما الله قال: نفذ الوزير (أي ابن جهير) استدعاني بعض الأوقات فوصلت إليه من حصن كيفا فلما دخلت عليه سلمت فرد عليّ السلام وقال:

(يا علي النوبة حملك خفيف ثم سلم إليّ مائدة بللور دورها خمسة أشبار وقوائمها منها وخمس قطع زبادي بللور، وزوج صحون بللور، وثلاث حليات، وخمس أقداح برسم الشراب، وشربة وشرابي وكلاجو الجميع بللور منقوش محفور فيه صناعة لم ير أحسن منها وأخرج إليّ حقة ذهب ففتح غطاءها ورفع منها قطناً فخرج من الحقة مثل شعاع الشمس ما أضاء له الموضع، وأخرج (السبحة) التي كانت لنصر الدولة وكانت مائة وأربعين قطعة لؤلؤ القطعة منها وزنها مثقال ما زاد قيراط أو نقص قيراط وفي أوسطها (الحبل الياقوت) الأحمر الذي حمله (الملك العزيز) بن بويه لنصر الدولة وفيها عشر قطع ياقوت ملون وعشر قطع بلخش لم ير مثلها وعشر

www.alkottob.com

قصبات زمرد القصبة مثل الأصبع(388).

قال الوزير: يا علي هذه (أي السبحة) كانت سبب خراب بيت مروان وخروج البلاد من أيديهم. فقلت وكيف يامولاي!؟ فقال لما مات نصر الدولة أطلع السلطان أنه خلف من الأموال ما لا يعد ولا يحد وخلف (سبحة) حالها كذا وكذا وخلف سيفاً أخذه من (موسك) يدبه البعير (أي يمشي عليه البعير لعرضه وكبره؟)(389) فنفذ السلطان الب ارسلان إلى نظام الدين يطلب السيف والسبحة فنفذ إليه سيفاً غير السيف وعقود حب وتحف وهدايا لها قيمة وحلف أنه لم ير السبحة ولم تظهر. فلما مات نظام الدين وولى الأمير ناصر الدولة منصور نفذ السلطان (ملك شاه) يطلب منه السيف والسبحة فحلف له أنه لم يرهما ولم تسمح نفسه أن ينفذ للسلطان شيئاً يساوي ديناراً فاتفق وصول الرسول (أي من عند نصر الدولة) وكنت حاضراً عند الخواجا نظام الملك .. فقلت يامولانا وكم قيمتها (أي قيمة السبحة فقال: (...وحسبت جملة مشتراها وكان غير الحبل الياقوت مائتين وخمسة عشر ألف دينار !...

قال جدي فأخذت الجميع إلى (حصن كيفا) ووصلت إلى رجل من بيت (ابي

www.efrin.net
www.alkottob.com

العقارب) فتسلم الجميع ونزل إلى بغداد وسلمه إلى عميد الدولة)(390).

فإذا كانت هذه جزءاً قليلاً من مجوهرات الأسرة الدوستكية المالكة والحمل الخفيف لجد الفارقي في هذه المرة فما هو مقدار المجوهرات كلها أو المقدار الذي وقع في قبضة ابن جهير!؟.

أما المبالغ النقدية التي وقعت في يده وأخذها من الوزير (الفضل أبي سالم) فقط والتي أعلن عنها ابن جهير فكانت مليونيّ دينار علماً بأن أبا سالم قد أخفى مبالغ كثيرة عند الناس لم يظفر بها ابن جهير كما أن الأخير لم يعلن عن كل المبالغ التي وضع عليها يده. واستولى فخر الدولة على أموال بيت مروان وأخذ من ذلك من أبي سالم الطبيب غير ما أخذه أبو سالم وأودعه عند الناس ما قدره ألفي ألفي دينار عيناً سوى الآنية والاعلاق وآلات من ذهب وفضة وجواهر ما له قيمة كبيرة(391).

لقد ذكرنا أن ابن جهير قد أرسل إلى السلطان -كما كانت الاتفاقية- مبالغ طائلة من أموال الدولة الدوستكية، كما ذكر الفارقي نماذج منها ولكنه قد

www.alkottob.com

أخفى في الوقت نفسه من الأموال والمجوهرات ما لا يقل عن نصيب السلطان إن لم يكن بأكثر منه. وكان يخشى أن يفشي سره هذا إليه ولهذا قبض على الوزير أبي طاهر سلامة بن الأنباري وكان قد أطلق سراحه من السجن حينما استولى على البلاد وأمر واليه المسمى بـ (ياقوت) وجد الفارقي ناظر حسنكه يفي بقتل الأنباري بناءً على نصائح بعض أصدقائه حيث خوفوه من احتمال ذهاب الأنباري إلى السلطان وإعلامه بما أخفاه من أموال لما كان مطلعاً على خزائن الدولة ونفائسها. أما جد الفارقي فإنه توجه إلى ابن جهير في فارقين والتمس منه التراجع عن قتل الأنباري وتعهد له بأنه يخفيه عنده ويعلن للناس وفاته فاقتنع ابن جهير ولما عاد على ابن الأزرق جد الفارقي إلى (حسنكه يفي) (أظهر أياماً أنه (أي الانباري مريض وعاده جماعة من الناس والأطباء ثم أنه ذات يوم أظهر موته وأخرج جنازته وصلى عليه الناس وأخذ بذلك محضراً وأثبته عند الحاكم ...) وأرسل كتاباً بموته إلى فارقين حيث ثبت موته في بغداد واصفهان وظل الانباري مختفياً عند جد الفارقي وياقوت إلى أن عزل السلطان ابن جهير سنة (479هـ 1087م) لما بلغه من اخفائه

www.alkottob.com

الأموال الدوستكية وعين في محله والياً العالم العميد (أبا علي البلخي)(392).

وهكذا لم تحقق آمال ابن جهير بشكل كامل، كما كان يتخيلها وتوفي في الموصل سنة (483 هـ 1090م) عن عمر يناهز (85) عاماً.

قلعة خربوث من قلاع كردستان التاريخية الشامخة في وجه الزمن

يرجع تاريخها إلى الألف الأول قبل الميلاد وإلى عهد حكومة أورارتو (خالدي) وفي ولاية خربوت (آلزكك ـ العزيز ـ حصن زياد) عدد من القلاع الكردية منها قلعة بالو التي فوقها كتابات مسمارية لملك أورارتو مينوآس (القرن السابع قبل الميلاد) ومنها قلعة باغ الواقعة عند قرية قره قوجان على

www.alkottob.com

ضفة نهر به ري وعليها كتابات مسمارية لمينوآس. أما قلعة توميسا فكانت عليها كتابات رومانية نقلت إلى متحف خربوت. أما قلعة شمشاط (آرسموسات) فلم يبق منها غير صخور متناثرة على ضفة نهر موراد.

والتفاصيل في كتاب:

HARPUT TARIHI - ISTANBUL - 1964/NUREDDIN ARDIC OGLU.

برج أثري رائع في ملاطية

www.alkottob.com

يعود إلى العهد الروماني أو البيزنطي علماً أن ملاطية القديمة من المدن الأثرية المهمة، فعثرت فيها نتيجة التحريات الأثرية التي أجريت فيها سنة 1870 والتي قام بها (دولابورت) لمدة أربع سنوات ابتداء من 1933 على تماثيل وآثار مهمة للحثيين وأرارتو والآشوريين والبيزنطيين مما لا مجال لذكرها هنا. أما نفوس المدينة فبلغت سنة 1965 (104000) نسمة.

الصورة من : Malatya 1938

الملك المنصور يحرر بلاده ويحي الدولة الدوستكية

www.alkottob.com

كان ناصر الدولة منصور مقيماً في قرية (حربي) فوق بغداد في سنة (478هـ-1086م) وكان يترقب فرصة لاسترجاع بلاده الكردية واحياء دولته، وقد أتته تلك الفرصة بوفاة السلطان (ملكشاه) في سنة (485هـ 1093م) فتوجه إلى كردستان واسترجع أولاً مدينة (الجزيرة). ولما استقر به المقام فيها اتخذها قاعدة لاتصالاته بالشعب الكردي في المدن والمناطق التي كانت في إطار الدولة سابقاً لتحرير البلاد واحياء الدولة.

كانت مدينة فارقين تتمتع بمركزها المهم. فقد كانت عاصمة الدولة الكردية ومن بعدها استمرت عاصمة اقليمية أيضاً وبعد وفاة ملكشاه اتصل المتنفذون من سكانها بالسلطان الجديد (بركياروق) أبن ملكشاه وطلبوا منه الحضور إلى فارقين لتسلم البلاد أو يرسل إليهم نائباً له فوعدهم بالحضور

www.efrin.net
www.alkottob.com

ولكن مشاكله الداخليه لم تمنحه فرصة لذلك فاختلف سكان المدينة في الرأي فكره فريق منهم اعادة الحكم الدوستكي لما وجدوا من عدالة ابن جهير والسلطان (حسب قول الفارقي). بينما كان الفريق الآخر ولعله الأكثرية يريد احضار ناصر الدولة وتسليم المدينة إليه. ولم يتمكن أحد من المحافظة على الوضع في المدينة سوى العالم الشاعر الشجاع (ابن الأسد) الفارقي حيث جمع حوله معظم السكان ولا سيما الطبقة الكادحة والشبان وأخذ يحكم المدينة ويحافظ على أمنها وعلى حراسة سورها.

(.. وكان ابن الأسد رجلاً شاعراً أديباً وله جمع وتلامذة وجماعة التقوا به واجتمع عليه جماعة من السوقة والرعاع والشباب والجهال وحصل يدور في المدينة ويحفظ سور البلد)(393). فاتصل ناصر الدولة من الجزيرة بالشاعر الشيخ أبي نصر ابن الأسد الذي كان يملك الجرأة وثقة الجماهير الشعبية ووعده بالوزارة فيما إذا سلم إليه المدينة وساعده على إحياء الدولة الدوستكية فلبى الشاعر طلبه فتوجه ناصر الدولة من الجزيرة إلى فارقين ودخلها في أول سنة (486هـ 1094م) واتخذها كالسابق عاصمة للدولة كما

www.alkottob.com

اتخذ ابن الأسد وزيراً له ولقبه بـ (محي الدين)(394).

ومن الجدير بالذكر أن الفارقي الذي انفرد وحده من بين المؤرخين بالبحث عن إحياء الدولة لم يوضح هل أن نفوذ الدولة شمل كل الأراضي التي كانت تحت سيطرتها سابقاً أو أنه شمل المناطق الممتدة من شرقي الجزيرة إلى شمال فارقين؟. ومن المحتمل أنها لم تتمكن في هذه الفترة القصيرة أن تسترجع كل الأراضي السابقة من اردیش إلى نهر الفرات .. ولكنها كانت في طريق التوسع وكان توسعها كما يظهر سلمياً وبدون قتال حيث كان السكان يؤيدون الملك ناصر الدولة ويرحبون بإحياء الدولة الدوستكية فإنه استطاع خلال شهرين أن يبسط نفوذه من شرقي الجزيرة إلى شمال فارقين وديار بكر(395).

بوفاة السلطان ملكشاه ونشوب النزاع على السلطة بين أطراف ثلاثة

www.efrin.net
www.alkottob.com

نشأت ظروف جديدة في المنطقة أدت إلى انتعاش وإلى إحياء عدد من الإمارات والدول الصغيرة التي ابتلعتها الدولة السلجوقية كالدولة الدوستكية والدولة العقيلية إلا أن قيام السلطان (تتش) أخى ملكشاه وتحركه من دمشق نحو البلاد الشرقية التي كانت لأخيه معلناً عن مطامعه وعزمه في الوصول إلى السلطة خليفة لأخيه . قد أقصر تلك الظروف وبترها حيث قضى (تتش) على الدولتين المذكورتين وقام بأعمال فظيعة وجرائم بشعة فتحرك من دمشق واحتل حلب وجميع المدن الواقعة في طريقه كالرقة وحران وسروج حتى وصل إلى مدينة (نصيبين) وضرب عليها الحصار.

اتفق ناصر الدولة منصور والأمير ابراهيم بن قريش حاكم الموصل وأمير بني عقيل على صد زحف تتش والدفاع عن بلادهما. فأرسل الملك المنصور جيشاً كردياً تحت قيادة عمه الأمير (حسين) بن نصر الدولة وانضم

www.alkottob.com

هذا الجيش إلى القوات العربية فخاض العرب والأكراد معركة عنيفة ضد قوات تتش الكبيرة دفاعاً عن حريتهم واستقلال بلادهم، ولكن المعركة أسفرت عن هزيمة القوات الكردية والعربية هزيمة خاسرة حيث أسر فيها كثير من قادتها حتى الأمير حسين والأمير ابراهيم نتيجة تفوق قوات تتش في عددها. وقال ابن القلانسي أن المعركة نشبت في الثاني من ربيع الأول (486 هـ 1094م) على نهر الهرماس الذي يمر في نصيبين وبلغ عدد القتلى عشرة آلاف قتيل واستولى السلب والنهب على أموال العرب حتى بيع الجمل بدينار واحد، ومائة شاة بدينار واحد ولم يشاهد أبشع من هذه الواقعة ولا أشنع منها في هذا الزمان وقتل بعض نساء العرب أنفسهن خوفاً من هتك حرماتهن من قبل السلاجقة ولما عادوا بالأسرى ألقى بعضهم أنفسهم في الفرات (ذيل تاريخ دمشق ص123).

وقال ابن الأثير في هذا الصدد: ان الأتراك نهبوا أموال العرب وما معهم وخافت نساؤهم من السبي ولذا قتلت كثير من النساء أنفسهن خوفاً من السبي والفضيحة. وذكر أن المعركة نشبت في (المضيع) من أعمال الموصل

www.alkottob.com

في شهر ربيع الأول من سنة (486 هـ 1094م). واحتل تتش الموصل واستناب بها على بن شرف الدولة مسلم وأمه صفية عمة تتش.(396)

أما الفارقي فقال أيضاً بصدد المعركة أن تتش قد: (... قتل عشرين أميراً بين يديه صبرا منهم الأمير ابراهيم بن قريش .. والأمير حسين بن نصر الدولة بن مروان وجماعة من أكابر الأمراء والعرب ...)(397)

أما مدينة (نصيبين) فإنها قاومت مقاومة بطولية ولكنها سقطت أخيراً بيد تتش الذي قام فيها بأعمال فظيعة جداً وجرائم بشعة من القتل وأسر النساء وسبيهن حتى يرهب بهذه الفظائع سكان المدن الأخرى فقال الفارقي بصدد احتلال (نصيبين- نسيبين) وأعمال تتش الإجرامية ما يلي:(... فتحها عنوة وقتل خلقاً عظيماً .. وقتل من أهلها ما لا يحصى ونهب البلد أجمع وسبى النساء وجرى على أهل نصيبين ما لم يجر مثله على الكفار).(398)

وأسهب ابن القلانسي في ذكر الفظائع التي ارتكبها السلاجقة في نصيبين من النيل من شرف النساء وسبيهن ما يخجل من ذكرها. ففعل تتش (ما لا يستحله مسلم ولا يستحسن كافر ...)(399).

www.efrin.net
www.alkottob.com

بعد أن احتل تتش بن آلب أرسلان مدينة نصيبين وانتصر في معركة (المضيع) الحاسمة واحتل الموصل لم ينحدر إلى بغداد كما كان مقرراً وإنما عطف متوجهاً بقواته الكبيرة إلى العاصمة الدوستكية لاحتلالها ووصل إلى إقليم ديار بكر فاحتل أولاً مدينة ديار بكر ثم احتل العاصمة فارقين واحتل المدن والمناطق الأخرى وتوجه عن طريق (بدليس- خلاط- وان) إلى أذربيجان فقاتل (بركياروق) ابن ملكشاه ولكنه انهزم ورجع إلى بلاد الشام بينما استولى (بركياروق) على كردستان الوسطى واقليم الجزيرة ودخل بغداد ظافراً.

وبصدد احتلال تتش مدينة فارقين وما آل إليه مصير الملك منصور قال الفارقي: (...ثم سار بعد أن فتح آمد ووصل إلى ميافارقين ونزل على رأس رابية (باقوسي) وكان معه خلق عظيم فتقدموا إلى البلد وراسلهم وخوفهم مما جرى على أهل نصيبين. ثم إن السلطان ركب ونزل من الرابية وتقدم

www.alkottob.com

وقصد (برج علي بن وهب) فحين رآه الناس صاحوا بأسرهم وسلموا البلد ودخل من يومه في شهر ربيع الأول سنة(486 هـ 1094م). وخرج الأمير منصور من باب الهوة ونزل في مخيم (أبي النجم) وزير السلطان واستجار بالأمير الحاجب. وكان مدة ولايته الأخيرة خمسة أشهر ..).(400).

هكذا زالت من الوجود الدولة الدوستكية الكردية التي كانت أكبر الدول أو الدويلات الكردية التي أسست في العصور الإسلامية وأعظمها شأناً في قوتها وفي نظمها وحضارتها وذلك بعد أن عاشت مائة وست سنوات (106).(401) واعتبر كرزي أوغلو محمد فخر الدين تأسيس الدولة من (975م) وسقوطها في (1085) فاعتبر عمرها (110) سنوات، ولكنه لم يأت بمعلومات وأدلة على ذلك في كتابه "الأكراد" الذي ألفه باللغة التركية وطبعه في أنقرة سنة (1964) علماً أن المصدر الوحيد الذي أشار إليه هو تاريخ ابن الأزرق الفارقي.(402)

www.alkottob.com

لا شك أن لكل نجاح أو فشل سبباً أو أسباباً عديدة تستحق الدراسة بكل إمعان ولاسيما إذا كان ذلك النجاح أو الفشل يتعلق بأمور مهمة كنشوء دولة أو سقوط دولة. وقد بينت في أوائل الكتاب أسباب نشوء الدولة الدوستكية. وأوضح هنا أسباب سقوطها بعد دراستي للظروف والأوضاع السياسية والعسكرية والاجتماعية في كردستان والبلاد المجاورة لها آنذاك والتي لها علاقة بسقوط الدولة مباشرة أو غير مباشرة. وفيما يلي أسباب سقوطها الداخلية والخارجية:

1- عدم نضج الأمير ناصر الدولة السياسي وضعف كفاءته السياسية لحكم الدولة وإدارة شؤونها.

لقد انتقد الفارقي ناصر الدولة أكثر من مرة، وبيّن بعضاً من أخطائه وفي مقدمتها عزل الوزير الأنباري وتفويض شؤون الدولة إلى الطبيب (أبي سالم) ثم عدم قبوله اقتراح السلطان ملكشاه الرامي إلى تقسيم البلاد الدوستكية وتخييره إياه انتقاء المدن والمناطق التي يفضلها على

www.alkottob.com

غيرها لنفسه هذا الاقتراح الذي كان في صالحه كثيراً، إذ أن السلطان لم يكن يعدل نهائياً عن قرار الاحتلال. ومن أخطائه أيضاً مبادرته العداء لـ (تتش) وعدم التفاهم معه.

لا شك أن هذه الأخطاء تعكس عدم نضج ناصر الدولة وقلة كفاءته السياسية وضعف رأيه وسوء تدبيره لاسيما في سياسته الخارجية فلم يكن ملكاً فطناً بصيراً كوالده وجده.

2- عدم كفاءة الوزير أبي سالم الطبيب للمهمة الجسيمة الملقاة على عاتقه وعدم نضجه السياسي أيضاً وينعكس ذلك من رسالته التي أرسلها أثناء الحصار إلى ناصر الدولة في أصفهان فلقد ضمنها تقديره الخاطئ للموقف العسكري، فزعم أن الدولة تقدر أن تقاوم أكثر من عشر سنوات، كما أنه حث ناصر الدولة فيها على اتخاذ موقف سلبي جامد في مفاوضاته مع الملك السلجوقي، وعدم التنازل عن شبر واحد من أرضه واتخاذ موقف صلب عنيد في حين أنه كان بين يديه وكانت بلاده محاصرة بجحافله. وقد خدع ناصر الدولة بمضمون رسالته فرفض

www.alkottob.com

(اقتراح التقسيم) ورد على السلطان بقوله الخشن (لا أسلم بيتي ولا أخرج عن ملكي).

وقد انتقد الفارقي أبا سالم كثيراً واعتبر وجوده في المركز الحساس أكبر أسباب سقوط الدولة وعلامة انحلالها فقال: (... ولعمري من كان أبو سالم مشيره ومدبر دولته وصاحب رأيه لاشك أن تكون عاقبة أمره إلى خراب بيته وانقضاء دولته).(403)

3- سوء الإدارة:ذكر عدد من المؤرخين كابن الأثير وابن خلدون وابن كثير عند ذكر سقوط مدينة ديار بكر (آمد) أن سكان هذه المدينة نهبوا أموال المسيحيين الموجودين فيها وانتقموا منهم حيث أن معظم عمال بني مروان كانوا منهم وكانوا يظلمون السكان(404) مما يدل على سوء الإدارة أو أنها لم تكن على ما كانت عليه سابقاً من العدالة. وقد ذكرت في مكان سابق أنه من المحتمل أن تكون هذه التهمة الموجهة إلى الموظفين المسيحيين إنما نشأت عن كراهية بعض المسلمين لهم بدافع التعصب الديني لاسيما عندما وجدوا أن معظم موظفي الدولة منهم حتى

www.efrin.net
www.alkottob.com

الوزير أبي سالم المسيحي.

هذا ويحتمل أن يستدل بعض على سوء الإدارة بما ذكره الفارقي من أن سكان فارقين بعد أن طلبوا من السلطان بركياروق ابن ملكشاه الحضور إلى فارقين أو إرسال أحد من قبله لتسلم المدينة ثم يئسوا منه عزم فريق منهم على إحضار ناصر الدولة من الجزيرة وتسليم المدينة إليه ولكن فريقاً آخر رفض ذلك (فكره الناس ولاية بيت مروان لأنهم عاينوا من دولة السلطان وعدل ابن جهير كل خير ...)(405) ولكن إذا أمعنا النظر في تفاصيل ما قاله الفارقي نرى أن الذين رفضوا ذلك وأحبوا الحكم السلجوقي إنما هم كبار رجال الدين وفي مقدمتهم القاضي أبو بكر بن صدقة. فذكر الفارقي أن وفداً متكوناً من القاضي والشيخ أبي سالم بن المحور (الذي فوض إليه القاضي وأتباعه السلطة في المدينة مؤقتاً)، ومن أبي عبد الله ابن زيدان، وابن مساعد (ونعلم أنهما من كبار رجال الدين حيث رشحا نفسهما للقضاء بعد وفاة القاضي سنة (490هـ 1097م)، وما ابن بلك وجماعة آخرين قد ذهب (أي الوفد) إلى تاج الدولة تتش لإحضاره إلى البلاد لتسلمها وظل أعضاء هذا

www.alkottob.com

الوفد معه إلى أن جاء بعد عدة أشهر واستولى على فارقين كما مر التفصيل.(406)

وأقول إن هذا لا يدل على كراهية الشعب لإعادة الحكم الدوستكي، لأن تلك الفئة من كبار رجال الدين لم تكن تمثل الشعب. إذ أن رجال الدين لا في كردستان فحسب بل في العراق وإيران وغيرها كانوا منذ عهد ألب أرسلان يؤيدون بكل حرارة الحكم السلجوقي وكانوا من أخلص مؤيديه وذلك لتشجيع الدولة السلجوقية في عهد ألب أرسلان وابنه ملكشاه العلم ولتقدير العلماء وقد كان ذلك من صلب سياسة وزيرهما نظام الملك الطوسي الذي كان يغدق الأموال على رجال الدين في طول البلاد وعرضها ويكثر من فتح المدارس حتى أنه فتح مدرسة في مدينة الجزيرة نفسها(407) وكان الوزير يصرف سنوياً (600.000) دينار على العلماء وعلى إنشاء المدارس. ولما سأله ملكشاه عن أسرافه في هذا الإنفاق بينما يمكن أن تستفيد الدولة من تلك المبالغ في طرق أخرى وجه إليه الوزير قوله المشهور (أعلم يا ولدي أني كونت لك جيشاً في البلاد يحرسونها عندما تكون نائماً) وكان يقصد بالجيش

www.alkottob.com

أهل العلم. ولهذا لا يستغرب أن يقف رجال الدين بجانب الحكم السلجوقي حتى بعد وفاة ملكشاه ويرفضون حكماً آخر مهما كان في صالح الشعب.

هذا وفي الوقت الذي كان القاضي يتزعم الفقهاء وله نفوذ بين الأغنياء وكان تلميذ أبي عبد الله الكازروني الذي نشر المذهب الشافعي في كردستان الوسطى في عهد نصر الدولة كما كان له (أي للقاضي) تلامذة وأتباع كما سيأتي التفصيل في موضوع الحياة الثقافية. في هذا الوقت الذي كان القاضي وأتباعه يؤيدون الحكم السلجوقي كان الشاعر ابن الأسد الفارقي يتزعم التيار المعاكس والحركة أو الحزب المؤيد لإعادة الحكم الدوستكي والمعارض للحكم السلجوقي وكان الشاعر الجريء يقود تلامذته وأتباعه ويقود الشباب والطبقة الكادحة. فاستولى على السلطة في فارقين أثناء غياب القاضي وابن محور وبالأحرى أثناء ذهاب الوفد إلى تتش بن ألب أرسلان واستدعى ناصر الدولة منصوراً من الجزيرة وسلم إليه فارقين وأصبح ابن الأسد وزيراً للدولة الدوستكية. (وأتفقت ميافارقين خالية من الأكابر والمقدمين)(**408**).

وهكذا نعلم أن الفارقي يقصد بالأكابر ... القاضي وأنصاره الذين توجهوا إلى

www.efrin.net

www.alkottob.com

تتش الذي ارتكب جرائم بشعة وفظيعة في نصيبين وإثر معركة المضيع ليدخلوا كردستان الوسطى في قبضة ذلك الطاغي الجائر، كما أن المقصود بالسوقة والرعاع والشباب والجهال في قوله: (وكان ابن الأسد بميافارقين رجلاً شاعراً وأديباً له جمع وتلامذة وجماعة التقوا به واجتمع إليه جماعة من السوقة والرعاع والشباب والجهل ...)(409) إن المقصود هو الطبقة الناشئة والكادحة والوطنيون الواعون الذين يكرهون الحكم السلجوقي ويؤيدون إعادة الحكم الدوستكي الوطني الكردي. وهكذا أرى أن القاضي أبا بكر بن صدقة الذي وصفه الفارقي بأنه كان (رجلاً جلداً مقداماً من الرجال عالماً ودخل إلى دركات السلطان وناظر (المشطب) مدرس أصفهان وحضر ديوان الخلافة)(410). كان في تاريخ كردستان القديم شخصاً شبيهاً بالشيخ إدريس البدليسي وملا محمد خطى في تاريخ كردستان الحديث.

4- بخل الملك وطمعه الشديد: كان ناصر الدولة ملكاً بخيلاً طماعاً بصورة مضرة. فقد قال ابن الأثير عند البحث عن وفاته: (وكان منصور شجاعاً شديد البخل وله في البخل حكايات عجيبة).(411)

www.efrin.net
www.alkottob.com

لاشك أن بخلاً كبخل أشعب ينقص من قيمة الملك في الداخل والخارج، وربما يجلب عليه ضرراً كبيراً في حين أن الملك يجب أن يكون سخياً جواداً يجزل العطاء ويغدق الأموال على أمرائه وقادته وأصحابه ويساعد الفقراء والمحتاجين ويرسل الهدايا إلى الملوك والزعماء حتى يكثر أصدقاءه في الخارج فيدافعوا عنه مادياً أو معنوياً في الظروف الحرجة.

إن بخل ناصر الدولة منصور قد أصبح أحد أسباب سقوط دولته. إذ أن بخله لم يطعه في تلبية طلب السلطان ملكشاه إهداءه سبحة جده نصر الدولة وسيف الأمير البوتاني (موسك) فيكسب بذلك عطفه وتقديره ويبعد به الخطر السلجوقي. بل على العكس من هنا فقد صرف رسول السلطان صفر اليدين بصورة مخزية بملك غني مثله حتى أنه لم يرسل إليه هدية بقيمة دينار واحد، مما أثار سخطه ونقمته فاستغل ابن جهير ذلك السخط وطلب منه المساعدة العسكرية لاحتلال الدولة الدوستكية. وقد صرّح ابن جهير بعد الاحتلال لعلي بن الأزرق جد الفارقي: أن السيف والسبحة أصبحا هكذا سبب خراب دولة بني مروان. وقد مر كلام الفارقي المنقول عن ابن جهير.(412)

www.alkottob.com

وهكذا أن بخل ناصر الدولة وكذا شجاعته وإباءه ولا مبالاته قد منعته من المساومة والمداراة مع السلاجقة وأنسته كيف أن أباه وجده يعرفان المساومة والمداراة معهم وكيف يبعدان خطرهم عن طريق الأموال والهدايا الغالية.

5- المساواة بين المسلمين والمسيحيين: لعل هذه المساواة التي تمسكت بها الدولة الدوستكية حتى أصبحت نقطة بارزة في سياستها وعدالتها وديمقراطيتها أثارت حقد بعض المسلمين وكراهيتهم للحكم الدوستكي وذلك بدافع التعصب الديني الأعمى حتى أن مؤرخنا الفارقي يظهر عدم رضاه من سياسة المساواة وإشراك المسيحيين بدرجة كبيرة في وظائف الدولة. فيظهر عدم رضاه أثناء بحثه عن وزارة ابن جهير كما مر ذكره(413). ولعل هذا السبب مع سبب سوء الإدارة هو الذي دفع ببعض سكان مدينة ديار بكر الحصينة إلى مساعدة السلاجقة في احتلالها كما ذكرنا سابقاً.

وقد كان المسيحيون وأغلبهم من العنصر الكردي مقابل تلك المساواة

www.alkottob.com

والديمقراطية مخلصين أمناء للدولة الدوستكية ولذا فقد ذهبت حريتهم وعزهم بزوالها ولم يشهد المسيحيون مثل تلك الحرية في العصور التي أتت بعدها حتى يومنا هذا. أي في كردستان الخاضعة لتركية وسيأتي موضوع خاص عن سياسة الدولة الدوستكية إزاء المسيحيين.

6- تفوق العدو: إن العدو الذي أصر على احتلال الدولة الدوستكية الكردية كان يتفوق عليها أضعافاً كثيرة في قواته العسكرية، وفي إمكانياته الضخمة بحيث لم تستطع الدولة صد قواته وإرجاعها إلى الوراء بالرغم من المقاومة البطولية لمدة حوالي سنتين.

7- رفض الخضوع للدولة السلجوقية: إني إذ أكتب هذا السبب لست متأكداً من وجوده ولكنه يكون ثابتاً إذا صح ما قاله محمد أمين زكي من أن منصوراً خطب ببلاده للخليفة الفاطمي في مصر مما أدى إلى استياء الخليفة العباسي واقطاع ملكشاه بلاده لابن جهير ...(414) وأقول أن من المحتمل أن يكون منصور قطع عندما تولى الحكم الخطبة العباسية ورفض التبعية للدولة السلجوقية وأظن أن جاره شرف الدولة مسلم

www.efrin.net
www.alkottob.com

العقيلي لم يكن يظهر في بعض الأوقات التبعية والولاء للدولة السلجوقية وكان يميل أحياناً إلى الفاطميين. فمثلاً طلب المساعدة من الفاطميين حينما قام سنة (476هـ 1084م) بمحاصرة (دمشق) وكانت تحت سيطرة (تتش) ابن الب أرسلان وقد ساعده الأكراد في حصاره.(415)

أما (كارل بركلمان) فقد قال بموجز: إن الوزير (نظام الملك الطوسي) لما اصطدم سنة (1083م) بمعارضة الخليفة انتقم لنفسه من ابن مروان (أي منصور) الذي كان آخر الأمراء الخاضعين مباشرة لسلطة الخليفة (العباسي)(416). فما قاله هذا المؤلف يفيد أن ناصر الدولة لم يكن تحت سيطرة السلاجقة بل كان ارتباطه المباشر بالخليفة العباسي فقضى السلاجقة على دولته انتقاماً كما كانت سياستهم المركزية ترمي إلى القضاء على الحكومات القائمة في المنطقة. ومما يثر الشك حول كلام ذلك المؤلف هو أني لم أجد في مصدر ما اصطدام الوزير المذكور بمعارضة من قبل الخليفة (المقتدي بأمر الله) ...

أما أسباب سقوط الدولة في المرة الثانية فهي:

www.efrin.net
www.alkottob.com

1- عدم استعداد الدولة الدوستكية للصمود أمام العدو. إذ لم يمض وقت كاف على إحيائها فتكتسب فيه قوة مادية ومعنوية فعالة بحيث تمكنها من البقاء أمام الهزة الأخيرة.

2- تفوق قوات العدو في عددها وإمكانياتها الحربية.

3- مبادأة ناصر الدولة بالعداء لـ (تتش) بإرساله قوات كردية بقيادة عمه الأمير (حسين) لصد تقدمه نحو الموصل، وتحالفه مع الدولة العقيلية، والاشتراك في معركة (المضيع). ولا شك أن هذا الموقف العدائي من ناصر الدولة قد جلب نقمة هذا السلجوقي وأثار غضبه فعطف من الموصل بعد احتلالها نحو البلاد الدوستكية لاحتلالها بينما كان المقرر أن يذهب إلى بغداد ليفرض على الخليفة الاعتراف به سلطاناً على الدولة السلجوقية. ولو اتصل ناصر الدولة بـ (تتش) فور وصوله إلى إقليم الجزيرة واقترابه من حدود بلاده واعترف بسلطانه لأمكنه الحصول على عطفه والمحافظة على دولته، لأن تتش الذي توجه من بلاد الشام نحو البلاد الشرقية منازعاً لابن أخيه (بركياروق) في الحكم كان يرحب بولاء

www.alkottob.com

أمراء المنطقة كناصر الدولة ويرحب بالمؤيدين والأنصار. غير أن كرهه الشديد للسلاجقة وإباءه قد دفعا به إلى اتخاذ هذا الموقف.

إن مبادرة ناصر الدولة بالعداء لتتش في حين لم تكن علاقاته حسنة أو متينة مع بركياروق بن ملكشاه- خطأ آخر أضافه إلى أخطائه السابقة.

هذه كانت أسباب سقوط هذه الدولة الكردية في نظري علماً بأنها كانت خالية من سبب طالما ألفه قارئ التاريخ ووقف عليه عند قراءته أو دراسته أسباب انحلال الدول وسقوطها وهذا السبب هو النزاع الداخلي أي تنازع أبناء الأسرة الحاكمة فيما بينهم وتناطحهم على الحكم والسلطة فلا توجد أو قلما توجد دولة لا تضيف هذا السبب البارز إلى قائمة أسباب سقوطها. فإذا راجعنا تاريخ الدولة البويهية والسلجوقية والحمدانية والعقيلية وبعض من الحكومات الكردية نلمس النزاعات والانشقاقات الداخلية الخطيرة ونطلع على المعارك الجانبية التي أصبحت السبب الرئيسي لسقوط بعضها.

أما الدولة الدوستكية فإن سقوطها كان خالياً من هذا السبب. إذ أنها كانت دولة قوية في تركيبها وراسخة في بنيانها بعيدة عن النزاع الداخلي.

www.alkottob.com

فلم يحدث مدة عمرها البالغ (106) سنوات سوى خلاف الأخوين الملك نظام الدين والأمير سعيد الذي لم تتأثر به الحياة العامة للدولة وقد انتهى ببكائهما تعاطفاً وندماً.(416)

كما كانت لكل من نشوء الدولة الكردية وسقوطها عوامل وأسباب كانت لبقائها وعيشها مدة أكثر من قرن في عصر كثرت فيه الاضطرابات والنزاعات الدموية بين دول المنطقة عوامل وأسباب عديدة أبرزها هي:

1- استقرار السياسة الداخلية.

2- استقرار الوضع الاقتصادي في البلاد.

3- عدم اتسام نظام الحكم بالطابع القبلي.

4- الاستقامة في السياسة الخارجية. كما سترى التفصيل في موضوع (تحليل السياسة الخارجية للدولة الدوستكية أسس وطبيعة سياستها

www.alkottob.com

الخارجية).

5- سياسة الحياد والمسالمة التي انتهجتها وسارت عليها الدولة.(418)

6- عدالة الحكم والإخلاص المقابل من جانب الشعب ذلك الإخلاص الذي يتمثل في دفاع الشعب عن الدولة حوالي سنتين ضد الغزو السلجوقي في حين أن الملك لم يكن حاضراً في البلاد ولم يكن موجوداً بين ظهراني ذلك الشعب بل كان في العاصمة السلجوقية أصفهان.

7- وحدة الدوستكيين وإخلاصهم للدولة وللملك التي جنبتهم الانشقاقات الداخلية والمعارك الجانبية.

وقع خلاف في تاريخ وفاة منصور. فقال الفارقي أنه توفي بالجزيرة سنة (486 هـ 1094م) أي في نفس السنة التي احتل فيها تتش بلاده وأضاف أن زوجته (ست الناس) بنت عمه الأمير سعيد بَنَتْ قبة على ضريحه في مدينة ديار بكر على رأس القصر تطل على دجلة بالسلسلة حيث نقلت جثمانه من

www.alkottob.com

الجزيرة إلى ديار بكر وهي أيضاً مدفونة في نفس القبة.(419)

أما ابن الأثير فقال أنه توفي في شهر المحرم (489هـ 1096م) في دار رجل

يهودي في الجزيرة وذكر أنه كان في الجزيرة حينما استولى عليها ابن جهير أي سنة (478 هـ - 1086م) (فقبض عليه (جكرمش) في الجزيرة وتركه عند رجل يهودي .. وحملته زوجته إلى تربة آبائه فدفنته هناك ثم أن زوجته سافرت إلى الحج ثم عادت إلى بلد البشنوية فابتاعت داراً في بلدة (فينك) القريبة من الجزيرة وأقامت فيه تعبد الله .. فتعساً لطالب الدنيا المعرض عن الآخرة ألا تنظر إلى فعلها بأبنائها بينما هذا منصور ملك من بيت ملك آل أمره إلى أن مات في بيت يهودي. وبه انقرضت دولة بني مروان).(420) وقد خلف منصور ابناً واحداً وهو تاج الدولة محمد كما خلف بنتاً واحدة.

www.efrin.net
www.alkottob.com

الدوسـتكيـون بـعد زوال دولـتهم

لم يستطع الدوستكيون بعد زوال دولتهم أن يقوموا في فترة ما بحركة

www.alkottob.com

ضد المحتلين السلاجقة في سبيل إعادة مجدهم واسترجاع بلادهم وإحياء دولتهم، فانتقلوا من حياة العزة إلى حياة الخضوع عائشين تحت سيطرة التركمان. الأمراء اللذين حكموا كردستان وقد تفرق بعضهم في المدن والقرى الكردية ويحتمل أن قسماً منهم قد رجعوا إلى موطنهم القديم (شيروا - شيروان) غير أنهم ظلوا بصورة عامة في منطقة فارقين وارزن (غرزان). وقد انخرط بعضهم في خدمة الأمراء (الارتقيين) الذين أسسوا لهم دولة تركمانية في إقليم ديار بكر كما يحتمل أن بعضاً من أحفاد الدوستكيين الذين لم ينسوا مجد آبائهم قد كافحوا في سبيل تأسيس إمارات لهم في كردستان. فقد ذكر الأمير المؤرخ (شرفخان البدليسي) أن (بابا أردلان) جد الأمراء الاردلانيين ومؤسس الإمارة الاردلانية الكردية القوية التي عاشت قروناً عديدة في مقاطعة (سنه) من كردستان إيران كان من سلالة (أحمد بن مروان) الملك الدوستكي(421).

وهكذا قال المستشرق (زامباور)(422) ولعله اعتمد على شرفخان. أما العالم الكردي الشيخ محمد مردوخ فقد ذكر نفس الرواية وقال أن (قباد) جد

www.efrin.net
www.alkottob.com

الاردلانيين كان ابن (شاه منصور) حاكم دوشتيك الذي قتل بيد التركمان سنة (598هـ 1202م) وقد خلف أربعة أبناء. وأن الاسم الحقيقي لقباد هو فيروز وقد غير اسمه بعد مقتل أبيه ولجأ إلى سرخاب بن بدر بن حسنويه حاكم شهر زور ... ثم علق على هذه الرواية وقال: أن أكثر تواريخ الأكراد تفيد أن الاردلانيين كانوا يحكمون شهر زور قبل شاه منصور.(423) وذكر

جزيرة آختمار

تقع جزيرة (آختمار) في بحيرة وان وفي غرب مدينة وسطان بمسافة حوالي (5 كم) وأقرب قرية إليها هي بشيفانك وفي غربها (كَرى كافران).

www.alkottob.com

وأورد القزويني ذكرها في القرن (السابع الهجري ـــ الثالث عشر الميلادي) باسم قلعة آختمار حيث كانت فيها قلعة وهكذا يذكرها مرارا شرفخان ويذكر أن جده هاجمها بالقوارب سنة (939هـ) واستولى عليها بعد أن قتل في المعركة محتفظها رستم بك الهكاري. أما الآن فتعرق باسم (ديرا آختماري) حيث فيها دير قديم مزين بنقوش ورسوم جميلة وحوله خرائب. وتدور أغنية كردية شهيرة حول بطولة مطرانه مطران عيسى الشجاع الذي قاتل قوات والي وان دفاعاً عن (فه قه علي) الذي خطف الفتاة الأرمنية الجميلة (ميره م) والتجأ إلى المطران وكان الوالي يحب تلك الفتاة الجميلة. وتشاهد من الصورة قسم من الجزيرة وكذا الدير وجزء من البحيرة وجبال كافاش.

www.efrin.net

www.alkottob.com

أيضاً الرواية التي تفيد أن الاردلانيين ينتسبون إلى بعض ملوك أو زعماء الفرس قبل الإسلام.

هذا ولا يبعد أن يكون (أمراء سليماني) الذين أسسوا لهم إمارتين في فارقين (قلب) (أي كَولب) من أحفاد الدوستكيين (المروانيين) الأكراد لا المروانيين العرب. فذكر شرفخان أنه بموجب الرواية المعروفة بين الناس يرجع نسب أمراء سليماني إلى المروانيين إلى مروان الحمار آخر خلفاء (بني أمية)(424) ويقول: (يحتمل كذا وكذا) فيذكر احتمالات لا يجد هو لها أصلاً تاريخياً ثابتاً فلا يبعد أن يكون (مروان) الذي ينتمي إليه السليمانيون هو مروان الكردي فالتبس الأمر على الناس بعد مرور عدة قرون على وفاته وعلى زوال الدولة الكردية بينه وبين مروان بن محمد المرواني الأموي حيث الأخير معروف في التاريخ أكثر بكثير من الأول فظن الناس بعد أن نسي مروان الكردي أن مروان الذي ينتمي إليه أمراء (سليماني هو مروان الأموي العربي بالإضافة ألى أن كثيراً من الأمراء والمشايخ الأكراد قد ادعوا كذباً أنساباً عربية: علوية وعباسية وخالدية وأموية .. لغرض اجتذاب عطف

www.alkottob.com

الأكراد المتدينين. هذا وقد ذكر الفارقي عدداً من الأمراء الدوستكيين وهؤلاء أشهرهم:

أمين بن ناصر الدولة منصور عاش تاج الدولة مع أبيه وأمه في الجزيرة ثم مع أمه في (فينك) وبقى في بوتان إلى أن احتل الأمير العادل (سكمان القطبي) مدينة فارقين سنة(502هـ-1109م) حيث توجه إلى فارقين وأقام فيها إلى سنة (540هـ 1146م) ثم انتقل إلى مدينة (أرزن- غرزان) وظل في خدمة الوزير (ياقوت أرسلان بن طغان أرسلان) وبعد وفاته بقي في خدمة أخيه (دولت شاه) وسافر معه إلى بلاط السلطان (مسعود) السلجوقي في (همدان) فأكرمه السلطان وقدره تقديراً فائقاً. توفي تاج الدولة محمد في (أرزن) سنة (554هـ 1159م) ودفن في فارقين بجانب زوجته (الست

www.efrin.net

www.alkottob.com

خطافة) بنت عمه الأمير بهرام ولم يعقب ولداً.

كان الأمير أحمد صغيراً حينما توفى والده الملك نظام الدين وعندما سقطت الدولة أيضاً كما كان أصغر أخويه منصور وبهرام ولما كبر ذهب إلى خدمة السلطان محمد وبقى عنده مدة ثم دخل الموصل عند احتلالها في نوبة (كليفاً) (لعله كربوقاً) وقال الفارقي ... وكان (أي الأمير أحمد) شهماً من الرجال وفارس الخيل وله مقامات معروفة وأسرته الأفرنج وأقام عندهم وتزوج في الأسر ورزق ولداً سماه محمداً فلما عاد من الأسر انتقل من خدمة أمير إلى آخر حتى ملك بلدة (طانزة) من مقاطعة (بهتان - بوتان) ثم ملك قلعة (هتاخ) والأراضي التابعة لها وأسس له إمارة صغيرة هناك (وأتى إليه في بعض الأيام ولده محمد من البلاد الأفرنجية ومعه علامة أعطاها لأم الولد عند خروجه فلما كبر ونشأ أعطته أمه العلامة وقالت أمض إلى أبيك فهو الأمير أحمد بن مروان بديار بكر فتوصل ووصل الهتاخ واجتمع به وأعطاه العلامة واستحلفه وبقي عنده وزوجه وولد ولدين هما الأمير (إبراهيم

www.efrin.net
www.alkottob.com

والأمير (حسن) وهما الآن (أي في زمن الفارقي) بميافارقين في خدمة الأمير نجم الدين. وأما أبوهما فبقى إلى بعض الأيام فحرد (هكذا ورد) عليه الأمير أحمد أبوه فخرج من القلعة ونزل ودار حول الربض وغاب ولم يسمع له خبر إلى يومنا هذا وما رآه أحد. وبقي الأمير أحمد في الهتاخ إلى سنة (528هـ - 1134م) فخرج الأمير أحمد يتصيد فعصى عليه ولده الأمير بهرام وأغلق الباب في وجهه وعصى على أبيه واستبد بحصن هتاخ وقصد الأمير أحمد (السعيد حسام الدين) وأقام عنده في خدمته مدة.

ثم أن الأمير عيسى توصل وسرق الهتاخ من أخيه الأمير بهرام وأنزله منها في أول سنة (529هـ 1135م) واستقر فيها فنفذ إليه أبوه الأمير أحمد وسأله أن يعيد الهتاخ إليه فلم يجبه إلى ذلك وقال له تجلس بالربض والأمير أنت ونحن تحت حكمك وأنا في القلعة فمضى الأمير أحمد إلى السعيد حسام الدين وقال: (قد وهبتك الهتاخ فنازلها وحط عليها وذلك في سنة(530هـ 1136م) وحاصرها مدة وسلمها الأمير عيسى إليه وخرج عنها ومضى هو وأولاده وزوجته إلى (آمد) وكان قد تزوج بنت الأمير (شاروخ) صاحب

www.alkottob.com

حاني).

هذا وتوفي الأمير أحمد ابن نظام الدين سنة (532هـ 1138م) بميافارقين ودفن في قبة بني مروان.(425) أما الأمير بهرام بن نظام الدين فتوفي بمدينة الجزيرة ودفن في قبة باب الجبل.(426)

www.efrin.net
www.alkottob.com

الأمير مسعود

كان الأمير مسعود بن الأمير ابراهيم بن أبي الفوارس بن ابراهيم بن نصر الدولة من الأمراء الدوستكيين الذين ظهروا كأمراء محترمين بعد زوال الدولة الدوستكية فإنه بعد وفاة والده في قرية "باشذرم" سنة (559هـ 1164م) ذهب إلى بلاد "الشام" وخدم (نور الدين زنكي) صاحب الشام فأكرمه وأقطعه اقطاعاً كثيراً ثم انفصل عنه بعد مدة ودخل إلى (مصر) وخدم أيام شاور (الوزير الفاطمي) ولما دخل أسد الدين (شيركو) إلى مصر وملكها حصل في خدمته وهو الآن (أي في زمن الفارقي) بمصر في خدمة صلاح الدين في أحسن حال.)

نلاحظ من تاريخ الدوستكيين أنهم كانوا يتصفون بأخلاق رفيعة كالشجاعة والشهامة والاخلاص والوفاء ولكن الذي يجلب النظر ويثير الاعجاب هو اتصافهم بالوداعة وهدوء الطبع والاتحاد فيشهد تاريخهم أنهم كانوا هادئين في طبائعهم تسودهم الوداعة والسكينة والقناعة وكرههم الخلافات الجانبية والانشقاقات الداخلية فبنو العم (حسب تعبير الفارقي) أي

www.alkottob.com

أبناء وأحفاد (كه ك) بن مروان الأول رغم كثرتهم لم يطمعوا يوماً ما في الحكم وانتزاعه من بني عمهم ولم يسببوا للدولة أية متاعب وقلاقل ولم يثيروا أي خلاف بل كانوا مخلصين لها ومطيعين لبني عمهم الملوك وكان بين الطرفين التعاطف والتراحم والتقدير المتبادل فكان (نصر الدولة) ذلك الملك العادل يدعوهم إلى حفلة العشاء ويجتمع بهم يوماً من كل ثلاثة أيام من الأسبوع كما أنه بنى لكل منهم كأبنائه داراً خاصاً في مدينة (النصرية) التي بناها في سهل (بشيري) على ضفة (نهر باطمان).(428) وما أعظم مغزى خجالة نصر الدولة من الأمير مرزبان بن بلاشو بن كه ك حينما طلب منه نصر الدولة أن يسلم إلى رجاله قائد الجيش أبا الحكيم بن الحديثي فامتنع وأرسل رجاله مرة أخرى ليأخذوه بالقوة فلبس الأمير مرزبان الذي وصفه الفارقي بالشجاعة والشهامة سلاحه وتوجه نصر الدولة إلى داره غاضباً ولكنه سرعان أن نسي غضبه وخجل منه واستحى وانصرف حينما قال له الأمير مرزبان: (أحسنت ياابن عمي قد جئت تأخذ أبا الحكيم وهو عند بنت عمك كأنك قد قصدت (خرشنة) أو بعض حصون الروم).(429)

www.efrin.net
www.alkottob.com

وكان الملوك يشركون بني عمهم في مسراتهم وسفراتهم فكانوا يرافقون ممهد الدولة في سفراته إلى (هه تاخ) للتنزه أيام الربيع وكانوا معه في سفرته التي اغتيل فيها حيث قبض عليهم شيروه واحد واحداً بصورة انفرادية وأعلمهم أن ذلك بأمر الممهد فرضخوا لأمره واعتقلهم كلهم بهذه الصورة.(430) وكانوا يرافقون نصر الدولة في السفر إلى النصرية سنوياً وقت الربيع .. إلى غير ذلك من التعاطف الموجود بين الطرفين الذي نلمسه من خلال تاريخ الفارقي حتى يفهم من حوادث متعددة أن زواج بني العم يكون بموافقة ومصروفات الملوك الذين يزوجونهم ببنات أعمامهم في الأغلب.

أما نظام الدين فإنه لما تولى الحكم كان له أكثر من عشرين أخاً فلم يختلف عليه أحد مدة حكمه البالغة تسع عشرة سنة سوى أخيه الكبير الأمير سعيد الذي لم يؤيده أحد من إخوته وبني عمه. وأن خلافاته كانت الأولى والأخيرة في تاريخ الدولة الدوستكية مع أنها في المرتين لم تؤثر على الحياة العامة في الدولة ولم تؤثر على الأمن والاستقرار.

www.efrin.net
www.alkottob.com

إن هدوء الدوستكيين ووداعتهم وتعاطفهم فيما بينهم قد جعلتهم متكاتفين ومتحدين طول تاريخهم. ان وحدة الأسرة الدوستكية قد أعطتها بدورها القوة والمنعة والجدارة الفائقة للحكم ووهبت الدولة مزية عظيمة أضافتها إلى مزاياها الأخرى فلعل الدولة الدوستكية بهذه المزية أول دولة تحكم مدة أكثر من قرن تتسم بهذه الوحدة العائلية الداخلية المتينة فلا توجد أو قلما توجد في التاريخ الإسلامي في القرنين (الرابع والخامس الهجري - العاشر والحادي عشر الميلادي) دولة تتصف بهذه المزية. فمثلاً إذا راجعنا تاريخ الدولة البويهية والحمدانية والسلجوقية والعقيلية وإلى تاريخ بعض الحكومات الكردية كالحسنويهية (البرزيكانية) والعنازية نقف على مدى كثرة النزاعات والانشقاقات والخيانات العائلية بشكل مزر ومستهتر، كما لا يخفى على من له المام بالتاريخ فهذا هو الأمير الكردي هلال بن بدر بن حسنوية ينشق على أبيه ويقاتله وأخيراً تؤدي المعارك الجانبية بحياة بدر ثم بحياة الدولة. وهذا هو سعدي بن أبي الشوك وعمّاه سرخاب ومهلهل يغرقون بلادهم الكردية في مأساة خلافاتهم المدمرة إلى أن قضى عليهم السلاجقة

www.alkottob.com

نتيجة تفرقهم. وما أكثر النزاعات بين البويهيين في العراق وإيران أما النزاعات الداخلية في الدولة السلجوقية بعد وفاة ملكشاه فقصة طويلة فقضى السلطان بركياروق بن ملكشاه اثنتي عشرة سنة معظمها في الحروب مع عمه تتش ومع أخويه محمد وسنجر إلى أن توفي سنة (498هـ 1105م)(431).

أما الدولة العقيلية الجارة العزيزة للدولة الدوستكية فنجد من خلافاتها العائلية الكثير الكثير. فهذا هو بدران بن المقلد يختلف مراراً مع أخيه قرواش ويشتبك مع قواته ثم ينازعه أخوه أبو كامل مراراً نزاعاً دموياً إلى أن يتغلب عليه أبو كامل ويسجنه في قلعة الجراحية ثم يخرجه من السجن ابن أخيه قريش بن بدران ويقتله سنة (444هـ - 1051م) وهو شيخ كبير السن كما نازعه (أي قرواشاً) من قبل كل من أعمامه علي ومصعب وحسن. أما مسلم بن قريش فقد اعتقل أخاه ابراهيم، فلما تولى الحكم لم يكن يقدر على المشيء(432) فلم يأت أحد إلى الحكم إلا نازعه غيره وغيره.

وكانت تلك النزاعات بين أبناء الأسرة الحاكمة في كل دولة تكلف البلاد

www.efrin.net
www.alkottob.com

الكثير من الضحايا والمآسي فكانت الأوضاع لذلك غير مستقرة، إذ أنها كانت تؤثر على الأمن والاستقرار وتشل الحياة الاقتصادية. ومن خلال هذا العرض السريع يمكن للقارئ أن يعطي للوحدة الدوستكية حقها من التقدير، ويقدم للأسرة الدوستكية ما تستحقه من الثناء الرفيع.

أنتـــــهـــــــــــت

****قريباً أصدارات جديدة*****

www.alkottob.com